كتاب

سكردان السلطان

النشرات الإسلامية

أسّسها هلموت ريتر

يُصدرها

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

٤٨

كتاب
سكردان السلطان

شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر
الشهير بابن أبي حجلة المغربي التلمساني

تحقيق
محمد الجُجَيري

بيروت ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م
المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة

توزيع
دار الفارابي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

بيروت ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

طبع بإشراف المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة في بيروت

التابع لمؤسّسة ماكس فيبر (المعاهد الألمانيّة للدراسات الإنسانيّة خارج ألمانيا)

على نفقة وزارة الثقافة والأبحاث العلميّة في ألمانيا الاتّحاديّة

طُبع في الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان

الموزِّع

في الدول العربية: دار الفارابي للنشر والتوزيع - بيروت

ISBN 978-614-485-164-7

محتويات الكتاب

بين يدي الكتاب ١١

تقديم ٢٧

المقدمة: في ذكر نبذةٍ مما وقع في إقليم مصر من هذا العدد على طريق الإجمال ٣٥

الجزء الأول

الباب الأوَّل: في ذكر شرف هذا العدد، وخاصيته ومزيته على غيره من الأعداد ٤٥

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب **٥٣**

الباب الثاني: في بيان ما لمولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره بهذا العدد من العلاقة،
وما بينهما من المناسبة، والسر المقتضي لنصره ودوام ملكه ٥٩

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب **٦١**

الباب الثالث: في ذكر حَدّ إقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد، وذِكْر نبذة من أخباره
وأخبار القاهرة ومصر والنيل السعيد وما جرى مجراه على سبيل الاختصار ٦٧

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب **٧٧**

الباب الرابع: في بيان كون مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره سابع من جلس على
سرير الملك من إخوته، وذكر من وَلِيَ الملكَ من الترك من أول دولتهم إلى يومنا
هذا على سبيل الاختصار ٨٣

خاتمة الباب وسَجْعُ طائرِ المستطاب **٩٥**

الباب الخامس: في ذِكْر طَرَفٍ يسير من سيرة مولانا السلطان وسيرة إخوته وأبيه
وعَمَّيْه الملك الصالح، والملك الأشرف، وجدّه الملك المنصور قلاوون..... ٩٩
خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ١٢٣
الباب السادس: في ذكر اتفاقات عجيبة وأشياء غريبة اتفقت لمولانا السلطان، أعز الله
أنصاره، ولبعض إخوته وأبيه وعمّه الأشرف، وجدّه الملك المنصور..... ١٢٩
خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ١٣٩
الباب السابع: في تفسير ما أودعته خطبة هذا الكتاب والباب الخامس من الآثار
النبوية والنكت الأدبية وغير ذلك على سبيل الاختصار ١٤٧
خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ١٦٥

الجزء الثاني

الباب الأول: في ذِكر قصة يوسف الصدّيق عليه السلام وبسط الكلام على ما وقع فيها
من هذا العدد ١٧٣
خاتمةُ الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ٢٠١
الباب الثاني: في بَسْط الكلام على ما وقع من ذلك في قصة موسى وفرعون ٢٠٧
خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ٢٢١
الباب الثالث: في ذكر نبذةٍ يسيرةٍ من أخبار الملوك السالفة بمصر وما كان لبعضهم
من السِحْر والأعمال العجيبة..... ٢٢٩
خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ٢٣٩
الباب الرابع: في بسْط الكلام على ما وقع من ذلك في سِيرة الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين
بمصر وذِكْر طرَف يسير من أُموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشريعة ٢٤٩

خاتمةُ الباب وسَجْعُ طائره المُسْتطاب ٢٥٩

الباب الخامس: في بَسْط الكلام على ما وقع من ذلك في الحوادث الواقعة بمصر،
وما في معناها على سبيل الاختصار ٢٦٧

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ٢٧٧

الباب السادس: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في القاهرة وضواحيها والأهرام
ونواحيها من إقليم مصر ٢٨٧

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب ٢٩٩

الباب السابع: في ذكر السبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد وذكر ما قيل فيها
من منظوم ومنثور وغير ذلك ٣٠٥

خاتمة الباب وسَجْعُ طائرِه المستطاب ٣٢٥

فهارس الكتاب ٣٣٥

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن أبي حَجَلة

المؤلف هو الشيخ الإمام العلّامة الأديب المفتنّ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المغربي الحنفي المعروف بابن أبي حَجَلة. وُلد بتلمسان المغربية بزاوية جَده أبي حَجَلة سنة خمس وعشرين وسبع مائة، حسب رواية ابن حجر في درره وصاحب تعريف الخلف[1]. وكان جدّه من رجال الصوفية الكبار وأحد الزهاد المعروفين بالعبادة والورع في بلده.

نشأ في جوّ زاخر بالعلوم الدينية والمسالك الصوفية، واشتغل بالعلم والأدب. قدِم من المغرب مع أبويه وإخوته، فبلغوا السول بزيارة الرسول. ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال، فبعد عودته من أداء فريضة الحج، يمّم شطر بلاد الشام، واستقر بدمشق، حيث كانت الظروف في دمشق مهيأة لينهل من شتى العلوم والمعارف من معين أعلام تلك الفترة، الذين كانت تعمر بهم الزوايا والحلقات والمجالس في المدارس والمساجد والتكايا والمنتديات الجامعة لكلّ أعلام العلوم والفنون والمعارف.

وقد أشار هو نفسه في كتاب «سُكَّردان السلطان» الذي نحن بصدده، إلى وجوده في دمشق مستهلّ ربيع الأول سنة ٧٤٣هـ في جلسة سماع مع جمال الدين يوسف بن يعقوب المقدسي.

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي بن إبراهيم الغول، تحقيق محمد أبو الأجفان ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢.

ثم ما لبث أن شدّ الرحال ويمّم شطر القاهرة المعزية في فترة حكم السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. وقد أورد في كتابه «سكردان السلطان» أنه أثناء توجهه من دمشق إلى القاهرة سنة ٧٥٢هـ، قد أنشأ مقامةً شائقةً يصف فيها منازل تلك الرحلة، كل منزلة بما يليق بها من أوصاف[١].

هناك اتصل بجماعة كبيرة من أدباء العصر وعلمائه، ونسج شبكة من العلاقات المباشرة مع العديد من رجال الدولة والكتّاب والمتنفذين، نذكر منهم على سبيل المثال الصاحب فخر الدين بن الخطيب الذي ولي الوزارة للناصر حسن، والأمير سعد الدين بشير الجمدار الذي جدد عمارة الجامع الأزهر، إضافة إلى الأمير يلبغا الناصري مملوك السلطان حسن، الذي انتهى الصراع بينه وبين سيده السلطان إلى أن قتل السلطان وتفرّد هو بالحكم. الأمر الذي مهّد له السبيل للاتصال المباشر بالسلطان حسن، الذي قرّبه وأدناه حتى غدا شاعره الأثير، كمّا ولّاه مشيخة الصوفية بخانقاه منجك بظاهر القاهرة، وقرّبه إليه كما لم يقرب غيره، ونال منه من العطايا والنِّعم ما لم ينله سواه.

وقد قابله الشاعر بالكثير من الحفاوة به وبدولته، حتى إنه أَلَّف له عدة كتب، منها: كتاب ديوان الصبابة، وكتاب سُكَّردان السلطان، الذي نحن بصدده هاهنا. وقد مات ابن أبي حَجَلة بظاهر القاهرة بوباء الطاعون يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة ٧٧٦هـ عن إحدى وخمسين سنة.

كان ابن أبي حجلة حنفي المذهب حنبلي الاعتقاد، كثير الحَطّ على «الاتحادية» من الصوفية من أمثال ابن الفارض. وقد عارض جميع قصائده بقصائد نبوية. كما كان كثير النوادر والنكت ومكارم الأخلاق.

(١) في آخر كتابه «ديوان الصبابة» يقول: وذلك أني لما كنت في دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة...

مؤلفاته

وقد ترك لنا عشرات المصنفات في الحديث والفقه والنحو والأدب، جعلها ابن حجر ومحقق ديوانه تزيد على ثمانين مصنفًا، أوردت مصادر ترجمته المتعددة بعضًا منها، مثل: ديوان الصبابة[١]، وأنموذج القتال في نقل العوال[٢]، ومنطق الطير، وسُكَّردان السلطان[٣]، والطارئ على السكردان، والأدب الغضّ، وحَاطبُ ليل، عدة مجلدات، وغرائب العجائب وعجائب الغرائب، وجوار الأخيار في دار القرار، وأطيب الطيب، وتسلية الحزين في موت البنين، ودفع النقمة في الصلاة على نبيّ الرحمة، وزهر الكمام وسجع الحمام، وعنوان السعادة ودليل الموت على الشهادة، وقصيرات الحجال، ومجتبى الأدباء، ومغناطيس الدر النفيس، والمنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق، ومواصيل المقاطيع، والنحر في أعمدة البحر، والنعمة الشاملة في العشرة الكاملة، والبيوت المُضِيَّة في الدار البدوية، وسلوك السُّنَن في وصف السكن، والطيب المسنون في دفع الطاعون، والتنويه في محاسن التشبيه، وذكر ما قيل في الخيل من المقاطيع الحسنة، الدرّة السنية والوسيلة النبوية، مرآة العقول، شقائق النعمان، وهو منظومة في الفقه، نشر العلَمين في زيارة الحرمين، وهرج الفرنج.

كما ترك العديد من الرسائل نذكر منها: رسالة الهدهد، وأسنى المقاصد في مدح الملك المجاهد، وكان كتبها إلى السلطان الملك المجاهد صاحب اليمن، ورسالة السجع الجليل فيما جرى في النيل، والسبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد.

(١) ديوان الصبابة، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت..
(٢) أنموذج القتال في نقل العوال، تحقيق زهير أحمد القيسي، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
(٣) سُكَّردان السلطان (بهامش كتاب «المخلاة» لبهاء الدين العاملي محمد بن الحسين، المطبعة الميمنية للبابي الحلبي، القاهرة ١٣١٧هـ).

سُكَّردان السلطان

الكلمة مركّبة من كلمتين: سُكَّر، وكلمة دان، وهي وعاء، أي وعاء السكر، أو السُكَّرية[١]، أو الوعاء الذي يحوي كلّ ما لذّ وطاب، وبالتالي كل ما تهفو إليه نفس السلطان – الذي وُضع الكتاب وقُدِّم له – من شعر ونثر وأحداث ووقائع وتواريخ وأعلام، وعلى وجه الخصوص، تلك الفسيفساء العجيبة من الأخبار الغريبة، التي عمد إلى جمعها من كل حدب وصوب، ومن كل مصدر ومرجع. ولعل الصورة الأدلّ على ذلك بشكل صريح وواضح هو ما ضمَّنه الأمير سيف الدين المشدّ التركماني الياروقي صاحب الديوان المشهور، في بيتين له، يصف فيهما السُكَّردان الذي قُدِّم له، وما فيه، فيقول[٢]: [من السريع]

وافَـــى السُّـــكَردانُ وفي ضـــمنهِ مطَجَّنـــاتٌ مـــن دراريـــجِ[٣]
كأنّـــه بـــدرٌ وقـــد رُصِّـــعتْ فيـــه ثريـــا مـــن سَـــكاريجِ[٤]

(١) مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد)، ورمزنا إليها بالرمز (ب):

لقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة المكتبة الظاهرية (مكتبة الأسد) فيما بعد، التي توفرت لنا، وهي تضم ١٠٦ أوراق مزدوجة (و/ظ). وقد أشير في فهارس المخطوطات إلى أنها المخطوطة الوحيدة الموجودة حاليًا. مما أثار الكثير من الاستغراب، عندما عثرنا على الكتاب محققًا ومعتمدًا على

(١) هذا ما أورده راينهارت دوزي في تكملته للمعاجم العربية ٦/١٠٧.
(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٢١/٣٥٦.
(٣) طجَّنَ الشيء، أي قلاه، وهي كلمة يونانية. والمطجّنات: هي المقالي. والدراريج: واحدتها دُرّاجة، طائر شبيه بالحجل، أرقط بسوادٍ وبياض، قصير المنقار.
(٤) سكاريج: مفردها سُكْرُجة أو سُكُرَّجة: الصحفة التي يوضع فيها الأكل، كلمة فارسية، انظر: لسان العرب لابن منظور.

نسخة مخطوطة ومنسوبة إلى مقتنيات جامعة بغداد. في حين لم يشر إليها أي من فهارس المخطوطات المعروفة. لهذا السبب كان العمل معتمدًا بشكل أساسي على مقارنة المخطوطة بالطبعة البولاقية، وإثبات الفوارق بينهما. وقد كتبت بخط النسخ السريع، وهو أقرب إلى خط التعليق، وبالحجم الوسط لا تزيد الصفحة فيها عن سبعة عشر سطرًا، ولا يزيد السطر عن اثنتي عشرة كلمة بشكل عام. عريّة عن التحريك إلا ما ندر، أما علامات الوقف والابتداء فنادرة الوجود لقلة احتفال المؤلف أو الناسخ بها. ولعل ذلك ناجم عن سرعة مفرطة من الناسخ أو المؤلف لإنجاز هذا العمل، لغاية لم يذكرها، وإنما أشار إلى ذلك صراحة في صفحة خاتمة الكتاب حيث يقول:

نجز الكتاب المبارك المسمَّى بسُكردان السلطان بحمد الله وعونه وحسن توفيقه بسرعةٍ شديدةٍ في نهار الأربعاء سادس عشر جمادى الأولى... وقد تعرض العديد من صفحاتها لعوامل الرطوبة فانعكس سوءًا في التصوير وبالتالي في الوضوح. وقد امتلأت هوامش العديد من الصفحات بالاستدراكات والإضافات أو التصويبات، بغية إضفاء المزيد من الوضوح، أو إكمالًا لمعنى، أو استدراكًا لملاحظة كما ورد في الصفحات التالية ١٣، ٢٣، ٣٢، ٤٧، ٦٣، ٧٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠١ – ١٠٣ منها، وقد عمدنا إلى إدخالها مباشرة في صلب النص، باستثناء الكبيرة منها والتي ملأ بها هوامش الصفحات، مما اضطرنا لإفرادها في حواشي خاصة بها، كما هي الحال في الصفحات التالية: ٤٠، ٤٣، ٨٢ب، ٨٤ب، ٨٧آ من صفحات المخطوط.

ولعلّ ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب، هو عثورنا على طبعة للكتاب مضى على صدورها ما يزيد على عقدين من الزمن، اعتمد محققها على مخطوطة يصفها بأنها محفوظة في جامعة بغداد. مقتصرًا في حديثه عنها بأنها تقع في ٨٤ ورقة، في كل صفحة منها ٢٥ سطرًا، في كل سطر حوالى ١٢ كلمة، كتبت بخط معتاد، وفي

حواشيها ما يشير إلى قراءتها ومقابلتها، دون أن يعمد إلى توصيف حالتها، أو إثبات ترقيم صفحاتها في المطبوع، وأن كتابتها تمت سنة ٨٧٩هـ. فكان لا بدّ والحالة هذه من الإشارة إليها والمقارنة بمادتها، وإثبات الفروقات بين المخطوطتين بشكل يؤدي حكمًا إلى خدمة مادة الكتاب، وقد أشرنا إليها بالرمز (آ).

لذا كان لا بد لنا والحالة هذه من الإشارة إلى وجود نسختين مختلفتين من الكتاب، الأولى منهما طُبِعت على هامش كتاب المخلاة للعاملي، وصدرت عن المطبعة الميمنية بالقاهرة أواخر ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٧هـ. في حين جاءت المخطوطة الثانية في ١٣٤ صفحة متصدرةً كشكولًا من النصوص الدينيّة والصوفيّة، وقد كُتِبَت أواخر القرن الثالث عشر الهجري «تقديرًا». وجاءت مسطرتها مختلفة بقياس ١٩/٢٩ سنم. وهي نسخة حسنة، وخطّها مغاير، وصنّفت ضمن قسم تاريخ مصر.

وهي حديثة الخط، وتتضمن زيادات عن المطبوعة الأخرى، ويمكن التثبت منها بالكثير من السهولة، من خلال المقابلة بينهما. إلا أن هذه الزيادات ليست بذات أهمية كبيرة.

وقد أشار المؤلف صراحة وفي عدة مواطن إلى السنة التي أنجز فيها وضع هذا الكتاب، وخاصة في الصفحات التالية: ٣آ، ٦آ، ١٢آ، ٥٦ب، ٨٧ب.

الكتاب يقع في قسمين: **الأول** هو المقدمة وسمّاها خطبة الكتاب، وهي في سبعة أبواب، وختمها بتفسير بعض ما أودعه في خطبة الكتاب هذه.

والقسم الثاني، وأطلق عليه: النتيجة، ومدار الكتاب عليها كما يقول، وهي في بسط الكلام على ما تقدم ذكره في المقدمة، وهي تقع في سبعة أبواب.

وقد ذكر عقيب كل من هذه الأبواب والأبواب التي قبلها سبع حكايات وسمّاها خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب.

لقد بني الكتاب على قاعدتين اثنتين، أولاهما العدد «سبعة» وثانيتهما: الاتفاقات الغريبة والأشياء العجيبة التي وجدها المؤلف. أما العدد «سبعة» الذي استحوذ على مادة الأبواب الأربعة الأولى من المقدمة، فعرض في الباب الأول لشرف هذا العدد ومزيته على غيره من الأعداد. وفي الباب الثاني تعرّض للعلاقة العجيبة بين السلطان وهذا العدد والنسبة بينهما، يلي ذلك تفاصيل وشواهد على ذلك في كل من إقليم مصر وحياة السلطان وسيرته في بقية أبواب المقدمة، حيث أورد في المقدمة إشارات واضحة إلى ما وقع في مصر من هذا العدد على وجه الإجمال كما يقول. ومنذ اللحظة الأولى، وفي تضاعيف مقدمة المقدمة، تبرز بشكل سافر ملامح التركيز على العدد «سبعة»، إذ قلما تمر فكرة دون أن تتسلل بين مفرداتها كلمة «سبعة» أو إحدى مشتقاتها، مثل: البحار السبعة، السبع المثاني، سابع من جلس على العرش، قاعاته السبع، الأقاليم السبعة، نجومها السبعة، السبع الطباق، السبع زهرات، الأبواب السبعة، سبع حكايات، وهكذا دواليك.

وقد حاولت، ولو من غير تدقيق، أن أحصي كم مرة ذكر المؤلف هذه الأشياء، فتبين لي أنها تتجاوز ثلاث مائة وعشرين مرة، في تضاعيف مادة الكتاب، وهو أمر في غاية الغرابة، فقد ارتهن معجمه اللغوي ليثبت مقدرته في خدمة الفكرة التي جاء الكتاب تفصيلًا لها.

أما القاعدة الثانية التي قام عليها هيكل الكتاب، فهي ما أطلق عليه الاتفاقات الغريبة والأشياء العجيبة[١]. وهو ما يمكن إدراجه تحت عنوان «المبالغات» التي تكاد تلامس أطراف الخرافات.

(١) وعلى وجه الخصوص في تضامين قصة يوسف الصديق وموسى وفرعون، وكذلك في سير ملوك الفراعنة السابقين والحاكم العبيدي، إضافة إلى وقائع كثيرة جرت في القاهرة والأهرام ونواحيها، وحكايا كانت أشبه بخواتيم للأبواب.

وقد تضمن الكتاب نماذج منها بعيدة كل البعد عن العقل العلمي المتزن. إن مجرّد نظرة على نماذج من هذا القبيل تكفي لتكوين فكرة واضحة عن ذلك حيث يقول مثلًا:

- خرج فرعون في طلب بني إسرائيل في ألف ألفٍ وسبع مائة ألف مقاتل.
- سرير يوسف ثلاثون ذراعًا، وعرضه عشرة أذرع، وعليه ثلاثون فراشًا وستون غرفة.
- يوسف كان يركب كل سبعة أيام في مائة ألفٍ من عظماء قوم فرعون.
- خروج يوسف والملك لاستقبال يعقوب في أربع مائة ألفٍ من الجند.
- بين لِحْيَى الثعبان ثمانون ذراعًا وارتفاعها عن الأرض قدر ميل.
- أقام يوسفُ عن يمينه ألفَ وصيفٍ، وعن يساره ألفًا أخرى.
- لِحْيَة فرعون سبعة أشبار.
- فرعون أخذه البطن فزعًا من الحية أربع مائة مرة!!!
- هلك في الزحام خمس وعشرون ألفًا.
- السحرة سبعون ألفًا.
- انهزم الناس فمات مائة وخمس وعشرون ألفًا.
- مات في يوم واحد سبعون ألفًا بالطاعون.
- ذنب الحية بلغ ما وراء البحيرة.

إن مجرّد التمعّن في هذه الأرقام والأحوال يجعلنا نعتقد بأن من يذكرها في كتاباته دون تردد إنما يدرج في مسالك الكتابة الشعبية التي لا تحفل بالدقة والمسؤولية العلمية. وما ذكره لقصة المعتصم العباسي والجارية ويوم عمورية إلا انجراف في تيار القصص الشعبي الذي ينسج على منوال ألف ليلة وليلة وقصة الزير سالم والتغريبة الهلالية والأميرة ذات الهمة، وسواها.

وينسحب على هذا المنوال أيضًا الكثير من الروايات التي تدخل تحت عنوان «الخرافات» من مثل: كيف غمر الطوفان بيوت القبط دون أن تدخل بيوت بني إسرائيل. وكيف أكل الجراد كل شيء لدى الأقباط، في حين لم يقترب إلى أي شيء يمتّ لبني إسرائيل بِصِلَة. وكيف ردّ موسى الجراد بعصاه. وفي السياق نفسه تجري الروايات عن القمل والضفادع وسواها.

أما المبالغات التي تجاوزت كل حدود المنطق والعقل، فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: السلسلة سبعون ذراعًا، كل ذراع سبعون باعًا، كل باعٍ كما بين رحبة الكوفة ومكّة شرّفها الله.

ومات تسع نساءٍ وَجْدًا بيوسف.

في غرفة امرأة العزيز طفل عمره سبعة أيام نادى بأعلى صوته بلسان بيِّن.

بين مخطوط الظاهرية وطبعة الميمنية

أثناء مقارنة المطبوعة البولاقية بمخطوطة الظاهرية ونسخة مخطوطة جامعة بغداد، تبدّت لنا بشكل سافر إضافات كثيرة، وفي مواطن عديدة جعلتنا نعزف عن إثبات الفروقات بينهما في حواشي ملحقة، لأنها سوف تستهلك الكثير من الجهد والوقت، في حين أنه لا طائل منها، وإن كان ذلك يخالف المنهج الذي تلتزم به جمهرة المتخصصين بالتعاطي مع المخطوطات التراثية. على أنه يمكننا إثبات أمثلة ونماذج عن هذه الفروقات بحيث نضيء من خلالها على بقية مادة الكتاب. من ذلك مثلًا:

- والله أعلم: عبارة يوردها الناسخ أو المؤلف بعد كل رواية لحادثٍ أو حدث يحتمل الصدق أو سواه.
- تعالى: لفظة كان يثبتها بشكل دائم بعد لفظ الجلالة، وكذلك لفظة «عزّ وجلّ».

- أعزّ الله أنصاره، جملة كان يعقب بها بعد ذكر اسم السلطان.
- رحمه الله، كثيرًا ما أثبتها بعد ذكر أسماء الشخصيات التي سبق أن غادرت هذا العالم.
- رضي الله عنه، كان يثبتها دائمًا بعد ذكر أسماء الصحابة.

ولعلّ أبرز مثال على هذه الزيادات، ما ورد في الصفحتين ٢٠آ – ٢٠ ب. أعني قصة السهروردي القتيل، وقصة أبي العلاء المعرّي، اللتين لم يرد أي ذكر لهما في المخطوطة المذكورة.

أما ما ورد في رواية الشريشي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، فإنه يبدو وكأنه إعادة صياغة لمادة مكتوبة، مع زيادات كثيرة جدًا، حيث ظهرت المادة وكأنها من كتاب آخر. أما بالنسبة للاختلافات الصغيرة والتفاصيل الدقيقة فحدِّث ولا حرَج.

وقد أحَلْنا القارئ العزيز أثناء المقارنات بين المخطوط والمطبوع إلى النسختين في حواشي الصفحات باستعمال الرمزين (آ) للنسخة المطبوعة، أو نسخة جامعة بغداد، و(ب) للنسخة المخطوطة المشار إليها آنفًا، أو مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

كان المؤلف يشعر بالعميق من الزهْو أمام أقرانه ومعاصريه بما بلغه من مرتبة وقُرب من السلطان وحاشيته والحلقة الضيقة التي تقوم عليها مقدرات السلطة والحكم. تمامًا كاعتزازه وتباهيه بما أنتجه عقله وفكره وقلمه من مؤلفات. وعلى وجه الخصوص كتاب «سُكَّردان السلطان» حيث يقول: «بأن أحدًا لم يسبقه إلى أمرٍ من الأمور»، وفي مكان آخر من الكتاب يقول: «ولا يسبقني أحد إلى التنبيه عليها على هذا الوجه». وهو من الأمور التي تؤخذ على المؤلف، فالقارئ المتتبع هو وحده الناقد الذي يمكن أن يصدر عنه تقييم من هذا القبيل.

ومع ذلك، فإن ما يدلل على أهمية الكتاب والمجهود الكبير الذي بذله المؤلف في شحنه بذخائر الروايات وبدائع الحكايات، لجوء المتأخرين من المؤرخين إلى هذا المخزون الهائل، مثل ابن إياس الحنفي الذي جعله مصدرًا من مصادره الأساسية في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وإلى صفحاته أحال، وخاصة في الجزء الأول من بدائعه، وابن تغري بردي في المنهل الصافي، وابن حجر في الدرر الكامنة، والسيوطي في كتابه حسن المحاضرة، وغيرها.

وهو ما شجعنا على الاهتمام بالكتاب والعمل على إعادة بعثه من جديد، بتحقيق نصوصه، والإضاءة على جميع جوانب ذخائره التي تعكس صورة، وإن جزئية عن الواقع الثقافي والعلمي والأدبي في فترة حكم السلطان الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون، والفترة المتأخرة من حكم المماليك لمصر وبلاد الشام.

تحقيق الكتاب

وقد سلكنا في تحقيق الكتاب المنهج نفسه الذي انتهجناه في سائر تحقيقاتنا، من حيث المحافظة على جوهر النص المخطوط بشكل عام، فلم نسمح لأنفسنا بالتدخّل إلا في نطاق ضيق جدًا، بحيث نغلّب الكتابة المعاصرة والحديثة على أسلوب الخط القديم، مثل: تغيير شكل الكلمات التالية: الحرث إلى الحارث، والثرَي إلى الثرى، وعظايم إلى عظائم، وسفين ومعويه وإسحق إلى سفيان ومعاوية وإسحاق، وكل الكلمات الجارية على هذا النسق، بحيث نخلص المادة من الشوائب التي تركتها الأيام، وأعدنا الحياة إلى النصوص المستقاة من مصادر سابقة لعصر المؤلف أو معاصرة له، من خلال المقارنة بالأصول، مع شروحاتٍ لما استغلق، وتوضيحاتٍ لما غَمُض، بحيث نعيد مادة الكتاب إلى أقرب صورة ممكنة لما كان عليه حين وُضع.

وقد عملنا جهد استطاعتنا في مقارنة النصوص بمصادرها الأصلية، وأثبتنا الإحالات والمقارنات والفروقات إن وُجدت في حواشي الصفحات، وذلك بغية تسهيل الاستفادة من المادة، والتوسّع والاستزادة في حال الرغبة بذلك. على أن في كل ما نعمل أو نسعى إلى عمله يبقى الكمال غاية الأماني. فنرجو أن يجد القارئ في ما قدمنا له صورة واقعية ودقيقة عن الحياة الفكرية والاجتماعية في أواخر أيام الدولة المملوكية، والله ولي التوفيق وهو المستعان في كل حال.

أبو مؤنس

محمد الحجيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطلق الطير بكلمته، وأجرى البحار بقدرته، وجعل مولانا السلطان تاج من جلس على الكرسي من أخوته، وأعز الله فالق رعيته، وصار من الأبدال بعد أخوتها نجيبا بالنسبة الإفاق مرجش طوسته، وترك عد والدين المجذول مشغولا لعلوهمته وأهلك كل ذي هوى ريح صرصر من صيرا قلبه وأسرته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تحميد المجيد الفعال لما يريد، مقرب البعيد وخالق العبد والسيد فمنهم شقي وسعيد، منتهاه دة تسوق قابلها إلى الجنة يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، وتجاوز عنه الملكين إذا سألاه في قبره تأبلفظ من قول الأديب رقيب عتيد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله على حين فترة، وتولى يوم الأحزاب نصره، وسمع الشرك رشيق غليظ ما يكره، وكيف لا وقد أنفذ أمره، وعظم فيما يتشهد من المسلمين أجره، ونزل عليه السبع المثاني والقرآن العظيم على سبعة أحرف تيسيرا لما وعبره، وأسرى به إلى السماء الضابعة سبع ليلة خلت من ربيع الأول بعد سبع سنين من البعثة وقيل قبل ستة أشهر، هذا بعد أن ولد صلى الله عليه وسلم سنة خلت من ملك كسرى الملك العادل فانكفأ به كيد الظلم من القبائل، وخضبت لولد الشرنيا

أوقف هذا الكتاب الوزير المكرم شهباز الأخرم
والي الشام دام في احترام على طلبة العلم وشرط
أن لا يخرج من مكانه إلا لمراجعة تحرير في
سنة ١١٩٠

بأنها بحضاب شنق المصابيل وتصلت لهيبته من لبد الدين المسائل
وعملت في ديوان نصره عمال العمولة وأقام سيوفه في حصاد أعمار المشركين
مقام المناجل وكان صلى الله عليه وسلم في الفخر والعلا أحق بقول القائل

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

من أجلها السبع المثاني أشت وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
منابجد سبع فضه درها فلم رضعتا الباء من لا ترامل
وأولاده سبع كواكب عنهم وفي نام من خلف حكمة الأفاضل
وحراسه سبع أذاجن ليله حموه ولوان للظلام مخافل
وضاهاه سبع في مجالس وفقهم فاجتمعهم مثل البدور الكوامل
ومدحي له في غير سبع وهذه ثنيوني سبعا في الطوال الطول
علوت بها فخرا لعلم الشرف فاقة على أنني بين المساكين نازل

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كثروا وفي الأحزاب زمرة وصفوا
في سبل الخيرات أثره، وأصبحت أسفار وجوههم بأيدي سفرة فهم
الكرام البررة الذين بايعوه تحت الشجرة، وأورقت غصون رماحهم
لسقيا دم الكفرة الفجرة، وبدلهم من المشركين في مرايا سيوفهم تحت
العجاج وجوه يومئذ عليها غبرة، رضي الله عنهم وعن نقلة الصحابة
أجمعين، ولحق بهم من خلفهم من الخلفاء وتبعهم من التابعين

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله الذي أنطق الطيرَ بحكمته، وأجرَى البحار السبعة بقدرته، وجعل مولانا السلطان سابع من جلس على الكرسي[2] من إخوته، فراعى[3] الله تعالى[4] في رعيّته، وصار[5] من الأبدال بعد إخوته النجباء، لما انتشر في الآفاق من حُسْن طويته، وترك عدو الدين المخذول مشغولًا بهمّه لعلوّ هِمّته، وأهلك كلّ ذي هوًى بريحٍ صرصَرٍ من صرير أقلامه وأَسرّته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد، المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، مقرّب البعيد، وخالق العبد والسيِّد، فمنهم شقيّ وسعيد، شهادة تسوق قائلها[6] إلى الجنّة، يوم تأتي ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[7]، وتحاجّ عنه الملكين إذا سألاه في قبره، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[8]. وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله الذي أرسله على حين فترة، وتولَّى يومَ الأحزاب نصرَه،

---

(١) في أعلى الصفحة الأولى أثبت الناسخ الوقفية التالية:
أوقف هذا الكتاب الوزير المكرّم محمد باشا المحترم والي الشام، دام في احترام، على طلبة العلم، وشرط أن لا يخرج من مكانه إلا لمراجعة. تحريرًا في سنة ١١٩٠هـ.
آ: وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

(٢) م: على سرير الملك، والسلطان هو الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون.

(٣) نفسه: فرعى.

(٤) نفسه: عزّ وجل.

(٥) نفسه: وأصبح أعدل.

(٦) آ: شهادة تشهد بشوق قائلها.

(٧) سورة ق ٥٠/ ٢١.

(٨) سورة ق ٥٠/ ١٨. وفي المطبوعة: وما يلفظ من قوله.

وسمَّع[١] الشِّرك برقيق[٢] سيفه غليظ ما يكره. وكيف لا وقد أنفذ أمره، وعظّم فيمن استشهد[٣] من المسلمين أجره، ونزَّل[٤] عليه السبع المثاني والقرآن العظيم على سبعة أحرفٍ، تِبيانًا وعِبْرَه، وأسري به إلى السماء السابعة سابع ليلةٍ خلت من ربيع الأول بعد سبعٍ مضين من البعثة، وقيل قبل ستةٍ من الهجرة.

هذا بعد أن ولد ﷺ سابع سنة خلت من ملك كِسْرَى الملك العادل[٥].

[٢آ] فانكفّ به كفّ الظلم بين القبائل. وخضبت لمولده الثريا/[٦] بنانها بخضاب شفق الأصايل، وتنصّلت لهيبته من أعداء الدين[٧] المناصل، وعملت في ديوان نصره[٨] عمال العوامل، وأقام سيوفه في حصاد أعمار المشركين مقام المناجل. فكان ﷺ في الفخر والعلا أحقّ بقول أبي العلاء[٩]: [من الطويل]

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانهُ ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ[١٠]

فمن أجله السبعُ المثاني أُثبتتْ[١١] ... وفاخرت الشهبَ الحصا والجنادلُ[١٢]

منايِحهُ سبعٌ فللَّهِ درُّها ... فكم رضعت ألبانَهن الأراملُ

(١) م: وأسمع، وفي ب: وسمَّع الشِّرْك بغليظ سيفه أرقَّ ما يكره.
(٢) م: من رقيق.
(٣) نفسه: فيمن.
(٤) نفسه: وأنزل.
(٥) هو كسرى أنو شروان أو كسرى الخير، راجع حول شخصيته الفذة مروج الذهب للمسعودي ١/ ٣٠٥-٣١١.
(٦) م: لمولده الشريف.
(٧) نفسه: من الأعداء.
(٨) نفسه: ديوان سرّه.
(٩) تبلغ القصيدة ٤١ بيتًا كما وردت في شروح سقط الزند، السفر الثاني ٥١٩- ٥٥٢.
(١٠) هو البيت التاسع من القصيدة التي خاطب بها بعض أهل الشام، وكان نزل عليه ضيفًا فأساء معاملته ونسبه إلى التعطيل كما ذكر البطليوسي.
(١١) م: تبينت.
(١٢) العجز مطابق لعجز البيت الثالث والعشرين من القصيدة نفسها، انظر شروح سقط الزند، السفر الثاني ٥٣٧.

وأولادُه سبعٌ، كذا صحّ عنهمُ ... وفي ثامنٍ خُلْفٌ حكته الأفاضلُ
وحُرّاسُه سبعٌ إذا جَنَّ ليلُه ... حَمُوه، ولو أن الظلامَ[١] جحافلُ
وضاهاهُ سبعٌ في محاسن وجهه ... فأوجهُهم[٢] مثلُ البدور كَواملُ
ومدحي له في عام سبعٍ وهذه ... بيوتيَ سبعٌ في الطويل طوايلُ
علَوتُ بها قدرًا[٣] ولم أشكُ فاقةً ... على أنني بين المساكين نازلُ

صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كثّروا في الأحزاب زمره، وقفّوا في سُبُل الخيرات أثره. وأصبحت[٤] أسفار وجوههم بأيدي سَفَره. فمنهم الكرام البَرَرة، الذين بايعوه تحت الشجرة، وأورقت غصون رماحهم بسقيا دم الكفَرة الفجرة. وبدا لهم من المشركين في مرايا سيوفهم تحت العجاج ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[٥]، رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة[٦] أجمعين. وألحق بهم من خَلَفهم من الخلفاء[٧] ومن تبعهم من التابعين/، وحمَى حِما هذه الشريعة الشريفة[٨] [٢ب] المحمدية بأسنة أقلام علمائنا العاملين، وأحيا ما فيها من الموات ببقاء مولانا السلطان محيي العدل في العالمين، السلطان ابن السلطان ابن السلطان الناصر[٩] ناصر الدنيا والدين أبو[١٠] المحاسن حسن، صرّف الله عامل سيوفه في رقاب

(١) في رواية: ولو ان للظلام...
(٢) وفي رواية الأصل: فأجمعهم.
(٣) م: فخرًا.
(٤) آ: وأضحت.
(٥) سورة عبس ٨٠/ ٤٠.
(٦) م: الصالحين، وهو تصحيف.
(٧) م: ومن تبعهم.
(٨) إضافة من م.
(٩) م: الملك الناصر.
(١٠) نفسه: أبي المحاسن حسن، وهو الصواب.

ذوي النفاق، وحرس غرفات قاعاته السبع بملائكة السبع الطباق، ما دارت أيام الجمعة، وأشرقت في لياليها من الثريا نجومها السبعة، شعر مفرد:

آمـينَ آمـينَ لا أرضَـى بواحـدةٍ[١] حتـى أضـيفَ[٢] إليهـا ألـفَ آمينـا

وبعدُ، فلما كانت السبعة من أشرف الأعداد، وكان وجودها بمصر[٣] أكثر من سائر البلاد، ألفتُ منها في هذا الكتاب سنة سبع وخمسين وسبع مائة ما لم أسبق إليه، ولا عثر أحد في الأقاليم السبعة عليه. وسيأتي مصداق هذا الكلام. ولا سيما عند ذكر قصة يوسف الصدّيق عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة[٤] والسلام، وسميته «**سُكردان السلطان**»، لاشتماله على ألوان مختلفة من جدٍّ وهزل، وولايةٍ وعزل، ونصيحة ملوك، وآداب وسلوك، وسير وعِبر، وتغيّر دول، وانتحال ملل، وقطع طريق، وجر مجانيق، وأفعال مَكَره، وأعمال سَحَره، وبيانٍ وتبيين، ومدحٍ وتأبين، ويقظةٍ ومنام، وبِرٍّ وآثام، وقالٍ وقيل، وأهرام ونيل، وغرائب وعجائب، مما تلقفته من أفواه الشيوخ الجِلَّة[٥]، ورويته عن جمعٍ كثرةٍ وقِلَّة، وشاهدته بعين
[٣آ] الحقيقة/ ، والتقطته من التواريخ المعتمد عليها التقاط الزهر من الحديقة. وغير ذلك مما هو في معنى رسالتي «أسنى المقاصد» و«السبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد» مما لا يحصى كثرةً، ولا يقال لمنكره عثرة.

هذا مع ما ينخرط في سلك ذلك من حكايات باهرة، وأحكام كانت للملوك المتقدمة بمصر والقاهرة. فهو ولا سيما بذكر السبع زهرات تأليف ظريف،

(١) م: بسابعةٍ، وهو خطأ واضح.
(٢) نفسه: تضيف إليها.
(٣) نفسه: بمصر المحروسة.
(٤) أضيفت في هامش الصفحة من المخطوط وسقطت من م.
(٥) م: الأجِلّة.

وحضرة تصلح للمقام الشريف. وقلت[١]: [من المجتث]

أي والربيـــع النضـــر وزهـــره المســـتنيرِ
مـــن نـــرجسٍ وأقـــاحِ كـــأعينٍ وثُغـــور
ومـن شـقيقٍ كحسـناء قـد أقبلـت في حريـر
وياسَـــمينٍ كلـــون المتـــيَّم المهجـــور
وطيـب نشْـرِ عبيـر البنفسـج الممطـورِ
والآسِ شِـبْهِ عِـذارٍ بخـدّ ظَبْـي غريـر
والـوردِ أقبـلَ في جيش زهـره[٢] المنصـور

ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب ونتيجة.

أما **المقدمة** ففي ذكر نبذةٍ مما وقع في إقليم مصر من هذا العدد على طريق الإجمال.

وأما الأبواب فهي[٣]:

الباب الأول: في ذكر خاصيّة هذا العدد، وشرفه، ومزيته، على غيره من الأعداد.

[٣ب] **الباب الثاني**: / في بيان ما لمولانا السلطان - أعزّ الله أنصاره[٤]- بهذا العدد من العلاقة، وما بينهما من الشبه[٥]، والسرّ المقتضي لنصره ودوام ملكه.

الباب الثالث: في حدّ إقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد، وذكر نبذةٍ من أخباره وأخبار القاهرة والنيل، وما يجري مجراه.

(١) أضيفت في م.
(٢) م: حسنه.
(٣) سقطت من م.
(٤) سقطت من م.
(٥) آ: النسبة.

الباب الرابع: في ذكر[١] بيان أن مولانا السلطان[٢] سابع من جلس على سرير المملكة[٣] من إخوته، وذكر من وَلِيَ الملك من الترك من أول دولتهم إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار.

الباب الخامس: في ذكر طَرَفٍ يسير من سيرة مولانا السلطان[٤]، وسيرة إخوته وأبيه وعمَّيه الأشرف والصالح، وجده الملك المنصور رحمهم الله[٥].

الباب السادس: في ذكر اتفاقات غريبة وأشياء عجيبة اتفقت لمولانا السلطان ولبعض إخوته وأبيه وعمَّيه الأشرف والصالح وجدّه الملك[٦] المنصور، ولم يسمع بأغرب منها، ولم يسبقني أحد إلى التنبيه عليها على هذا الوجه.

الباب السابع: في تفسير ما[٧] أودعته خطبة هذا الكتاب، والباب الخامس[٨] فيه من الآثار النبوية والنكت الأدبية على سبيل الاختصار.

وأما **النتيجة** التي مدار هذا الكتاب عليها، وعين عنوانه ناظرة إليها، ففي بسط الكلام على ما تقدم ذكره في / المقدمة من هذا العدد، وتفصيل مجمله [١٤آ] وإيضاح مشكله، ويشتمل ذلك أيضًا على سبعة أبواب:

الباب الأول: في ذكر قصة يوسف[٩] عليه السلام، وبسط الكلام على ما وقع فيها من هذا العدد.

---

(١) سقطت من م.
(٢) م: أعزه الله تعالى.
(٣) نفسه: الملك.
(٤) م: نصره الله.
(٥) سقطت من م.
(٦) سقطت من م.
(٧) في م: بعض ما أودعته.
(٨) آ: منه في ذكر شيء من الآثارالنبوية.
(٩) م: سيدنا يوسف.

الباب الثاني: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في قصة موسى وفرعون.

الباب الثالث: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سير الملوك السالفة بمصر، وذكر ما كان لبعضهم من الأعمال[١] العجيبة في السحر وغير ذلك على سبيل الاختصار.

الباب الرابع: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سيرة الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين بمصر، وذكر طرف يسير من أموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشريعة.

الباب الخامس: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك من الحوادث الواقعة بمصر، وما في معناها.

الباب السادس: في بسط الكلام على ما وقع من ذلك[٢] في القاهرة وضواحيها والأهرام ونواحيها من إقليم مصر.

الباب السابع: في ذكر السبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد، وذكر ما قيل فيها من منظومٍ ومنثور وغير ذلك. وذكرت عقيب كل باب من هذه الأبواب السبعة، والأبوابِ التي قبلها سبع حكايات، وسميتها **خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب**، ليصبح بها كل باب حسنًا في بابه، مقبولًا عند أربابه/ . [٤ب]

ومن الله تعالى أستمدّ العناية، فإنّه لا حول ولا قوّة إلا به، فهو حسبي ونعم الوكيل.

(١) م: الأحوال.
(٢) من ذلك: سقطت من آ.

المقدمة

في ذكر نبذةٍ مما وقع في إقليم مصر من هذا العدد على طريق الإجمال

أقول: الذي سبرتُه وحرَّرته من السِيَر وكتب التفسير وغيرها، أن سيدنا[1] يوسق الصدّيق عليه السلام، أقام عند عزيز مصر سبعَ سنين حتى بلغ، ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾[2]، وكانت سبعة أبواب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾[3] الآية. وكان صغير[4] في المهد، وعمره سبعة أيام، ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[5]. فأقام في السجن سبع سنين على قول الأكثرين. ورأى الوليدُ بنُ الريَّان ملكُ مصر ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾[6].

فقصّ ذلك على يوسف فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾[7]. فأدناه الملك عند ذلك. وصرَّفه في جميع الممالك.

---

(١) زيادة من م و آ.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٢٣.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٢٦، وفي المخطوط ب تذكر الآية كاملة.
(٤) الجملة منقوصة وغير واضحة في الأصل.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٣٥.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ٤٣.
(٧) سورة يوسف ١٢/ ٤٧-٤٨.

فكان يركب في كل سبعة أيام إلى الموكب في سبعين ألفًا، وقيل في مائة ألفٍ من عظماء قوم فرعون.

وكان يوسف عليه السلام قد رأى الرؤيا الأولى، وهو ابن سبع سنين. وكانت إخوته إحدى عشرة[١]، سبعة منهم من لَيا بنت لَيان، وهي بنت خال يعقوب عليه السلام. وكان أبوه قد كتب إليه كتابًا حين حبس أخاه بنيامين عنده على الصُّواعَ، كتابًا جاء منه: وإنا [٥آ] أهلُ بيتٍ لا نسرِقُ، ولا/ نِلدُ سارقًا، فارحمْ تُرحمْ، واردُدْ عليَّ ولدي، فإن فعلتَ فالله يجزيك[٢]، وإنْ لم تفعل وإلا دعوتُ عليك دعوةً تدرك السابع من ولدك.

أقول: ومثل هذه[٣] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[٤]. قال علماء التفسير: أراد به الجد السابع. ولما ذهب يهوذا بالقميص وألقاه على وجه أبيه، مشى ثمانين فرسخًا في سبعة أيام. وكان معه سبعة أرغفة لم يستوفِ أكلَها حتى وصل إلى أبيه يعقوب عليه السلام[٥]. وسورة يوسف نفسُها[٦] نيِّفٌ وسبعة آلاف حرف. وفي ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٧] سبعة أقوال للمفسرين[٨]، رحمة الله عليهم أجمعين.

قلت: ويوسف عليه السلام من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظِلّ إلا ظِلُّه، لأنه دعته امرأة ذاتُ حُسْنٍ[٩] وجمال، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ

(١) كذا في ب، وفي م: أحد عشر، وهو الصواب.
(٢) ب: يجزيك خيرًا.
(٣) في م: هذا.
(٤) سورة الكهف: ١٨/ ٨٢.
(٥) زيادة من م، وفي آ: إلى ابنه يوسف، وهو خطأ واضح.
(٦) في م: أصلها.
(٧) سورة يوسف ١٢/ ٢٣.
(٨) تفسير الطبري ١٦/ ٢٤-٣٢.
(٩) م: منصب.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]. وسيأتي بسطُ الكلام على هذا جميعه عند ذكر قصته في بابها من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وكان آخرُ مناجاة موسى عليه السلام: «يا ربِ أَوصني». قال: أوصيكَ بأمك. قاله سبع مرات. وحشر فرعونُ السحَرةَ[٢]. وكانوا من سبع مدائن، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾[٣] وكانت سبعة[٤] خلجان. وكان فرعون قصيرًا، وطول لحيته سبعة أشبار.

وخرج موسى ببني إسرائيل في ست مائة ألف وسبعين ألف مقاتل، فخرج فرعون في طلبه وعلى مقدمة جيشه هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف مقاتل، وكان فيهم سبعون ألفًا من دُهْم الخيل. وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف. وأرسل الله تعالى عليه وعلى قومه الطوفان سبعة أيام، والجراد سبعة أيام، والقملَ سبعة أيام، والضفادع سبعة أيام، والدمَ سبعة أيام. وسيأتي بَسْطُ الكلام جميعه عند ذكر قصته إن شاء الله تعالى/. [٥ب]

ومَلكَ مصرَ سبعةٌ من السَّحَرة، وكانَ[٥] لهم أعمالٌ عجيبة إلى الغاية، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ولبس الحاكم صاحب[٦] مصر الصوف سبع سنين، ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات سبع سنين وسبعة أشهر، ووجد مقتولًا في سبع جِباب،

(١) سورة المائدة ٥/ ٢٨.
(٢) م: سحرة المدائن، وفي آ: من المدائن.
(٣) سورة الزخرف ٤٣/ ٥١.
(٤) م: سبع.
(٥) في م: كانت.
(٦) هو منصور بن نزار أبو علي الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٦/ ٣٩٤ رقم ٢٧٧؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٩٢ رقم ٧٤٢.

وسيأتي ذكر أحكامه القبيحة ولعنته الصريحة في بابه، إن شاء الله تعالى.

واتفق أن بعض الأمراء الكبار بمصر سأل جماعةً من العلماء[١] عن ليلة القدر، فقال له بعضهم: هي في العُشْر الأخير[٢] من شهر رمضان [في ليلة السابع والعشرين منه][٣]، وذكر ما رواه الحافظ أبو الخطاب عمر بن دِحْية بسنده في كتابه «العِلْم المشهور[٤] في فضائل الأيام والشهور» عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: دعا عمر ﷺ أصحاب محمد ﷺ، فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر من رمضان[٥]. قال ابن عباس: فقلت: إني لأعلم، أو إني لأظن أي ليلة هي. قال عمر: وأي ليلة هي. فقلت سبع تمضي أو سبع تبقى[٦] من العشر الأواخر. فقال عمر: من أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس ﷺ: فقلت: خلق الله عز وجل سبع سموات وسبع أرضين، في سبعة أيام، وإن الدهر يدور على سبع، والطواف بالبيت الشريف سبع، ورمي الجمار سبع، وخلق الله ابن آدم من سبع، ويأكل من سبع.

قال: فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له. فلما فهم الأمير المشار إليه مراده، واستحسن إيراده، أخذ في سرد ما يحضره من هذا العدد حتى انتهى إلى قوله: والمعادن سبع، والألوان سبع[٧] / وأبواب جهنم -أعاذنا الله منها- سبعة، والفاتحة [٦آ] التي هي أم القرآن سبع آيات، ولا إله إلا الله محمد رسول الله، سبع كلمات.

(١) في م: الفقهاء.
(٢) في م: الأواخر.
(٣) الزيادة من آ.
(٤) في م: المنشور.
(٥) إضافة من م.
(٦) إضافة من م، وفي آ: فقلت: في سابعة تبقى أو سابعة تمضي.
(٧) في م: سبعة.

فلما سكت، قال له بعض الحاضرين من فقراء العجم كالمستدرك عليه: يا مولانا، ورَنْك الملك الظاهر بيبرس سبع. فنظر الحاضرون إليه، وانقلب المجلس ضحكًا عليه. وفي القاهرة إلى الآن إنسان يعرف بابن سبع.

وفي هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وسبع مائة، كتب إليّ الشيخ الأديب جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصري[١] رسالة مطوّلة تشتمل على مقاطيع، من جملتها قوله[٢]: [من الخفيف]

يا إمامَ التّقَى مضى نصفُ[٣] عامٍ ... لم أَنَلْ فيه من وصوليَ ربعُ
سَنةٌ إنْ غفلتَ عنيَ فيها ... كسرتني وكيف لا وهي سَبْعُ

وقوله ملغزًا فيمن اسمها «مليحة»[٤]: [من مخلع البسيط]

تفترسُ النّاسَ في هواها ... مالكةٌ للقلوب تدعُو
مَليحةٌ حجبَتْ وشاعَت ... فخابَ طَرْفٌ وفاز سَمْعُ[٥]
عجيبةُ الاسم، قيل خمسُ، ... وقيل سِتٌّ وقيلَ سَبْعُ

فكتبت إليه الجواب عن قوله هذا، من جملة رسالتي الموسومة «برسالة الهدهد»، فقلت:

«رجع القول في وصف شرف مولانا السلطان الذي اشتمل على[٦] إحراق قلب الحسود، على[٧] تلويح وتصريح، وأتت ألغازُه من المذكر والمؤنث بكل

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٣١١ رقم ١٩٩.
(٢) ديوان ابن نباتة ٣١٨.
(٣) الديوان: ربعُ، وعجز البيت: من وصولي ولم يصل ليَ رَبْعُ، وفي آ: لم يكن.
(٤) ديوان ابن نباتة ٣١١.
(٥) نفسه: فخاب طِرْسٌ وفاز شمعُ.
(٦) في م: من.
(٧) من تلويح.

مليحة ومليح، فأطربت بأوتار سطورها السَّمع، وقالت لجنود أفكار/[١] [٦ب] المتأدبين: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾[٢]. وأحجم عن الخوض في شريعتها كل قائل[٣]: وما لي طاقة بلقاء سبع». ومن جملة هذه الرسالة، قولي أيضًا في «مدرسة شيخون»[٤]: [من الطويل]

ومدرسةٍ للعلم فيها مَواطِنٌ فشَيخُونُها فَرْدٌ وإيثارُه[٥] جمعُ
لئن بات منها في القلوب مَهابةٌ فواقِفُها لَيْثٌ وأشياخُها سَبْعُ

وقلت أيضًا:

في هذه السنة، من جملة ما كتبت به على الرسالة الموسومة بـ «الدرّة السَّنية والوسيلة النبوية»، أنشأ مولانا السلطان أمير المؤمنين أبو[٦] عنان ملك الغرب شعرًا: [من الطويل]

عريقٌ له في الملك مجدٌ مؤَثَّلٌ وبيتٌ قديمٌ في الفَخار قد امِسُ
وآباؤه مِمَّن حَوَى المُلْكَ قبلَهُ لهم أولٌ عالي المحل وسادسُ
فأمسوا به كالسبعةِ الشُهْب في السما وخُدّامُهم فيها الجوارِ الكوانِسُ

(١) في م: لأفكار.
(٢) سورة القمر ٥٤/ ٤٥.
(٣) في آ: كل خائض قائلا.
(٤) شيخو: ويرد أيضًا شيخون العمري عضو مجلس المشورة فترة حكم السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون، راجع كتاب السلوك للمقريزي ٢/ ٥ ص ٧٤٦-٨٤٨؛ وأعيان العصر للصفدي ٢/ ٥٣١ رقم ٧٧٨؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٤؛ والوافي للصفدي ١٦/ ٢١١ رقم ٢٤٠؛ والدرر الكامنة ٢/ ٢٩٣؛ والمنهل الصافي ٦/ ٢٥٦ رقم ١١٩٢.
(٥) م: وإيثارها، وفي حسن المحاضرة للسيوطي: فشيخو بها. وفي سائر المصادر: فشيخونها.
(٦) في الأصل: أبي، وهو خطأ، والتصويب من م.

ومنها:

ولله مـــا أنشـــأته مـــن رســـالةٍ بـــدرَّتها العقـــدَ النفـــيسَ تنـــافسُ
مـدحتُ بهـا أعلـى النبيـين رِفْعـةً[1] إذا ارتفعـتْ يـومَ المعـادِ المجـالسُ
نبـيٌ عـلا السـبعَ الطبـاقَ بنفسـه ومـا للعـلا إلا النفـوسُ النفـائس
لَـئن كنـتُ في الزُلْفَـى برؤيـاه طامعًـا فمـا أنـا مـن نيـل الشـفاعة آيـسُ
عليـه مـن الـبرّ السـلامُ تحيـةً تَضوعُ وأنفُ الكُفرِ بالرغم عاطِسُ[2]
وصـلى عليـه اللهُ مـا ذُكِـرَ اسـمُه ولاحَ بوجـهِ الأرض رَطْـبٌ ويـابسُ

وهذا القَدْر كافٍ في هذا الموضع، وسيأتي الكلام على السبع زهرات [٧آ] والتاج/ والسبعة وجوه، وغير ذلك في بابه إن شاء الله تعالى.

(١) في م: رتبةً.
(٢) في م: عَاكسُ.

الجزء الأول

الباب الأَوَّل
في ذكر شرف هذا العدد[1]،
وخاصيته ومزيته على غيره من الأعداد

أقول: الدليل[2] على شرف هذا العدد وخاصيته على غيره من الأعداد من سبعة أوجه:

أحدها:

قال صاحب «النسمات الفائحة» وغيرُه من أرباب علم الرياضة: السبعة أول عدد كامل[3]، لأنها جمعت العدد كله، لأن العدد أزواج وأفراد، فالأزواج منها أولٌ وثانٍ، فالاثنان[4] أول الأزواج، والأربعة عدد ثانٍ، والثلاثة أول الأفراد والخمسة فردٌ ثانٍ، فإذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني، أو الفرد الأول مع الزوج الثاني، كانت سبعة، وهذه الخاصية لا توجد في عددٍ قبل السبعة.

الثاني:

ما حكاه بعض المفسّرين، أن العرب تبالغ بالسبعة، لأن التعديل في نصف العدد وهو خمسة، إذا زيد عليه[5] واحد، كان لأدنى المبالغة. وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولا زيادة على ذلك.

---

(١) المقصود به الرقم -٧- سبعة.
(٢) في آ و ب: الكلام عليه من سبعة أوجه.
(٣) في آ و ب: أول الأعداد الكاملة.
(٤) في ب: فالاثنين، والتصويب من آ.
(٥) في آ: عليها.

الثالث:

قال الأستاذ أبو علي الكفيف المالقي في واو الثمانية أنها لغة فصيحة لبعض العرب، من عادتهم[١] أن يقولوا إذا عدّوا واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، تسعة، عشرة، فهكذا هي لغتهم. ومتى جاء من كلامهم أمر الثمانية أدخلوا الواو. انتهى.

أقول: وإنما كان ذلك عندهم كذلك لأن السبعة عندهم عدد كامل، والعدد بعدها مستأنف. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٢] فأثبت الواو بعد السبعة ولم يثبتها فيما تقدم من الأعداد. واللغة الفصيحة التي أشار إليها / هي لغة قريش فيما حكاه الثعلبي[٣] عن أبي بكر عن ابن عباس[٤]. [٧ب]

الرابع:

قال ابنُ عطية في تفسيره[٥]: وقد جعل الله تعالى السبع مائة والسبعين والسبعة مواقف ونهايات لأشياء عظام، فلذلك مشى العرب وغيرهم على أن يجعلوها نهايات، انتهى.

أقول: ويؤيد قوله هذا سبعة مواضع في كتاب الله تعالى

أحدها: قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٦] ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) في م و آ: من شأنهم أن يقولوا إذا عدّوا: واحد اثنين ثلاثة...
(٢) سورة الكهف ١٨/ ٢٢.
(٣) هو أحمد محمد بن إبراهيم أبو إسحق النيسابوري، ترجمته في طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٦٥ رقم ٥٩.
(٤) في م و آ: عن أبي بكر بن عياش.
(٥) هو عبد الحق بن غالب المحاربي، ترجمته في المعجم لابن الأبار ٢٦٩ رقم ٢٤٠؛ وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٦٠.
(٦) سورة التوبة ٩/ ٨٠.

سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[١]. على أنه ليس المراد بذكر السبعين هنا حدًّا محدودًا[٢] لوجود المغفرة بعدها، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد، بدليل مارواه مجاهد وقتادة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «سَوفَ أستغفُر لَهُمْ أكثرَ من سبعين مرة». فأنزل الله عليه: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾[٣] قيل: اختار من اثني عشر سبطًا، من كل سبطٍ ستةً. فلما صاروا اثنين وسبعين قال: ليتخلف منكم اثنان. قال: فتشاجروا. فقال: أجرُ من قعد مثل أجر من خرج. فقعد كالب ويوشع بن نون.

وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخًا، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرةً ليكمل بهم السبعين، فاختارهم، فأصبحوا شيوخًا. قال ابن إسحق: اختارهم موسى عليه السلام ليستغفروا مما صنعوا ويسألوا «الله تعالى»[٤] التوبة على من تركوا وراءهم ممن عبد العجل.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾[٥].

قيل: السلسلة سبعون ذراعًا، كل ذراعٍ سَبعون باعًا، كل باعٍ منها[٦] كما بين رحبة الكوفة ومكة / شرَّفها الله تعالى. [١٨آ]

(١) سورة المنافقون ٦٣/ ٦.
(٢) في الأصل حدٌّ محدودٌ، والتصويب من م.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ١٥٥.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) سورة الحاقة ٦٩/ ٣٢-٣٤.
(٦) إضافة من م.

وفي الحديث: «لو أُرسلت رُضاضةٌ[١] يعني صخرة[٢] بقدر رأس الجبل من السماء إلى الأرض. لبلغتها قبل الليل، ولو أُرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليلَ والنهارَ قبل أن تبلغ أصلَها أو قَعْرها[٣]. وروي أن جميع أهل النار فيها[٤]. وروي أنها تدخل من دبر الكافر وتخرج من فيه، وقيل من أنفه».

قال الزمخشري في الكشاف[٥]، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ دليلان قويان على عِظَم الجُرم في حرمان المسكين، أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينه. والثاني ذكر الحضّ[٦] دون الفعل، ليعلم أن تارك الحضّ بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل؟

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه كان يحرِّض امرأته على كثرة المرَق لأجل المساكين ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع النصف الآخر بالحضّ؟!

الرابع والخامس: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[٧] الآية.

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: وقد أكثر اللهُ سبحانه وتعالى من ذِكْر السموات والأرض في كتابه العزيز، وذلك يدل على عِظَم شأنهما، وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسرارًا عظيمة، وحِكَمًا بالغةً، لا تصل إليها أفهام الخَلْق

(١) في م: رضراضة، وانظر الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١٠/ ٧٢٥ وسنن الترمذي، باب صفة جهنم، الحديث رقم ٢٥٨٨.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: وأشار إلى مثل الجمجمة.
(٣) الزيادة من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
(٤) سقطت من آ.
(٥) الكشاف للزمخشري ١٢٢٣.
(٦) في ب: الحظ وهو خطأ نسخي.
(٧) سورة الطلاق ٦٥/ ١٢.

ولا عقولُهم. وقد جعل الله أَديمَ السماء ملونًا بهذا اللون الأزرق لتنتفعَ بها[١] الأبصار الناظرة إليها، لأن فيه تقويةً لها، حتى إن الأطباء يأمرون من أصابه وجع العين بالنظر إلى الزرقة.

فهو تعالى جعل لَونَها أحسنَ الألوان، وهو المستنير، وشكلها أحسن الأشكال وهو المستدير. وقد زينها تبارك وتعالى بسبعة أشياء: بالمصابيح وبالقمر وبالشمس وبالعرش وبالكرسي وباللوح وبالقلم، فهذه السبعة / ثلاثة فيها ظاهرة، وأربعة فيها خفية، ثبتت بالدلائل السمعية، من [٨ب] الآيات والأخبار.

السادس والسابع: قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٢].

وجهُ استنباط السابع[٣] من هذه الآية الكريمة، أن الحبة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فصارت الجملةُ سَبْعَ مائةِ حَبَّةٍ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

الخامس من أصل الباب: قال بعضُ المفسِّرين: السبعة عدد مقنع، لأنها في السموات وفي الأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وفي أعضائه التي بها يطيع الله تعالى وبها يعصيه، وهي عيناه وأذناه ولسانه وبطنه وفَرْجه ويداه ورِجْلاه.

قال الإمام فخر الدين «الرازي» في أسرار التنزيل: لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله. سبعُ كلماتٍ، وللعبد سبعةُ أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمةٍ من هذه الكلمات السبع تغلق بابًا من الأبواب السبعة عن عضوٍ من الأعضاء السبعة.

---

(١) ب: به.
(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٦١.
(٣) م: السبعمائة، وهو خطأ.

السادس: قوله ﷺ: المؤمنُ يأكل في مِعىً واحدٍ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء[١]. قال الإمام فخرالدين الرازي: في هذا إشارة إلى قِلّة الأكل وكثرته من غير إرادة السبعة بخصوصيتها. ويقال إن لجهنم سبعة أبواب بهذا التفسير.

أقول:

ولأهل العلم الشريف في هذا الحديث أقوال، منها: أن النبي ﷺ ضرب هذا مثلًا للزهادة في الدنيا والحرص عليها، فجعل المؤمن لقناعته باليسير من الدنيا كالآكل في مِعىً واحدٍ، وجعل الكافر لشدة رغبته في الدنيا كالآكل في سبعة أمعاء. / قال أبو محمد ابن السِّيد البطليوسي: وهذا أصح الأقوال. [٩آ]

السابع: ما ألهمني اللهُ تعالى إليه من استقراء حال هذا العدد، وذلك أن حروفه الثلاثة هي «س ب ع»، وما تصرَّف منها بتقديم بعضها على بعض وتأخيره محتمل[٢] ست تركيبات، خمسةٌ منها مستعملة في كلام العرب، وواحد مهمل، والخمسة المستعملة وما تصرَّف منها لا يخلو عن معنى القوة والعظمة. بيان ذلك أن مادتها الأصلية:

الأولى: «س ب ع»، يقال: سبعته، أي شتمته ووقعت فيه، وسَبَّعتِ الذئابُ الغنمَ أي افترستها فأكلتها، والسبُع والسبُعة - بضم الباء فيهما - الأسد واللبوة، ويجوز سكونُ الباء فيهما. قال الشاعر: [من الطويل]

لسانُ الفتىَ سَبْعٌ عليه شِداتهُ

وجاء في كلامهم: أخذَه أَخْذَ سَبْعةٍ - بسكون الباء - أي أخذته لَبوة، وإنما قالوا: أَخْذَ سَبْعةٍ[٣]، ولم يقولوا: أَخْذَ سبعٍ، لأن اللبؤة أَنْزقُ من الأسد.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معى واحد برقم ١٠٦١.
(٢) كذا في ب، وفي م: يحتمل، وهو الصواب.
(٣) سقطت من ب.

الثانية: مادة «س ع ب»، السَّعابيب من الماء هو الصافي الجاري الذي فيه تمدّد وقوّة.

الثالثة: مادة «ب س ع»، مهملة لم تستعملها العرب، ولا وضعت لها مثالًا فيما أظن، لأنني كشفت عليها في صحاح الجوهري والمحكم لابن سِيْدَة، فلم أرَ أحدًا منهما ذكر لها مثالًا، ولا تعرَّض لها[١] وهما ما هما.

الرابعة: مادة «ب ع س»: قال في المحكم: البَلْعَسُ: الناقة الضخمة.

الخامسة: مادة «ع ب س»: عَبْس أبو قبيلةٍ من قيس، والعَبوس: الحمع الكثير، ويومٌ عَبوس وعابس أي شديد: قال الله تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٢].

والعوابس: الذئاب العاقدة أذنابها[٣]، والعَنْبَس: الأسد./ [٩ب]

السادسة: مادة «ع س ب»: عَسيب اسم جبل، قال امرؤ القيس[٤]:

وإني مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

واليعسوب: ملكُ النحل وأميرُها. وقال أمير المؤمنين[٥] علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هذا يعسوبُ قريش أي سيدها، وكل رئيس قوم يسمّى يعسوبًا. واليعسوبُ أيضًا اسم فرس النبي ﷺ.

واليعسوب أيضًا غُرّةٌ في وجه الفرس مستطيلة تنقطع من قبل أن تساوي أعلى المنخرين. واليعسوب أيضًا: طائر أعظم من الجرادة، طويل الذنب لا يضم جناحيه إذا وقع على الأرض، تشبه به الخيل في الضمر.

---

(١) زيادة من م.

(٢) سورة الإنسان ٧٦/ ١٠.

(٣) م و آ: القاعدة على أذنابها.

(٤) شرح ديوان امرئ القيس للسندوبي ٧١ رقم ١١، هذا عجز بيت، وصدره كما جاء في شرح الديوان: أجارتنا إن المزار قريبُ.

(٥) في ب: أمير النحل.

أقول:

واليعسوب أيضًا نوع من الحَجَل، وهو أعظمها. فقد ظهر بهذا الاستقراء والعمل، مزية هذا العدد على غيره، وأن القوة لا تنفكّ عنه، حيث لزمت تصاريف حروفه، ودارت معها حيثما دارت. وهذه طريقة تسمى الاشتقاق الأكبر. ولم يتعرض إلى ذكرها من العلماء إلا القليل كابن جني في الخصائص وابن الخبّاز في شرح الإيضاح، لما تكلم على هذا الكلام.

وقد استقريت ما وقفت عليه من كتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أرَ عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد. ومن تصدَّى لذلك علم صحة ما قلته. ومعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى، وأن من أحب شيئًا أكثر من ذكره.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها:

أقول: قد تقدّم أن اليعسوب هو ذكر الحَجل. ومن عجيب ما يحكى عنه ما حكاه أبو حيان التوحيدي في كتاب «الإمتاع / والمؤانسة»، أن الحجل يأتي [١١٠آ] أعشاش نظرائه من الحجل ويأخذ من بيضها ويحضنه، فإذا تحرك الفراخ وصار لها قوة على الطيران، طارت ولحقت بأمهاتها التي باضتها، وهذا من العجائب[١]. وحكى الزمخشري في ربيع الأبرار، أن الحجلة تكون في سفالة الريح، واليعسوب في أعلاها[٢]، فتلقح كما تلقح النخلة من الفحال بالريح.

ثانيها:

حكى القاضي شمس الدين ابن خلكان في تاريخه[٣]، والشيخ شمس الدين الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام في ترجمة العماد الكاتب: أن العقاب ليس فيه ذَكَرٌ «بل جميعه أنثى[٤]» وأن الذي يسافده حيوان[٥] آخر من غير جنسه، قيل الثعلب أو غير ذلك، وفي ذلك يقول ابن عنين[٦]: هجوًا، مفرد: [من الكامل]

مـــا أَنـــتَ إلا كالُعقـــاب فأمُّـــه معلومـــةٌ[٧] ولـــه أبٌ مجهـــولُ

(١) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ١/ ١٨٨.
(٢) آ: في علاوتها.
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٥٢ رقم ٧٠٥؛ وتاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة ٥٩٧هـ.
(٤) الزيادة من وفيات الأعيان.
(٥) وفيات الأعيان: طائر.
(٦) ديوان ابن عنين ٢٣٦.
(٧) نفسه: معروفة، والبيت هو الثاني ضمن بيتين قالهما في هجاء ابن سيدة، والأول هو:
قل لابن سيده وإن أضحَى له خَـوَلٌ تُـدِلّ بكثـرةٍ وخيـولُ

ثالثها:

حكى الشيخ الإمام الحافظُ شمسُ الدين الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» أيضًا أنه ورد كتاب إلى القاهرة من السلطان محمود بن سبكتكين[١] في سنة أربع عشرة وأربع مائة، يذكر فيه أنه أوغل في بلاد الهند حتى جاء إلى قلعة فيها ست مائة صنم[٢]. قال: وأتيت إلى قلعة ليس لها في الدنيا نظير، وما الظن بقلعةٍ تسع خمس مائة فيل وعشرين ألف دابّة، وتقوم لهؤلاء بالعُلوفة.

وأعان اللهُ تعالى حتى طلبوا الأمان، فأمّنتُ ملكَهم، وأقررته على ولايته بخراج ضُرِبَ عليه، وأنفذ هدايا كثيرة من جملتها طائر على شكل القُمْري، إذا حضرَ على الخِوان وكان فيه شيءٌ من السُّمّ دمعت عينه، وجرَى منها ماء وتحجّر، فيُحكّ ويُطْلَى بما تحلّل منه الجراحات، فيلحمها على الفور، وهذا من العجائب[٣]./ [١٠ب]

رابعها:

حكى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتابه «الجليس والأنيس» عن محمد بن مسلم السعدي قال: وجّه إليّ يحيى بن أكثم[٤] يومًا، فصِرتُ إليه، فإذا عن يمينه قمطرة مجلدة، فجلست. فقال: افتح هذه القمطرة، ففتحتها، فإذا شيءٌ قد خرج إليَّ منها، رأسُه رأسُ إنسانٍ، وهو من أسفله إلى سُرَّته[٥] زاغ، في صدره سلعتان[٦]،

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٥/ ١٩٦- ٢٠٠ رقم ١٣٥.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٢١-٤٤٠) ٦٨.
(٣) في م: بما تحلل منه الجرح فيبرأ على الفور و يلتحم.
(٤) هو القاضي المشهور زمن المأمون العباسي، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٧/ ٧٠ رقم ٧٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ١٧٤ رقم ٧٩٣.
(٥) في م: ومن سُرَّته إلى أسفله، والزاغ طائر يشبه الغراب أصغر منه، انظر لسان العرب.
(٦) شجتان أو ما شابههما.

فكبّرت وهلّلت، وفزعت، ويحيى يضحك. فقال لي بلسانٍ فصيح طَلْق ذَلِق: [من الهزج]

أنـــا الـــزاغُ أبـــو عَجْـــوَهْ ... أنـــا ابـــنُ الليـــثِ واللبْـــوَهْ
أُحـــبُّ الـــراحَ والرَّيحـــ ... ـــانَ والنشْـــوةَ والقهـــوَهْ
فـــلا عـــدوَى بـــذي تُخشَـــى ... ولا يُحـــذَرُ لـــي سَـــطْوَه
ولـــي أشـــياءُ تُســـتَظرفُ ... بعـــد[1] العُـــرْس والـــدَعْوَه
فمنهـــا سِـــلْعَةٌ في الظهـــ ... ـــر لا تســـترها الفَـــروَه
وأمـــا الســـلعةُ الأخـــرَى ... فلـــو كـــان لهـــا عُـــرْوَه
لمـــا شَـــكّ جميـــعُ النـــا ... س فيهـــا أنهـــا رَكْـــوَه

ثم قال: يا كَهْل، أنشدني شعرًا غَزِلًا. فقال لي يحيى: قد أنشدَكَ فأنشِدْهُ، فأنشدته أقول: [من الطويل]

أَغـــرَّكَ أَنْ أذنبـــتَ ثـــم تتابعـــتْ ... ذنـوبٌ فلـم أهجـركَ ثَـم ذنـوبُ[2]
وأكثرتَ حتى قلتَ: ليس بصارمي ... وقـد يُصـرمُ الإنسـانُ وهـو حبيـبُ

فصاح: زاغ. زاغ[3]، ثم طار وسقط في القمطرة. فقلت ليحيى: أعز الله القاضي، أوَعاشق أيضًا؟ فضحك، فقلت: أيها القاضي، ما هذا؟ فقال: هو ما ترى، وجّه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعدُ. وكتب معه كتابًا فلم أفضضه، وأظن أنه ذكر فيه شأنه وحاله. وهذا من العجائب[4]./ [١١آ]

(١) في آ: كيوم.
(٢) في آ: ثم أتوب.
(٣) في آ: زاغ زاغ زاغ، ثلاث مرّات.
(٤) في آ: انظر مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧/٢١٦.

خامسها:

حكى الثعالبي في كتاب «العرائس» أن الهدهد يرى الماء تحت الأرض كما يرى أحدُكم الشراب في كأسه[١]، فينقر الأرضَ، فيعرف موضع الماء فتستخرجه الشياطين.

قال سعيد بن جبير: حين ذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث، قال له نافع الأزرق: أرأيت قولك الهدهد ينقر الأرض فيبصر الماء ببصره، ولا يبصر الفخ حين يقع في عنقه؟

فقال ابن عباس: ويحك إذا نزل القضاء عَميَ البصر.

أقول: وقريب من هذا ما حكاه أبو الهيثم: أن الغرابَ يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره. قال ابن الأعرابي: وإنما سمّت العرب الغراب: أعور، لأنه يغمض أبدًا إحدى عينيه مقتصرًا على إحديهما[٢] من قّوة بصره. وقال بشار بن برد[٣]: [من الطويل]

وقد ظلموه حين سَمَّوه سيدًا كما ظَلَمَ الناسُ الغرابَ بأعورا

وقدَ ظَرُفَ بعضُهم[٤] حيث قال: [من السريع]

والأعورُ الممقوتُ مع بغضه خيرٌ من الأعمى على كل حالِ

سادسها:

حُكِيَ أن في بحر المغرب من جهة الأندلس جبلًا منقورًا، وفيه كنيسة مشروط على من بها من الرهبان ضيافة الزوار، وتعرف بكنيسة الغراب، لأن في

(١) كذا في م، وفي ب: كما يرى أحدكم كأسه.
(٢) في م: الأخرى.
(٣) ديوان بشار بن برد ١١٧، والبيت غير موجود في النسخة التونسية من الديوان.
(٤) في م: ظرف بعضهم ولطف.

أعلاها قبة كبيرة، وعليها غراب لا يبرح، ولا يُدرَى[١] من أين يأكل. فإذا قدم زائر واحد[٢] أو أكثر، أدخل الغرابُ رأسَه في روزنةٍ بأعلى القبة، وصاح بعددهم. فإذا كان الزائر واحدًا، صاح مرةً واحدة، وإن كان الزوار سبعةً صاح سبع مراتٍ، وإن كانوا أكثر من ذلك صاح بعددهم، وهذا من العجائب.

سابعها:

جبلُ الطير بصعيد مصر الأدنى، مطِلٌّ على النيل، فيه أعجوبة لم يُرَ مثلها في سائر الأقاليم، وهي باقية إلى يومنا هذا. وحُكي[٣] أنه إذا كان / آخر فصل الربيع، قدم [١١ب] إليه في يوم معلوم طيور كثيرة بُلْق سُودُ الأعناق، مطوَّقات الحواصل، سودُ أطراف الأجنحة، في زُعاقها بَحاحةٌ، يقال لها طير البحّ، لها صياح يسدّ الآفاق، فتقصد مكانًا في ذلك الجبل، فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في شِعْب الجبل عالٍ لا يمكن الوصول إليه، فإن عَلِقَ تفرقت الطيور عنه، وإن لم يعلق تقدم غيره وضرب بمنقاره في ذلك الموضع[٤]. واحد بعد واحد إلى أن يعْلق واحد منها، فيبقى معلقًا بمنقاره، فتتفّرق عنه الطيور حينئذٍ، وتذهب إلى حيث شاءت، فلا يزال معلقًا بمنقاره حتى يموت، فيضمحلّ في العام القابل ويسقط. فتأتي الطيور على عادتها في السنة القابلة، فتعمل العمل المذكور. وقد أخبرني بهذا غير واحد من المصريين ممن شاهد ذلك، وهذا مشهور معروف بمصر إلى يومنا هذا.

وحكى بعضهم أنه رأى في بعض السنين طيرًا تعلّق بمنقاره وتفرقت عنه الطيور، ثم اضطرب اضطرابًا شديدًا، وأطلق نفسه والتحق بالطيور، فدارت عليه

(١) في م: يُعلم.
(٢) في م: زائر واحد أو أكثر.
(٣) في م: وذلك أنه.
(٤) في م: وهكذا واحدٌ بعد واحد.

وجعلت تنقره بمناقيرها، إلى أن عاد وتعلق بمنقاره في ذلك الموضع. وهذا من العجائب التي لم يُسمَع بأغرب منها.

وأما حديث الرخّ والعنقاء وغير ذلك، فقد ذكرته في كتابي «غرائب العجائب وعجائب الغرائب». وفي عجائب المخلوقات قال أبو بكر الموصلي: سمعتُ من أعيان ذلك المكان أن العام إذا كان مخصبًا يقبض الكُوّة على طائرين، وإذا كان متوسطًا يقبض على طائر واحد، وإن كان جدبًا لم يقبض على شيء، والله أعلم[1].

(١) هذا المقطع لم يرد في م، و آ.

الباب الثاني

في بيان ما / لمولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره [١١٢آ]
بهذا العدد من العلاقة، وما بينهما من المناسبة،
والسر المقتضي لنصره ودوام ملكه،

وذلك من سبعة أوجه:

أحدها: أنه أعز الله أنصاره وأدام علوّه واقتداره[١] سابعُ من جلس على سرير الملك من إخوته. وسيأتي بيان ذلك في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

الثاني: أنه وافق والده السلطان الملك الناصر الشهيد في سبعة أشياء، منها ما هو غريب إلى الغاية. وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في الباب السادس.

الثالث: أن الله تعالى خص إقليم مملكته من هذا العدد بما لم يخصّ به إقليمًا غيره، لما تقدم ذكره في المقدمة، ولما يأتي ذكره في بقية الأبواب من هذا الكتاب.

الرابع: أن له بانقضاء هذه السنة المباركة التي هي سنة سبع وخمسين وسبع مائه سبع سنين في الملك.

الخامس: أن قاعاته المحروسة سبع قاعات متوالية بقلعة الجبل المحروسة.

السادس والسابع: أنه داخل تحت قوله ﷺ: «سبعة يظلهمُ اللهُ تعالى يوم القيامة في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه»... الحديث[٢]، لأنه إمام عادل، وشاب نشأ في

---

(١) زيادة من م.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ١١/ ٣٩١؛ أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، الحديث رقم ١٠٣١.

عبادة الله تعالى. فلما وافق هذا العدد المذكور من هذه الوجوه السبعة، وكان - أعني هذا العدد السابع - عند أهل علم الفلك، من الأوتاد الثابتة. دَل ذلك على ثبات مُلكه، ودمار عدوه وهُلكه، وعظم شأنه، وقوة سلطانه، وتشييد أركانه، ونصره على أعدائه[1].

لأن التصريف الذي يكون من السين والباء والعين شديد الأسر من ذلك السَّبْع. والعُبوس، والعَنْبس، والعَنابس، والعَسيب، واليعسوب والسعابيب، ونحو هذا من القول. وإنما قيل للأسد سَبُع، لأن قوته ضوعفت سبع مرات. وقد تقدم من الكلام على / هذا ما فيه كفاية، وهذا القَدْر كافٍ إنْ شاء اللهُ تعالى. [١٢ب]

(١) زيادة من م.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها، أقول: هذا الذي ذكرته هنا على سبيل الفأل بدوام أيام مولانا السلطان أعز الله أنصاره، لأن النبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن[١].

قال ﷺ: «لا عَدْوى ولا طِيَرَة، ويعجبني الفأل الحسن».

وروي عنه ﷺ، أنه لما قدم المدينة، نزل برجل من الأنصار، فنادى الرجل غلمانه: يا سالم، يا يسار. فقال النبي ﷺ «سَلمت لنا الديار بيسر». وما أحسن قول أبي العلاء المعري حيث يقول:[٢] [من الوافر]

سُئِلنَ فقلنَ مقصدُنا سعيدٌ ... فكان اسمُ الأمير لَهُنَّ فالا

وقال: [من الوافر]

وقد سمّاه سّيدُه عليًا ... وذلك من عُلُوِّ القدْرِ فالُ

وأما قول الشاعر: [من الطويل]

تفاءل كما تهوَى يكُن فقل ما ... يُقالُ لشيءٍ كان إلا تحققا

قد روى البيهقي أنه عليه الصلاة والسلام كان ينشده: «إلا تحققْ» ليكسر الوزن. قال ابو حنيفة رادًا على البيهقي: إنما يصير إلى القبض، والقبض جائز في الطويل، ولا ينزحف به الوزن. قال الحافظ أبو محمود: والصواب الألف.

ثانيها: اتفق أن تساقطت النجوم في أيام أحمد بن طولون[٣]، فراعه ذلك،

(١) سقطت من ب.

(٢) زيادة من م، وهو ما يقتضيه السياق.

(٣) هو أبو العباس التركي أمير الشام والثغور ومصر، ترجمته في الوافي للصفدي ٦/ ٤٣٠ رقم ٢٩٤٥.

وأحضر من عنده من المنجمين والعلماء، وسألهم ما عندهم في ذلك، فما أجابوا بشيء. ودخل عليه الجمل الشاعر[١] وهمَّ في الحديث، فأنشده في الحال: [من مجزوء الكامل]

قـــالوا: تســـاقطتِ النجـــو مُ لحـــادثٍ فـــظٍّ عَســـيرِ
فأجبـــتُ عنـــد مقـــالهم بجـــواب محتبـــكٍ خبيـــرِ
هـــذي النجـــوم تساقطـــ ـــتْ[٢] لرجـــومِ أعـــداء الأميـــرِ

فتفاءل ابن طولون رحمه الله بقوله واستبشر، وأمر له بصلةٍ سنيةٍ وخِلْعَة، وقال للجماعة: أُفٍّ لكم، ما كان فيكم من يحسن بقولٍ مثل هذا.

أقول: وكان هذا الجمل صاحب نادرة، رآه صديق له وهو يأكل سُمَّنًا فقال له: يا أبا عبد الله لا تأكل السُّمَّن فإنه سُمٌّ زيدت / فيه النون. فقال له: وينبغي لك أن تأكل الحيّة لأنها حياة سقطت منها الألف؟ [١١٣آ]

ثالثها: حكي أن طاهر بن الحسين[٣] خرج لقتال عيسى بن ماهان[٤]، وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء. ثم إنه سَهى وأسبل كمه فتبدّدت الدراهم، فتطيّر من ذلك. فقام إليه شاعر وقال: [من الكامل]

هـــذا تبـــدُّدُ شـــملِهم لا غيـــرُه وذَهابُـــه منـــا ذهـــابُ الَهـــمِّ
شـيءٌ يكـونُ الهـمُّ نصـفَ حُروفـه لا خيـــرَ في إمســـاكه في الكُـــمِّ

فتفاءل بقوله وأحسن جائزته.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري، انظر معجم ألقاب الشعراء للعاني ص٥٦؛ والمغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بمصر ٢٧٠.
(٢) في آ: الساقطات.
(٣) هو أكبر أعوان المأمون العباسي، ترجمته في الوافي للصفدي ١٦/ ٣٩٤ رقم ٤٣٢.
(٤) في ب: هامان، وهو تصحيف.

رابعها: حكي أن رجلًا دخل على كافور الإخشيدي[١] صاحب مصر، ودعا له وقال في دعائه: أدام اللهُ أيامِ مولانا - وكَسَر الميم من أيام - فتحدّث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه، فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلًا[٢]: [من البسيط]

لا غـروَ إنْ لحَـن الـداعي لسـيِّدنا ... أو غـصَّ مـن دَهَـشٍ بـالريقِ أو بَهَـرِ
فتلـك هَيْبَتُـه حالـت جَلالتُهـا ... بـين الأديـب وبـين الفـتح بالحَصَـرِ
وإنْ يكـنْ خفَـض الأيّـامَ مـن غلَـطٍ ... في موضع النصب لا عـن قلّةِ النّظرِ
فقـد تفاءلـتُ مـن هـذا لسـيّدِنا ... والفـأل نـأثره[٣] عـن سَـيّد البشـرِ
بـأن أيّامـه خَفْـضٌ بـلا نَصَـبٍ ... وأن أوقاتَـه صَـفْوٌ بـلا كَـدَرِ

خامسها: حكى أبو مسعود قال: قال لي أبو داود المسيحي: ما اسمك؟ فقلت: سعد. فقال: ابن مَنْ؟ قلت: ابن مسعدة. قال: أبو من؟ قلت: أبو مسعود. فقال لي: مسألتك هذه مثل أعرابي لَقيَ آخر فقال: ما اسمك؟ قال: فياض. فقال: ابن من؟ قال: / ابن الفرات. فقال: أبو من؟ قال: أبو بحر. فقال: ليس ينبغي لنا أن [١٣ب] نلقاكَ إلا في زورقٍ وإلّا نغرق.

والعلم المشهور في هذا الباب، ما رواه مالك بن أنس ﷺ في الموطأ، أن عمر بن الخطّاب ﷺ سأل رجلًا عن اسمه فقال: شهاب بن حرقة، فقال: ممن؟ قال: من أهل حرّة النار. قال: وأين مسكنك؟ قال بذات لظَى. فقال: أدرِكْ أَهلك، فقد احترقوا. فكان كما قال عمر ﷺ.

(١) هو أبو المسك الخادم الأسود الحبشي الاستاذ، ولي مملكة مصر والشام بعد وفاة سيده، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٤/ ٣٠٥ رقم ٣١٩.
(٢) قارن برواية الأنباري في نزهة الألباء ٣٢٣.
(٣) في م: نوثره، وهو الصواب.

سادسها: حكي أن شهاب الدين القوصي[١] كان يومًا عند الملك الأشرف، فدخل سعد الدين الحكيم، وكان بينهما وحشة. فقال له الأشرف: ما تقول يا شهاب الدين في سعد الدين؟ فقال: يا خَوند، إذا كان عندك فهو سعد السعود، وعلى السِّماط سعد بلَع، وفي الخيام عند الضيوف[٢] سعد الأخبية، وعند المرضى سعد الذابح. فضحك السلطان وأعجبه كلامه، وعلم أن بينهما وحشة، فأصلح بينهما، وأمر لكل واحد منهما بتشريف شريف.

وعلى ذكر سعد الأخبية، قلت أنا، وقد اقتضت الحالة ذلك: [من الكامل]

دَعْ عنكَ مصرَ فأهلُها بعدَ الوَفا ... أَلِفوا الجَفاء وتحجَّبوا في الأبنيهْ
قُلبت بها الأعيانُ حتى أنني ... شاهدتُ[٣] سعد الدين سعدَ الأخبيهْ

سابعها: حُكيَ أن ابنَ الرومي كان شديد التطيُّر، فيلازم بيته ولا يخرج منه إلا بعد استقرار القرائن الحسَنة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة. وحكي أنه بعث إليه بعض أصحابه في بعض[٤] الأيام غلامًا/ [١٤آ] مليح الوجه «حسن الاسم طيب الرائحة. فلما طرق الباب عليه، خرج إليه فسأله في الحضور إلى سيده»[٥]. فسمع كلامه، وشم رائحة طيبه، ورأى وجهه المليح، فقال: حُسْن في حُسْن، وأجابه إلى سؤاله.

فلما خرج معه، رأى دكان خياط على رأس الدرب، وقد صَلَب درابتي الباب، وهو يأكل تمرًا، فقال: إنّ الدرابتين (لا) والتمر (تمر)، فالفأل قد قال:

(١) هو إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي وكيل بيت المال بدمشق، ترجمته في الوافي للصفدي ٩/ ١٠٥ رقم ٤٠٢١.
(٢) زيادة من م.
(٣) في م: عاينت، وفي ب: عاينت سعد السعود.
(٤) في م: في يوم من الأيام.
(٥) زيادة من م.

لا تمر. فدخل وأغلق الباب وقال: والله لا مررت معك. وله في هذا الباب حكايات عجيبة كثيرة، والجنون فنون.

الباب الثالث
في ذكر حَدّ إقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد، وذِكْر نبذة من أخباره وأخبار القاهرة ومصر[١]، والنيل السعيد[٢]، وما جرى مجراه على سبيل الاختصار

أقول: حَدُّ إقليم مصر من الشجرتين اللتين بين رفح[٣] والعريش إلى أسوان طولًا[٤] وعرضها من برقة إلى أيلة، وهي مسيرة أربعين ليلة، ثلاثون ليلة طولًا وعشر ليالٍ عرضًا، وقريب من هذا الحد ما حكاه بعضهم أيضًا أن حد إقليم مصر من بحر الروم إلى الإسكندرية، وقيل من برقة إلى ظهر الواحات السبع، ويمتد على بلد النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة من حد أسوان على أرض البجاة في قبلي أسوان، حتى ينتهي إلى بحر القلزم، ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوزه إلى طور سيناء، ثم يعطف على تيه بني إسرائيل مارًّا إلى بحر الروم في الحفائر[٥] إلى خلف العريش ورفح، ويرجع على الساحل مارًّا على بحر الروم إلى الإسكندرية، فيتصل بالحدّ الذي قدمت ذكره من نواحي برقة. وهو/ إقليم عظيم سكنته [١٤ب] الجبابرة مثل مصعب بن الوليد والوليد بن مصعب وفرعون موسى وفرعون يوسف، وموقعه من الأقاليم السبعة الوسط[٦] الثالث. وهذه صفة كرة الأرض،

(١) إضافة من م.
(٢) إضافة من م.
(٣) في م: لفح، وهو تصحيف.
(٤) زيادة من م، وهو ما يقتضيه السياق.
(٥) صوابها: الجفار، انظر حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٣؛ وفضائل مصر لابن زولاق ٥٨.
(٦) زيادة من م.

وموقعه منها كما تراه في هذه الدائرة التي تراها، والله تعالى أعلم. جزائر السودان في المشرق، بلاد السودان في المغرب[١]:

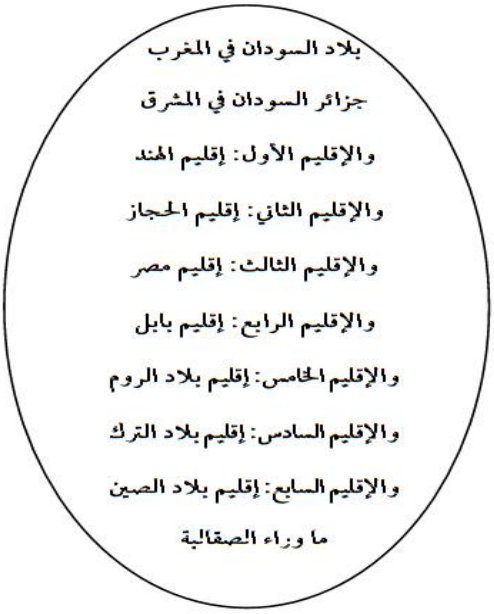

إقليم بابل أعدل الأقاليم وأطيبها، كونه واسطة الأقاليم السبعة

فالإقليم الأول: إقليم بلاد الهند.

والإقليم الثاني: إقليم الحجاز.

والإقليم الثالث: إقليم مصر.

والإقليم الرابع: إقليم بابل.

والإقليم الخامس: إقليم بلاد الروم.

والإقليم السادس: إقليم بلاد الترك.

والإقليم السابع: إقليم بلاد الصين. ثم ما وراء الصقالبة[٢].

(١) زيادة من م.

(٢) في الهامش: إقليم بابل أعدل الأقاليم وأطيبها كونه واسطة الأقاليم السبعة.

فالإقليم الثالث الذي من جملته إقليم مصر مبدأه من المشرق، فيمر على شمال بلاد الصين ثم الهند ثم السند ثم كابل وكرمان وسجستان وفارس والأهواز والعراقين والشام ومصر والإسكندرية، وفيه من البلاد المعروفة غزنة/ [١١٥آ] وكابل وسجستان وأصبهان وبُسْت وكَرمان.

ومن فارس، اصطخر وجور وسابور وسيراف وكور الأهواز كلها، ومن الشام حمص ودمشق وصور وعكا وطبرية وقيسارية وأُرسوف والرملة وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين. ثم يقطع أسفل مصر ويمر على تِنِّيس ودمياط والفسطاط والفيوم.

ومن المغرب برقة وأفريقية وقيروان[١] وقبائل العرب، وقبائل العرب في أرض المغرب والسوس وبلاد طنجة وسبتة، وينتهي إلى البحر المحيط. وطول وسطه من المشرق إلى المغرب ثمان مائة ألف وسبع مائة وأربعة وسبعون ميلًا وثلاث وعشرون دقيقة، وعرضه ثلاث مائة وثمانية وأربعون ميلًا وخمس وأربعون دقيقة، وهو في قول[٢] الفرس للمريخ، وفي قول الروم لعطارد، وله من البروج: الحمل والعقرب. وفتحت مصر كلها في إمارة عمر بن الخطاب ﷺ على يد عمرو بن العاص ﷺ. ولما فتحها، أتى إليه أهلها وقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنّة لا يجري إلا بها. فقال لهم: ما ذاك؟ فقالوا له: إذا كان ثاني عشر ليلة تخلو من شهر بؤنة[٣]، من أشهر القبط، عمدنا إلى جاريةٍ بكرٍ بين أبويها. فأرضينا أبويها[٤]، وحملنا عليها من الثياب والحُلَى والحُلَل أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل.

(١) في م: القيروان.
(٢) في ب: أول، وهو تصحيف.
(٣) الشهر العاشر من الشهور القبطية، وقد يرد بئونة.
(٤) في ب: أبواها، وهو خطأ.

فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله. [فسمعوا أمره][(١)] فأقاموا بؤنة وأدليه وشتير[(٢)]. وهي أسماء ثلاثة أشهر للقبط، لا يجري النيل فيها لا قليلًا ولا كثيرًا، حتى همّوا بالجلاء عنها. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، كتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، / فكتب عمر بطاقة، وكتب إلى عمرو بن العاص: إني كتبت إليك [١٥ب] بطاقة فألقها في النيل. فأخذها عمرو بن العاص، فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر

أما بعد فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تَجْرِ، وإن كان الله الواحد القهّار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهّار أن يجريك. وألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ الناس أن يمضوا للجلاء [أي الرحيل][(٣)]. فلما ألقى البطاقة في النيل، أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، فقطع الله تبارك وتعالى تلك السنَّة السوء من أهل مصر، [ببركة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﷺ][(٤)]. انتهى.

أقول: وكان مثل هذه البدعة في زماننا هذا، وذلك أن النصارى كان عندهم صندوق فيه أصبع بعض من هلك من عُبّادهم يسمّونه الشهيد. وكانوا في كل سنة

(١) إضافة من آ.

(٢) وهي الأشهر المتوالية ١٠، ١١، ١٢ حسب التقويم القبطي، وفي م وردت كذا بؤنة وأبيب ومسرى. ويأتي ترتيب الأشهر القبطية حسب أغلب الروايات على الصورة التالية:
توت «أيلول»، بابه «تشرين الأول»، هاتور «تشرين الثاني»، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بؤونة، أبيب ومسرى. انظر الفضائل الباهرة ١٣٨ – ١٤٢.

(٣) زيادة من م.

(٤) زيادة من م. وانظر الرواية في فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٦.

يلقونه في البحر عند شُبْرا، وهي قرية على شاطئ النيل بالقرب من القاهرة في يوم ثاني بشنس[١] من أشهر القبط، ويزعمون أن النيل لا يزيد إلا بإلقائه فيه، ثم إنهم يعيدونه ويحترزون عليه عندهم إلى العام القابل، ثم يلقونه أيضًا في التاريخ المذكور.

وكان يجري[٢] بسببه من ركوب الناس في البحر من الفساد ما لا يُعبَّر عنه. فألهم الله تعالى من أجرى الخيرات على يديه، المقر السيفي صرغتمش الملكي الناصري رأس نوبة[٣]، فأخذ هذا الصندوق وأحرقه في سنة أربع وخمسين وسبع مائة. فاتفق أن النيل المبارك زاد في تلك السنة زيادة لم يعهد مثلها في دولة الإسلام من تاريخ الهجرة الشريفة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وإلى يومنا هذا، لأنه تجاوز عشرين ذراعًا، وهذا شيء غريب جدًا. ثم استمر يجري في كل سنة على جاري / عادته في السنين الماضية، وبطلت تلك السنّة [١١٦آ] السيئة.

ومن غريب ما وقع في زيادته في تلك السنة، أنه زاد تسعة عشر أصبعًا من تسع عشرة ذراعًا[٤] في تاسع عشر شعبان، وهذا اتفاق غريب إلى الغاية.

وكنت قد صنّفت فيه في تلك السنة مقامة جاء منها قولي:

وغرق بقليوب الظلمة الذين هم في خوضهم يلعبون: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥]. فكم فيها من نصراني كفر بالأناجيل، ويهودي قال حين

(١) هو الشهر التاسع من أشهر القبط، وفي م: ثامن.
(٢) في م: يتفق.
(٣) هو الأمير سيف الدين الناصري، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٢/ ٥٥٥ رقم ٧٩٥؛ وتذكرة النبيه لابن حبيب ٣/ ٢١٣.
(٤) كذا في ب، وكذلك في آ، والصواب: تسعة عشر ذراعًا.
(٥) سورة الشعراء ٢٦/ ٢٢٧.

أدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[١]. وقد ذكر اللهُ مصر في ثمانية عشر موضعًا في كتابه العزيز منها: قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[٢]. وقوله تعالى فيما حكاه عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾[٣].

قال بعض الأطباء:

ونيلها [آية][٤] من آيات الله تعالى، ومن شرب منه زادت قوته. وقيل إن[٥] ماء دجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد في شهوة النساء. ويقطع نسل الخيل، حتى إن جماعة من العرب لا يسقون منها خيلهم.

وقال أيضًا: لولا أن بمصر من الليمون والحموضات ما عاش بها أحد لحلاوة مائها.

وذكر المهدوي في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن الله تعالى سَخّر للنيل كل نهرٍ على وجه الأرض في المشرق والمغرب، وذلّله له، فإذا أراد الله تعالى أن يُجري نيلَ مصر، أمر كل نهرٍ أن يمدّه، فإذا انتهى جريانه إلى ما قدّره الله تعالى، أمر كل نهرٍ أن يرجع إلى عنصره.

أقول: ومصداقُ هذا الأثر، أن النيل مخالف لكل نهرٍ على وجه الأرض، لأنه
[١٦ب] يزيد إذا نقصت الأنهار / كلها، وإذا زادت نقص، لأنها والله أعلم تمدّه بمائها. وفي أصل النيل أقوال للناس، حتى ذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف، وأنه يخرق البحر الأخضر بقدرة الله تعالى، ويمر على معادن الذهب

(١) سورة يونس ١٠/ ٩٠.
(٢) سورة البقرة ٢/ ٦١.
(٣) سورة الزخرف ٤٣/ ٥١.
(٤) زيادة من آ.
(٥) زيادة من م.

والفضة والياقوت والزمرد[١]، فيسير ما شاء الله تعالى، إلى أن يأتي إلى بحيرة الزنج.

قال الحاكي لهذه الأقوال: ولولا ذلك - يعني دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه - لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدّة حلاوته.

وقال قوم: مبدأه من جبل القمر، وأنه ينبع من اثنتي عشرة عينًا، من خلف خط الاستواء بإحدى عشرة[٢] درجة. واختلف في زيادته ونقصانه، فقال قوم: لا يعلم ذلك إلا الله ﷻ. وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب[٣] رحمه الله تعالى، يشتهي أن يعرفَ أصل النيل، فرسم أن يُشترَى عبيد صغار زنوج وما شاكلهم جَلَبًا لم يستعربوا، ويسلّمهم لصَيّادي[٤] السمك والبحّارة ليعلّموهم صنعة البحر وصيد السمك، وأن يكون قوتهم من السمك لا غير، فإذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل.

وكان فرعون يجبي خراج مصر في كل سنة ألف ألف دينار، ويأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهله وبيت ماله، والربع الثاني لوزرائه وأمرائه وكتّابه وجُنْده، ويكنز الربع الثالث ذخيرةً، ويصرف الربع الرابع في حفر الخلجان، وسدّ التِّرع، وعمل الجسور، ومصالح الأرض.

وكان في كل سنة إذا كَمُلَ الخَضير[٥]، ينفذ مع قائدين من قواده بأردبَّي قمح، فيذهب أحدهما إلى أعلا مصر والآخر إلى أسفلها، فيتأمل القائد كل ناحية وأرض كل قرية، فإن وجد موضعًا بائرًا عَطِلًا قد أُغفِلَ بذره، كتب إلى فرعون / [١١٧آ] بذلك وأعلمه اسم العامل على تلك الجهة.

(١) في م: والمرجان.
(٢) في ب: عشر.
(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠/ ٥٥ رقم ٤٥٠٠.
(٤) في ب: لصيادين السمك، وهو خطأ واضح.
(٥) في م: الحضير؛ وفي آ: التحضير.

فإذا بلغ فرعون ذلك، أمر بضرب عنق ذلك العامل، وأخذ ماله وولده، وربما عاد القائدان ولم يجدا موضعًا لبذر الأردبّين[١]، لتكامل العمارة واستظهار الزراع[٢].

وجباها عمرو بن العاص اثني[٣] عشر ألف ألف دينار، وكان ذلك أول دخوله إياها. ولما صرف عمر بن الخطاب[٤] عمرو بن العاص وولّى عبد الله بن أبي سرح الذي ولاّه عثمان رضي الله تعالى عنه، فجبَى خراج[٥] مصر أربعة عشر ألف ألف دينار. فنظر عثمان إلى عمرو بن العاص وقال:

علمت أن اللِّقحة[٦] درَّت بعدك؟ قال: نعم، ولكن أجاعت أولادها.

وهذا الذي جباه عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح، إنما هو على الجماجم، على كل رأس شيء معلوم خارجًا عن الخراج والمغلّ وغيرهما من الأموال[٧] الديوانية.

وأما القاهرة المحروسة، فإن الأصل في بنائها جوهر قائد المعز صاحب المغرب ومصر، وهو أول من ملك مصر من خلفاء الفاطميين. وكان السبب في ملكه مصر، أن كافور الإخشيدي صاحب مصر، لما مات، جهّز المعز القائد جوهرًا إلى مصر بعسكر عظيم، ومعه ألف حمل من السلاح، ومن الخيل ما لا يوصف. فلما انتظم حاله وملك مصر، ضاقت بالجند والرعية، فاختط سور

(١) في ب: أردب، وهو سهو من الناسخ.
(٢) راجع حول خراج مصر ومقاديره: فضائل مصر وأخبارها لابن زولاق ٨٦- ٨٩؛ والفضائل الباهرة لابن ظهيرة ١٢١- ١٣٠.
(٣) في ب: اثنا عشر، وهو خطأ صريح.
(٤) كذا في ب، وهو خطأ، والصواب: عثمان بن عفان، وترجمة عبد الله بن أبي سرح في الوافي بالوفيات ١٧/ ١٩١ رقم١٧٥.
(٥) سقطت من م.
(٦) الناقة الحلوب الغزيرة الحليب.
(٧) في ب: الحقوق.

القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة من الهجرة النبوية الشريفة[١].

فلما قدم المعز من القيروان غيّر اسمها وسمّاها القاهرة[٢]. والسبب في ذلك أن جوهر لما قصد إقامة السور، جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعًا لحفر الأساس/، وطالعًا لرمي الحجارة. فجعلوا قوائم من خشب، وبين القائمة [١٧ب] والقائمة حبل فيه أجراس، وأفهموا البنائين أنه «ساعة تحريك الأجراس ترموا ما بأيديكم من الطين والحجارة».

ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع، فاتفق وقوع غراب على خشبة من تلك الخشب، فتحركت الأجراس، فظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس، فصاح المنجمون (لا، لا) القاهر في الطالع، فمضى ذلك، وخانهم ما قصدوه. وكان الغرض أن يختاروا طالعًا لا يخرج البلد عن نسلهم، فوقع أن المريخ كان في الطالع، وهو يسمى عند المنجمين القاهر. فعلموا أن الأتراك لا تزال هذه البلد تحت حكمهم، وأنهم لا بد أن يملكوها.

فلما قدم المعز إليها وأُخبر بهذه القصة، وكانت له خبرة تامة بالنجامة، وافقهم على ذلك، وأن الترك تكون لهم الغلبة على هذه البلد، فسماها «القاهرة» وغيّر اسمها الأول، فكان كما قال وملكتها الترك إلى يومنا هذا.

وفي القاهرة أيضًا في قصور الفاطميين قبّة تسمّى «القاهرة»، ويزعم بعض الناس أن القاهرة سُمِّيَت باسمها، والصحيح ما قلناه أولًا، والله تعالى أعلم.

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٩٣-١٠٢؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٥- ٢٦.
(٢) انظر حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٥- ٢٦..

خاتمة الباب وسَجْع طائره المستطاب

أولها: لما توفي وزير المأمون الفضلُ بن سهل[١] أخو الحسين[٢] بن سهل، طلب المأمون من والدة الفضل ما خلفه، فحملت إليه سَلّةً مختومة مقفلة، ففتح قفلها، فإذا صندوق صغير/ مختوم، وإذا فيه درج، وفي الدرج مكتوب بخطه: [١١٨آ]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه، قضى أنه يعيش سبعةً[٣] وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار.

فعاش هذه المدة، وقتله غالب، خادم المأمون وهو في حمام بسرخس[٤]. وكان قد ثقل أمره على المأمون، فدسّ عليه غالبًا فقتله مغافصة ومعه جماعةً، وذلك في سنة اثنتين ومائتين. وكانت له معرفة تامة بالنجامة.

ثانيها: حكى المسبّحي في تاريخ مصر[٥] أن أبا الحسن علي بن عبد الرحمن[٦] مصنف الزيج الحاكمي، كان أبلهًا مغفّلًا يعتمّ على طرطور طويل، ويركب على بغلة عالية. وكان يخرج ضُحكةً لمن يراه. وكان قد أفنى عمره في الرّصْد، وتسيير النجوم، فعمل ما لا نظير له. وكان يقف الكواكب[٧] السبعة،

(١) هو أبو العباس السرخسي ذو الوزارتين، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٤/ ٤٢ رقم ٣٧.
(٢) كذا في ب وفي م: الحسن وكذلك في الوافي للصفدي ١٢/ ٣٧ رقم ٣٣.
(٣) كذا في ب وهو خطأ من الناسخ، وصوابه: سبعًا.
(٤) مدينة قديمة في بلاد فارس بين نيسابور ومرو، انظر معجم البلدان لياقوت «سرخس»؛ وفي وفيات الأعيان لابن خلكان: غالب خال المأمون.
(٥) أخبار مصر للمسبحي، لم أعثر على الرواية المذكورة في القسم المطبوع من الكتاب.
(٦) ترجمته في الوافي للصفدي ٢١/ ٢٢٦ رقم ١٥١.
(٧) في م: للكواكب.

وكانت له إصابات في علم النجامة، منها: أنه علم أنه يموت قبل موته بسبعة أيام، وكان صحيحًا سالمًا، فبيّض دهليز داره وأعد موضع قبره منها، وفرغ من جميع ما يحتاج إليه.

وكان كل من خاطبه من أصحابه وأهله يجاوبهم أنه قد جاء الوقت، وهو يخرج ويدخل ويتصدّق. ثم أغلق باب داره وقال لجاريته: يا إحسان، قد أغلقت ما لا أفتحه أبدًا. وصفّى[١] الماء من بركة داره، وغسل مسودّاته، ولم يزل يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى أن خرجت روحه بكرة يوم الاثنين لثلاثٍ خلون من شوّال سنة تسع وأربعين وثلاثة مائة، بعد سبعة أيام كما قال.

[١٨ب] **ثالثها**: ومن إصاباته أيضًا أن الحاكم كان قد أعطاه دارًا، فقال له: يا / أمير المؤمنين، أريد أن تعطيني غير هذه الدار. فقال: ولِمَ؟ قال[٢]: لأن الماء يهلكها وما فيها. فأعطاه غيرها، فأخلاها من غد ذلك اليوم.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، جاء سيل عظيم من الجبل إلى القاهرة ورمى قصورًا ودورًا. وكان أمرًا عظيمًا[٣] لم يُرَ مثله فيما تقدّم. وذهبت الدار المذكورة فيما ذهب، كما أخبر.

رابعها: حكى القاضي شمس الدين ابن خلكان[٤] عن أبي معشر أن بعض الملوك طلب رجلًا من أتباعه ليعاقبه بسبب جريمة صدرت عنه[٥]، فاستخفى. وعَلِمَ أن أبا معشر يدل عليه بالطريق التي يَستخرج بها الخفايا، فأراد أن

(١) في ب: وصفّا.
(٢) مكررة في ب.
(٣) في م: مهولًا.
(٤) وفيات الأعيان ١/٣٥٨ رقم ١٣٦، وأبو معشر هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور، ترجمته في الوافي للصفدي ١١/١٣٣ رقم ٢١٢.
(٥) وفيات الأعيان: منه.

يعمل شيئًا لا يُهتدَى إليه. فأخذ طشتًا، وجعل فيه دمًا، وجعل في الدم هاون ذهب، وقعد على الهاون أيامًا. فتطلّبه الملك وبالغ في طلبه. فلما عجز عنه، قال لأبي معشر: عَرِّفني موضعَه بما جرت به العادة منك. فعمل المسألة التي يستخرج بها وسكت زمانًا حائرًا. فقال له الملك: ما سبب سكوتك؟ فقال: أرى شيئًا عجيبًا. فقال: ما هو؟ قال: أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم، محيطٌ به سور من نحاس، ولا أعلم في العالم موضعًا على هذه الصفة.

فقال له: أعِد النظر، ففعل، ثم قال: ما أرى إلا كما ذكرت، وهذا شيء عجيب ما وقع لي مثله. فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق، نادى في البلد بالأمان للرجل. فلما حَصَل بين يديه، سأله عن الموضع الذي كان فيه، فأخبره بما اعتمده، فأعجبه حُسْنُ احتياله في إخفاء نفسه، ولطافةِ أبي / معشر في [١١٩آ] استخراجه لذلك، وهذا من العجائب. ولأبي معشر إصابات كثيرة من هذا النوع.

خامسها: حكى ابن أبي أُصَيْبِعة[١] في كتابه «الأنباء في تاريخ الأطباء» وغيره من أرباب التاريخ، أن وزير محمود بن صالح صاحب حلب[٢]، وشى إليه[٣] بأن المعري[٤] زنديق، لا يرى إفساد الصُّوَر، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل. فأمر محمود بطلبه إليه، وبعث خمسين فارسًا ليحملوه.

فلما وصلوا إليه، أنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه مسلم بن سليمان وقال: يا ابن أخي، قد نزلت بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك كان عارًا علينا عند ذوي الذمام. فقال له: هوِّن

(١) في ب: ابن أبي صيبعة، وهو تصحيف، كما صحف عنوان الكتاب، وصوابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ولم أعثر على الرواية في الكتاب المحقق والمطبوع.
(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٥/ ٢٠١ رقم ١٣٦، وهو هنا: محمود بن نصر بن صالح.
(٣) لم ترد في ب، ووردت في آ.
(٤) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان اللغوي الشاعر.

عليك يا عمّ، فلا بأس علينا، فإن لي سلطان يُذهب عني كَيدهم[١]. ثم قام فاغتسلَ وصلّى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه:

انظر إلى المريخ أين هو. قال: في كذا وكذا. فقال: زنه واضرب تحته وتدًا، واجعل في رجلي خيطًا واربطه في الوتد، ففعل غلامه ذلك.

فسمعناه وهو يقول: يا قديم الأزَل، يا عِلَّةَ العِلل، يا غاية الأمل[٢]، يا صانع المخلوقات وموجد الموجودات، أنا في عِزِّكَ الذي لا يُرامُ، وكَنَفِكَ الذي لا يُضامُ، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير. ثم ذكر كلمات لا تفهم.

وإذا بهدَّةٍ عظيمة، فسئل عنها فقيل: الدار وقعت على الضيوف الذين كانوا، بها، فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس، وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر: لا تزعجوا الشيخ، فقد وقع الحَمَّامُ على الوزير.

قال يوسف بن علي: فلما شاهدتُ ذلك، دخلت عليه فقال: من أنت؟ فقلت: أنا فلان. فقال/ : زعموا أني زنديق، ثم قال: أكتب، وأملَى عليَّ قصيدةً [١٩ب] منها[٣]: [من البسيط]

باتوا وحتفي أمانيهم مصوَّرةٌ ... وبِتُّ لم يخطروا مني على بالِ

وفوَّقوا لي سِهامًا من سهامِهِم ... فأصبحوا وهمُ مني بأميالِ[٤]

فما ظُنونُك إذ جُندي ملائكةٌ ... وجندهم بين طوَّافٍ وبقّالِ

إذا تنافستِ الجُهَّال في حُلَلٍ ... رأيتُني وخسيسُ القطن سِربالي

(١) في الهامش: يذبّ عني.

(٢) زيادة في م.

(٣) وردت هذه الأبيات في ترجمة المعري ضمن قصيدة من ١٩ بيتًا في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ٧/ ٩٤- ١١١ رقم ٣٠٣٢.

(٤) في ب: فأصبحت وُقَّعًا مني، وكذا في رواية الصفدي.

لا آكــلُ الحيــوانَ الــدهرَ مــأثُرةً أخـافُ مـن سـوءِ أقـوالي وأفعـالي[١]
وأَعبُــد اللهَ لا أرجــو مثابتَــهُ[٢] لكــنْ تعبُّــدَ إكــرامٍ وإجــلالِ
أَصــونُ دينــيَ عــن جُعْــلٍ أؤمِّلُــهُ إذا تعبَّــدَ اللهَ أقــوامٌ بأجعــالِ[٣]

سادسها: حكى القاضي شمس الدين ابن خلكان في تاريخه، أن شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب، كان بارعًا في أصول الفقه، أوحَد أهل زمانه في العلوم الفلسفية[٤]، وكان يعرف علم السيمياء. قال: وحكى عنه بعضُ فقهاء العجم، أنه كان في صحبته لما خرجوا من دمشق المحروسة[٥] قال:

فلما وصلنا[٦] إلى القابون، لقينا قطيع غنم مع رجل تركماني. فقلت للشيخ: يا مولانا، نريد أن نأخذ من هذا الغنم رأسًا نأكله. فقال: معي عشرة دراهم، خذوها واشتروا بها رأس غنم. وكان هناك تركماني، فاشترينا منه [رأسًا][٧] بالدراهم ومشينا [قليلًا]، فلحقنا رفيق له، وقال: ردوا الرأس وخذوا أصغر منه، فإن هذا ما عرف يبيعكم. فتقاولنا نحن وإياه. فلما عرف الشيخ القضية، قال لنا: خذوا أنتم الرأس / وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه. [٢٠آ]

فتقدمنا نحن، وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيِّب قلبه. فلما بعدنا قليلًا، تركه الشيخ وتبعنا. وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت إليه. فلما رأى أنه لا يكلمه، لحقه وقبض على يده اليسرى وقال: أين

(١) في رواية الصفدي: أعمالي وآمالي.
(٢) في م: مثابتةً.
(٣) كذا في رواية الأصل، وفي رواية الصفدي والمخطوط (آ): إذا تعبَّد أقوامٌ بأجعالِ.
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان: الحكمية.
(٥) زيادة في م.
(٦) في ب: وصلوا، وهو تصحيف.
(٧) الزيادة من وفيات الأعيان.

تروح وتخليني وما تعطيني حقي[١]؟

وإذا بيد الشيخ قد انخلعت معه من عند كتفه وبقيت في يد التركماني. فلما عاين التركماني ذلك، تحيَّر في أمره ورمى اليد وخاف وهرب. فرجع الشيخ، وأخذ اليد بيده اليمنى ولحقنا. وبقي التركماني راجعًا هاربًا وهو يتلفت إليه حتى غاب عنه. فلما وصل إلينا الشيخ، رأينا في يده منديلًا لا غير[٢].

سابعها: حكى الحكيم إبراهيم[٣] بن أبي الفضل عن السهروردي هذا أيضًا أنه كان يعرف علم السيمياء، وله في ذلك خوارق من وراء العقل. قال: فمن ذلك ما اتفق لي معه، وذلك أني خرجت معه أنا وجماعة من التلامذة، من باب الفرج بدمشق. فبينما نحن بالقرب من الميدان الكبير، أجرى بعض الجماعة ذكر علم السيمياء وعجائبه، وما للشيخ فيه من اليد الطولى، وهو يسمع. فمشى قليلًا وقال: أيما أحسن دمشق أو هذه المواضع؟ قال: فنظرنا فإذا من جهة الشرق جواسق عالية متدانية بعضها من بعض مضيئة، وهي أحسن شيء يكون، مزخرفة الحيطان والسقوف، وبها طاقات[٤] كبار، وشبابيك فيها نساء وعليهن أنواع الحلي والأقمشة، لم يُرَ مثلهن في الدنيا، وأصوات مغاني وملاهي، وأشجار ملتفة بعضها على بعض، وأنهار / جارية كبار. فتعجبنا من ذلك ساعة[٥]. [٢٠ب]

ثم غاب عنا. وعدنا إلى رؤية ما كنا نعرفه من الأول، إلا أنني كنت عن رؤية ذلك الأمر العجيب كأني في سِنَةٍ خفيفة، ولم يكن إدراكي الحالة التي كنت أتحققها مني أولًا[٦].

(١) زيادة في م.
(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٩.
(٣) في آ و م، وكذلك في رواية الذهبي وابن أبي أصيبعة: الحكيم بن إبراهيم...
(٤) في آ: قاعات.
(٥) انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٥٨٧هـ.
(٦) قارن بما ورد في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وتاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة ٥٨٧هـ.

الباب الرابع
في بيان كون مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره سابع من جلس على سرير الملك من إخوته، وذكر من وَلِيَ الملكَ من الترك من أول دولتهم إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار

(١) الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب[١]

أقول: آخر ملوك مصر من بني أيوب الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب، وكانت مدة مملكته إحدى[٢] وسبعين يومًا ثم قتل.

وكان السبب في قتله، أنه لما حضر من حصن كيفا بعد موت والده الملك الصالح، واشتغل[٣] بالملك في مصر، أخذ في إبعاد مماليك أبيه، وتقريب مماليكه الذين وصلوا معه من الشرق. فعند ذلك اجتمع جماعة من مماليك أبيه واتفقوا على قتله، ودخلوا عليه وفي أيديهم السيوف مجرّدة، فهرب منهم إلى برج خشب كان في خيمته، وغلّق عليه بابه، فرموا فيه النار فأحرقوه.

فخرج من البرج وهرب إلى البحر، فأدركوه وضربوه بالسيوف، فرمى نفسه في البحر، فتبعوه وقتلوه في البحر، فمات - رحمه الله تعالى - حريقًا، غريقًا،

---

(١) انظر ترجمته في الوافي للصفدي ١٠/ ٤٤٥ رقم ٤٩٣٦؛ وفوات الوفيات ١/ ٢٦٣ رقم ٩١؛ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٤؛ والمنهل الصافي ٤/ ١٨٣رقم ٨٠٤؛ ومرآة الزمان ٨/ ٧٨١؛ ومفرج الكروب لابن واصل ٦/ ١٢٨.

(٢) في م: أحدًا، وفي مفرج الكروب: شهرين وأيامًا؛ وفي آ: أحد.

(٣) في آ: واستقل.

قتيلًا، وذلك يوم الاثنين سادس عشرين المحرم سنة ثمان وأربعين وست مائة[١].

قال القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله رحمه الله تعالى[٢]:

(٢) السلطانة الملكة شجرة الدر سُرِّية الملك الصالح أيوب

ثم بعد ذلك اتفق الأمراء وملّكوا أم خليل سُرّية الملك الصالح[٣]، واسمها شجر الدر، وحلفوا لها، واستحلفوا لها جميع العساكر المصرية والشامية/ [١٢١آ] ، ورتبوا الأمير عزالدين أيبك التركماني أتابك العساكر. ثم إنها تزوّجت الأمير عزالدين أيبك المذكور، وكان مملوك زوجها الملك الصالح، وخلعت نفسها من المملكة وسلّمتها[٤] إليه، في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكانت مدة تملُّكها ثلاث[٥] شهور.

(٣) أول ملوك الترك الملك المعز أيبك التركماني

فتسمّى الأمير عزالدين أيبك التركماني المذكور بالملك المعز، واستقلّ بالمُلْك من التاريخ المذكور. وكان أول من ملك المُلْك من الترك. فبقي في المُلْك إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وست مائة، ثم خنق في الحمّام[٦].

---

(١) راجع المزيد من التفاصيل في مفرج الكروب لابن واصل ٦/١٢٨-١٣٢ مع اختلافات؛ وتاريخ قرطاي العزي الخزنداري ٦٤. وفي آ: السادس والعشرون، وهو خطأ.

(٢) انظر مسالك الأبصار، الجزء السابع والعشرين ٢٧٠-٢٩٠.

(٣) ترجمتها مثبتة في سائر الكتب التي تناولت الفترة المملوكية والأيوبية مثل تاريخ الذهبي والعبر وذيل مرآة الزمان وكنز الدرر والسلوك والنجوم الزاهرة وعيون التواريخ والوافي بالوفيات للصفدي، وخاصة المنهل الصافي ٦/٢١٩رقم ١١٨٢؛ ومفرج الكروب ٦/١٩٤-١٩٦.

(٤) في آ: وسلّمته، وهو الصواب.

(٥) كذا في ب، وصوابه: ثلاثة شهور كما ورد في آ.

(٦) حول مقتله راجع زبدة الفكرة ٢٤؛ وتاريخ قرطاي ٧٧.

وكان السبب في ذلك أنه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لنفسه[١]. فبلغ ذلك زوجته شجر الدر، فتغيّرت عليه، وتغيّر هو عليها أيضًا، وكرهها لأنها كانت تمنّ عليه بأنها التي[٢] ملّكته مصر، وسلّمت إليه الخزائن والأموال. وكانت تتصرّف في مملكة مصر وتأمر وتنهَى، ومنعته من الاجتماع بزوجته التي هي أم ولده نور الدين علي حتى ألزمته بطلاقها.

ولما تمكّن الغيظُ منه نزل إلى مناظر اللُّوق وأقام بها أيامًا. فبعثت إليه من حلف عليه، وتلطّف به، وسكّن غيظه، فطلع إلى القلعة. وكانت قد أعدّت له من يقتله إذا صعد إليها. فطلع ودخل الحمام ليلًا، فدخلت عليه ومعها خمس[٣] خدّام، فأخذ بعضهم بأنثييه، وبعضهم بخنّاقه، فاستغاث بشجر الدر، فقالت لهم: اتركوه. فأغلظ لها بعضهم في القول، وقال لها: متى تركناه لا يبقي عليك ولا علينا، ثم قتلوه في التاريخ المذكور.

(٤) السلطان الملك نور الدين علي ابن الملك المعز أيبك التركماني

وتملّك بعده الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك المعز، وقبض على شجر الدر ودخل بها إلى أمه فقتلتها / بالقباقيب إلى أن ماتت، ورمتها في الخندق [٢١ب] عريانة على باب القلعة. وبعد أيام دفنت في تربتها، فكانت مدة ملك المعز سبع سنين إلا ثلاثة أشهر وأيامًا[٤].

ثم وَلي الملك بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي، فبقي في الملك

(١) هو السلطان الملك الرحيم بدر الدين الأرمني، ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٤/ ٤٠٧ رقم ٤٧٩.

(٢) في ب: الذي، وهو خطأ.

(٣) كذا في ب، وصوابه: خمسة.

(٤) في ب: وأيام. وحول سلطنة المنصور نور الدين علي راجع زبدة الفكرة ٢٤؛ والدليل الشافي على المنهل الصافي ١/ ٣٤٢.

إلى سنة سبع وخمسين[١]، فاستولى عليه الملك المظفر سيف الدين قطز في هذه السنة ونفاه وملك بعده.

(٥) الملك المظفر سيف الدين قطز

وبقي في الملك بعده إلى ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين، ثم قتل بالقصير بالقرب من العاقولة بدرب القاضي[٢] بعد كسرة التتار بعين جالوت، ودفن بالقصير رحمه الله تعالى[٣].

(٦) الملك الظاهر بيبرس

ثم ملك بعده الملك الظاهر بيبرس في الشهر المذكور، ودخل إلى مصر، واستمر في الملك إلى سنة ست وسبعين وست مائة، ثم مات بدمشق في السابع والعشرين من المحرّم[٤].

(٧) الملك السعيد ناصر الدين بركة

وتولّى بعده المُلْك ولده الملك السعيد ناصر الدين بركة. فبقي في الملك إلى سنة ثمان وسبعين[٥]، ثم خلع، وملك بعده أخوه الملك العادل سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس[٦].

---

(١) في نهاية الأرب للنويري ٢٩/ ٤٥٨ «كانت مدة سلطنة الملك المعز ست سنين وأحد عشر شهرًا إلا أربعة أيام»؛ وانظر مفرج الكروب ٦/ ١٩٦با وزبدة الفكرة ٢٤؛ ونهاية الأرب للنويري ٢٩/ ٤٥٩؛ والسلوك للمقريزي ج١/ ق٢/ ٤٠٥؛ والدليل الشافي ١/ ٣٤٢.

(٢) زيادة من م.

(٣) عن حادثة اغتياله راجع: مفرج الكروب ٦/ ٢٩٧-٢٩٨؛ وتاريخ قرطاي ١٠٩؛ وزبدة الفكرة ٤٦ و٥٣؛ والسلوك للمقريزي ١/ ٤٣٥؛ والنجوم الزاهرة ٧/ ٨٣؛ وحسن المحاضرة ٢/ ٣٩.

(٤) عن سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري انظر مفرج الكروب ٦/ ٢٩٩-٣٨٥؛ وذيل مفرج الكروب ١-٨٨؛ وتاريخ قرطاي ١١٠؛ وزبدة الفكرة ٥٨، ١٦٠؛ والدليل الشافي ١/ ٢٠٣.

(٥) عن سلطنته راجع ذيل مفرج الكروب ٩٠-٩٢؛ وتاريخ قرطاي ١٦٢؛ وزبدة الفكرة ٨٩، ١٦٢.

(٦) راجع ذيل مفرج الكروب ٩٢-٩٣؛ وتاريخ قرطاي ١٦٥؛ زبدة الفكرة ١٦٩.

(٨) الملك العادل سلامش

وكان صغيرًا عمره سبع سنين، وعمل نيابته الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي قلاوون التركي الصالحي النجمي الألفي. وحلفت له الأمراء معه، وذكرا معًا في الخطبة، وضربت السكّة بوجهين، وجه لسلامش الملك العادل، ووجه لقلاوون. فبقي الحال على هذا مدة يسيرة، ثم خلع[١]. وتملّك الملك المنصور، وذلك في رجب سنة ثمان وسبعين وست مائة[٢]. واستمر في الملك إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وست مائة. وكانت دولته إحدى عشرة سنة وأربعة أشهر. وكان قد عهد بالملك في حياته لولده السلطان الملك الصالح علي، وخطب له معه، فأدركته المنيَّة وهو شاب، فتوفي في حياة أبيه رحمه الله تعالى في شعبان المكرّم سنة سبع وثمانين وست مائة[٣] بعد أخته غازية خاتون زوجة الملك السعيد ابن الملك الظاهر بشهور، ودفنا عند أمهما في تربةٍ واحدةٍ بين مصر / والقاهرة [١٢٢آ] في حياة أبيه[٤]. وللسراج الورّاق فيه قصيدة يمدحه بها، منها قوله: [من الطويل]

لقد عَفَّ في سلطانه وجماله ... فلله مَلْكٌ فيهما قد تعفَّفا
وأغرب في تصنيف أفعاله التي ... رَوينا بها عنه الغريبَ المصنَّفا

(٩) السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل

ثم ملك بعد الملك المنصور ولده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وست مائة، بعد وفاة والده الملك المنصور[٥].

(١) راجع النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ٧/ ٢٨٦- ٢٨٩.
(٢) انظر ذيل مفرج الكروب ٩٤-١٢٥؛ وزبدة الفكرة ١٧٤؛ وتاريخ قرطاي ١٦٩.
(٣) راجع أخبار وفاته في ذيل مفرج الكروب ١١٩.
(٤) كذا في ب؛ وانظر المنهل الصافي ٨/ ١٤٤؛ وعقد الجمان للعيني ٢/ ٣٧٧.
(٥) راجع ذيل مفرج الكروب ١٢٥-١٤٨؛ وتاريخ قرطاي ٢١٤؛ وزبدة الفكرة ٢٧٢.

واتفق أنه خرج إلى الصَّعيد، ونزل بأرض الحمامات، فلما كان وقت العصر وهو بتروجة[١]، حضر إليه نائب السلطنة الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فأحاطوا به، ولم يكن معه سيف ولا أحد من مماليكه، فبادر إليه بيدرا وضربه بالسيف فقطع يده، فصاح عليه حسام الدين لاجين وقال: هذه ضربة من يريد الملك، فضربه على كتفه ضربةً سقط منها إلى الأرض. وتركوه في البرية طريحًا (شعر): [من الطويل]

فلا تعذلا[٢] يا صاحبيَّ عن الأسَى وعينًا على صَرْف الزمانِ وساعدا
ألم ترَ يا ليتَ الشَرى قد تناهشت ذئابُ الفلا منه ذِراعًا وساعدا

وذلك في العشر الأول من المحرم سنة اثنتين وتسعين وست مائة. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام، وكان من أبناء الثلاثين سنة، رحمه الله تعالى[٣].

(١٠) السلطان الملك الناصر

ثم ملك بعده أخوه السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن المنصور قلاوون الألفي الصالحي[٤]. وجلس على سرير الملك في رابع عشر المحرّم سنة ثلاث وتسعين وست مائة، فبقي في الملك إلى المحرّم سنة أربع وتسعين، ثم خلع، وتولى الملك العادل زين الدين كِتبغا المنصوري.

(١) انظر التحفة السنية لابن الجيعان ١٢٤؛ والنجوم الزاهرة ٤/ ٣٠.
(٢) في آ: فلم تعدلا.
(٣) راجع ذيل مفرج الكروب ١٤٩؛ وتاريخ قرطاي ٢١٧؛ وزبدة الفكرة ٢٩٥.
(٤) في رواية بيبرس المنصوري الدوادار، أنه قد تم سلطنة بيدرا ولقب الملك القاهر عقب قتل الملك الأشرف، راجع زبدة الفكرة ٢٩٦.

(١١) الملك العادل كِتبغا المنصوري

وأقام في الملك إلى شهر المحرم سنة ست وتسعين وست مائه. ثم ملك بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري/. [٢٢ب]

(١٢) الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري

فأقام في المُلك إلى شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مائة. فهجم عليه جماعة من الخاصكية في ليلة الجمعة وهو قاعد يلعب بالشطرنج مع أحد جلسائه، فقطّعوه بالسيوف، وقضى الله تعالى فيه أمره.

ثم اتفق الرأي على إحضار الملك الناصر من الكرك، فعاد إلى ملكه، واستمر في الملك من سنة ثمان وتسعين وست مائة إلى سنة ثمان وسبع مائة. فاضطربت أحوال مملكته، وخشي على نفسه، فأظهر أنه عازم على التوجه إلى الحج الشريف، فلما تأهب لذلك، وصار في أثناء الطريق، عرّج إلى الكرك وأقام بها، وثنى عزمه عن المسير إلى الحج. وذكر أن قصده الانقطاع والتخلي عن الملك، وأمر من كان معه من الأمراء بالعود إلى الديار المصرية[١]. فلما رجعوا، اتفق الرأي على أن يكون بيبرس الجاشنكير هو السلطان، وسَلّار نائبًا عنه.

(١٣) بيبرس الجاشنكير

فجلس بيبرس على سرير الملك ولقّب نفسه المظفّر، فأقام في الملك أحد[٢] عشر شهرًا. فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة تسع وسبع مائة، اضطربت أحواله، وبلغه أن الملك الناصر عازم على التوجّه من دمشق إليه، لأنه كان قد توجّه إليه جماعة من أمراء المصريين إلى الكرك، وساروا به إلى دمشق. وانتظم حاله، وعزم على العود إلى ملكه. فلما تحقق

(١) راجع زبدة الفكرة ٢٩٨-٤٠٥.
(٢) في ب: إحدى وهو خطأ، انظر زبدة الفكرة ٤٠٦.

الملك المظفر بيبرس ذلك، أخذ جميع ما في الخزائن من الأموال، وتوجّه إلى جهة أسوان. فلما كان يوم الخميس الثاني من شهر شوال، وصل السلطان الملك الناصر من دمشق إلى مصر، وجلس على سرير الملك في اليوم المذكور وقت الخوان. وحلفت له العساكر، وانتظم حاله، وأمر بهادُرآص[١] وجماعة من الأمراء بالتوجّه إلى / الملك المظفر بيبرس فتوجّهوا إليه، واتفق معهم على أنه [٢٣آ] يدخل تحت طاعة السلطان الملك الناصر على أن يعطيه صهيون وأعمالها. فلما حضر أودعه الاعتقال، وأذاقه النكال. فانقلب الدست عليه، ورأى قبل موته من دموعه غسله بعينيه[٢].

وكان مولد السلطان الملك الناصر «في الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرم»[٣] سنة أربع وثمانين وست مائة، وتوفي يوم الأربعاء تاسع عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، ودفن ليلة الخميس بالمدرسة المنصورية بين القصرين، وأنزل على والده الملك المنصور قلاوون، رحمهما الله تعالى. وكانت مدة إقامته في الملك في النوبة الأولى والثانية والثالثة نيِّفًا وأربعين سنة[٤].

(١٤) السلطان الملك المنصور أبو بكر[٥]

ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، جلس على سرير الملك يوم الخميس عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، ثاني يوم وفاة والده

(١) هو الأمير بَهادُر بن عبد الله الأمير الكبير سيف الدين المعروف بآص، ترجمته في المنهل الصافي ٣/ ٤٢٨.

(٢) زبدة الفكرة ٤٠٦؛ والمنهل الصافي ٣/ ٤٦٧.

(٣) بين الهلالين زيادة من م، وانظر زبدة الفكرة ٢٥٢؛ وتاريخ قرطاي الخزنداري ١٩٨-١٩٩.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٩/ ١٦٥.

(٥) ترجمته مستوفاة في الوافي للصفدي ١٠/ ٢٥٠ رقم ٤٧٤٧.

الملك الناصر المذكور، فأقام في الملك شهرين وأيامًا قلائل ثم خلع في العشر الأخير من شهر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة.

(١٥) أخوه السلطان الملك الأشرف سيف الدين كجك شرف الدين[١]

ابن الملك الناصر، جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك المنصور في أواخر شهر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، وكان عمره ست سنين تقريبًا. فأقام في الملك إلى يوم الأحد تاسع شوال ثم خلع[٢]، وتوفي سنة ست وأربعين وسبع مائة في أيام أخيه الملك الكامل شعبان، والله أعلم بموته كيف كان.

(١٦) أخوه السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد

ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الأشرف كجك، في عاشر شعبان[٣] سنة اثنتين وأربعين وسبع مائه. وكان قد قدم من الكرك، فأقام بالملك بمصر أربعين يومًا، ثم رجع إلى الكرك. ولم يزل هناك حتى خلع في يوم الخميس ثاني عشر شهر الله المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة. وقتل في صفر سنة خمس وأربعين وسبع مائة. فكانت مدته إلى أن خلع، وأقيم أخوه الملك الصالح، ستة أشهر.

(١٧) أخوه السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل

ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. جلس على كرسي الملك

(١) كذا في ب، وفي بدائع الزهور لابن إياس ١/١/٤٩٠ «الملك الأشرف علاء الدين كجك»؛ والوافي للصفدي ٢٤/ ٣٣٠ رقم ٣٥٥؛ والدرر الكامنة ٣/ ٢٦٥ رقم ٦٨٧؛ والسلوك للمقريزي ٢/٣/ ٥٩٤-٦٨٨. أما في رواية آ: الملك الأشرف سيف الدين كجك.

(٢) في هامش ب: فأقام في الملك خمسة أشهر، ثم خلع واعتقل في قلعة الجبل حتى توفي، راجع كتاب أعيان العصر للصفدي ٤/ ١٤٨ رقم ١٣٩٥.

(٣) في م: عاشر شوال إلى يوم الاثنين، وكذلك في رواية آ.

بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد، في يوم الخميس ثاني عشرين[١] شهر الله
[٢٣ب] المحرّم/ سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة، وأقام في الملك إلى أن توفي في رابع[٢]
شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة، فكانت مدة ملكه ثلاث سنين
وشهرين وأيامًا[٣].

(١٨) أخوه السلطان الملك الكامل شعبان

ابن الملك الناصر – أعزّ الله أنصاره –. جلس على سرير الملك بعد دفن أخيه الملك الصالح، وحلفوا له[٤] يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع[٥] الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة. وفيه يقول الشيخ جمال الدين ابن نباتة حين ولي الملك في التاريخ المذكور[٦]: [مخلّع البسيط]

طلعةُ سلطاننا تبدَّتْ بكامل السعد في الطلوعِ
فاعجب لها كيفَ منه أبدت هلالَ شعبان في ربيع

وأقام في الملك سنة وسبعة عشر يومًا ثم خلع[٧]، وتولّى بعده.

---

(١) في م: عشر، وفي الوافي للصفدي: عشري.
(٢) في م: سابع.
(٣) انظر الدليل الشافي لأبي المحاسن ١/ ١٢٩.
(٤) في م: فحلفت له أركان الدولة.
(٥) المنهل الصافي: كان جلوسه على تخت الملك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر. وفي الوافي للصفدي ١٦/ ١٥٤ : يوم الجمعة ثالث عشر؛ وفي آ: يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر.
(٦) وردت في المنهل الصافي والوافي:

جبين سلطاننا المرجَّى مباركُ الطالع البديع
يا بهجةَ البدر إذ تبدَّى هلالُ شعبانَ في ربيع

(٧) راجع المنهل الصافي ٦/ ٢٥٢.

(١٩) أخوه السلطان الملك المظفر حاجي

ابن السلطان الملك الناصر محمد. جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل [شعبان] في مستهلّ جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة. وأقام في الملك إلى ثاني عشر شهر رمضان المعظّم قدره من سنة ثمان وأربعين وسبع مائة. ثم خلع وانتقل إلى رحمة الله تعالى[١]. وكانت مدته[٢] سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا.

(٢٠) أخوه مولانا السلطان الملك الناصر

ناصر الدنيا والدين أبو المحاسن[٣] حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون. جعله الله تعالى وارثَ الأعمار، عالي المنار، محروسًا بملائكته الأبرار[٤]. جلس على سرير الملك بكرة الثلاثاء رابع عشر شهر[٥] رمضان المعظم قدره سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، بعد خلع أخيه الملك المظفر، وضربت له البشائر، وحضر في البشارة إلى الشام الأمير سيف الدين أَسنبغا المحمودي السلاح دار[٦]. فصفقت من دمشق أنهارها السبعة، وأصبحت جبهتها مباركة الطلعة، وانشقّ زهر ربوتها، وتألّف ورقص غصن بانها وتعطف[٧]، وأخذت الأسواق في الزينة، وأبرزت من جواهر[٨]/ أقفاص مسموعها كل درةٍ [١٢٤آ]

(١) في ب: وقضى الله فيه أمره.
(٢) في ب: وكانت مدة ولايته.
(٣) في النجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٧؛ والمنهل الصافي ٥/ ١٢٥ «أبو المعالي» كنيته ولقبه ككنية أبيه ولقبه.
(٤) زيادة في م.
(٥) العقد الثمين ٤/ ١٨١: في ثاني عشر.
(٦) ترجمته في أعيان العصر للصفدي ١/ ٥٣٣ رقم ٢٧٩.
(٧) في آ: وتقصَّف.
(٨) نفسه: من جواهر مسموعها.

ثمينة. فخرجت الناس لرؤيتها[١] يهرعون، وأقاموا في الفرح سبعة أيامٍ ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾[٢] وهي إلى الآن تدعو لمولانا السلطان بألسنة ملاكها ومماليكها، وترقب أخباره السارّة بعيون شبابيكها[٣].

(١) في م: لربوتها، وهو الصواب.
(٢) سورة الذاريات ٥١/ ١٧.
(٣) في آ: بألسنة شبابيكها.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائرِهِ المستطاب

أولها: أقول: قد تقدم أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون والد مولانا السلطان، أعز الله تعالى أنصاره، كان ممن نصره الله تعالى على من بغى عليه، لأنّه كان يقول: «ما أعطى البغيُ أحدًا شيئًا إلّا أخذ منه أضعافه». وكان يقول: «ما اجتمع الظلمُ[1] والبغيُ على سرير إلّا خلا». وكان يقول: «الملك الحازم ينال غرضَه من عدوه بأربعة أشياء: اللين والبذْل والمكيدة والمجاهرة بالعداوة في آخر وقت إذا رأى الفرصة»، كما اتفق للملك الناصر رحمه الله تعالى.

ومثال هذه الأشياء الأربعة التي ذكرتها مثل الخرّاج الذي يخرج في بدن الإنسان، فإن علاجه في أول مرة التحليل، فإن لم ينفع فالتليين والإنضاج، فإن لم ينفع، فبالبطّ[2]، فإن لم يكفِ فالكيّ، وهو آخر العلاج. ولهذا قيل: «آخر الطبّ الكيّ». فإن استعمل أحد هذه الأشياء الأربعة المذكورة مكان الآخر، كان ذلك فسادًا في التدبير، بل يستعمل على الترتيب المذكور، وإلى الله تعالى عاقبة الأمور.

ثانيها: الملك الحازم ينال غرضه من أعدائه بالصبر، لأن الصبر مطيّة لا تكبو. قال بعض العلماء بسير الملوك: إن الصحيفة الصفراء المعلّقة في أعظم هياكل الفرس كان المكتوب فيها: «كما أن الحديد يعشق المغناطيس، فكذلك الظفَر يعشق الصبر». فاصبر تظفر.

ثالثها / : صبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى: [٢٤ب]

(١) في رواية آ: الملك، وهو الأقرب إلى الصواب.
(٢) بطّ الجرح أي شقّه، وفي رواية أخرى: البَضْع.

القوة الأولى: قوّة الحِلْم، وثمرتها العفو.

القوة الثانية: قوة الكلام والحفظ، وثمارها عمارة المملكة.

القوّة الثالثة: قوة الشجاعة، وثمرتها في الملوك الثبات في حالة الحرب.

ولا يراد من الملك الإقدام على المكافحة، فإن ذلك من الملوك طَيْش وتغرير، وإنما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبًا للمحاربين، ومعقلًا للمنهزمين. ولهذا أنكر بعضُ أهل زماننا على سلطان بلادنا أمير المسلمين[١] أبي الحسن المريني سلطان الغرب رحمه الله تعالى، لأنه كان يقتحم الهيجاء بنفسه، ويلحق في الحروب يومه بأمسه. فهو وإن كان فارسًا كرارًا، وخلص بقائم سيفه مرارًا، فإنه: «ليس المخاطر محمودًا وإنْ سَلِما».

رابعها: قال بزرجمهر: «علامة الظفر بالأمور المستصعبة المحافظة على الصبر وملازمة الطلَب، وكِتْمان السرّ». ومن كلام الحسن البصري: «جرّبنا وجرّب من قبلنا، فلم نَر شيئًا أنفع وجودًا[٢] من الصبر، ولا أضّر من فقده، به تُداوَى الأمور، ولا يُداوَى هو بغيره».

خامسها: قال الامام عليّ رضي الله عنه: «أُوصيكم بخمسٍ لو ضربتم إليها آباط الإبل، كانت لذلك أهلًا:

لا يرجُوا[٣] أحدُكم إلاّ ربَّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبَه، ولا يستحيينَّ أحدكم إذا سئل عما لا يعلمُ أن يقول: لا أعلم، ولا يستحيي أحدكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه، وعليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان، كالرأس للجسد، ولا خير في جسدٍ لا رأس له، ولا في إيمانٍ لا صبرَ معه».

(١) في آ: أمير المؤمنين.
(٢) في م: وأجود.
(٣) كذا في ب؛ وفي آ: لا يرجوَنَّ.

سادسها: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لو كان الصبرُ رجلًا لكان كريمًا».

وقال الحارث بن أسد المحاسبي[١]: «لكل شيءٍ جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر».

ومن كلامهم: «الصبر مرٌّ لا يتجرّعه إلا حُرٌّ»/. [٢٥آ]

وما أحسن قوْلَ بعضهم: [من الهزَج]

إذا ضـــاق[٢] بـــكَ الأمـــرُ فكـــن بالصـــبر لَـــوّاذا
وإلا فاتـــــك الأجـــــرُ فـــلا هـــذا ولا هـــذا

سابعها: قال أبو العيناء: «كان لي خصوم ظَلَمة، فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد القاضي[٣]، فقلت: قد تظافروا عليَّ، وصاروا يدًا واحدة». فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]. فقلت: إنّ لهم مكرًا. فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٥].

فقلت: هم كثير. فقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٦].

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١١/ ٢٥٧ رقم٣٧٧.
(٢) في م: حَلَّ.
(٣) هذا هو الاسم الذي اشتهر به، وهو أحمد بن فرج بن جرير ينتهي إلى معد بن عدنان، ترجمته في الوافي للصفدي ٧/ ٢٨١ رقم ٣٢٦٤.
(٤) سورة الفتح ٤٨/ ١٠.
(٥) سورة فاطر ٣٥/ ٤٣.
(٦) سورة البقرة ٢/ ٢٤٩.

الباب الخامس
في ذِكْر طَرَفٍ يسير من سيرة مولانا السلطان، وسيرة إخوته وأبيه وعَمَّيْه الملك الصالح والملك الأشرف، وجدّه الملك المنصور قلاوون

أقول: إن السلطان الملك المنصور قلاوون تسلطن بعد خلع الملك العادل سلامُش ابن الملك الظاهر. وصَفَا له في بطانته الباطن والظاهر، فتصرّف في البلاد عرضًا وطولًا. وكانت له في معرفة النظر[1] في الكتب اليد الطولى، وله في ذلك الغرائب والعجائب، فهو ممن تجنَّب السبع الموبقات، وأكثر من الفتح والفتوحات، فكسر التتار سنة ثمانين، وترك الفرنج من جيشه في حلقة التسعين. وله في القاهرة الأوقاف المبرورة، والمدرسة المشهورة، والبيمارستان الذي هو من حسنات الزمان، تحتاج إليه الملوك، ويفتقر إليه الغني والصعلوك. فهو عون الفقير، وجبر الكسير، ولا سيما في هذا الزمان الذي نظر الله تعالى إليه، وجعل الناظر فيه من أجرى الخيرات على يديه، المقر الأشرف السيفي صَرْغتمُش رأس نوبة الملكي الناصري[2] شعر: [من الوَافر]

أميـــرٌ مُحكـــمُ التـــدبير طَـــبٌّ ... ملـــيءٌ بالطعـــام وبالطِّعـــانِ/ [٢٥ب]
خبيـــرٌ باللغـــات ومـــن عراهـــا ... سَـــليل الـــتركِ يعـــرف باللســـانِ
أتابـــكُ عســـكرِ الأمـــراء يبـــدوا[3] ... لنـــا أنبوبـــه قبـــل السِّـــنانِ

(١) في م: الكشف.
(٢) ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٢/ ٥٥٥ رقم ٧٩٥.
(٣) كذا في ب.

لـــه وجـــهٌ أنـــار البـــدرُ منـــه ... فمنـــــه يَســـــتمد النيِّـــــرانِ
حكـــاه البـــدرُ في حُسْـــنٍ ولكـــنْ ... يفـــوقُ البـــدرَ بالشِّـــيَمِ الحِســـانِ
وقـــد يتقـــارب الوصـــفانِ جـــدًا ... وموصـــــــوفاهُما متباعـــــــدانِ
كمـــا بـــين الثريـــا والثـــرى لا ... كمـــا بـــين الرعـــان إلـــى المجـــانِ
لصـــارمه اليمـــاني بَـــرْقُ وَبْـــلٍ ... رعـــاه اللهُ مـــن بـــرقٍ يمـــاني
فكَـــم جلَّـــى[1] بـــه ظلمـــاءَ خَطْـــبٍ ... وجـــاء مـــن الضـــياءِ بمـــا كفـــاني
دمشـــقيُّ النِّجـــارِ عزيـــزُ مصـــر ... يمـــاني الجُـــودِ صـــينيُّ الأواني
تـــرَى الرمـــد[2] إذا مـــا شـــاهدوه ... ضِـــياءً في العيـــون وفي العِيـــانِ
فكـــم قـــرّت لهـــم عـــينٌ وأمسَـــى ... لنـــاظرِ كـــلِّ عـــينٍ نـــاظرانِ
يُســـابِقُ فِعْـــلُ هـــذا قـــولُ هـــذا ... فكـــلٌّ ســـابقٌ بـــالخير بـــاني
فهـــذا بالسياســـةِ والأيـــادي ... وهـــذا باليـــدين وباللســـانِ

هذا مع ما وقع مما أنشأه المقرّ السيفي المذكور - صَرف الله تعالى عنه عظائمَ الأمور، من المدرسة المعظّمية على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[3] ﷺ، فانتمى بها إليه أحسن الانتماء، وأمست مدرسته تنسب إلى أبي حنيفة وفقهه ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[4]، فلا غرو إذا [٢٦آ] حوت بسكانها سَكينةً وسمتًا، وأصبحت بطريقة / الشيخ قوام الدين[5] في العلم، لا ترى فيها عوجًا، ولا أمْتًا. فهو خادم السنّة الشريفة، والأخير الذي لو أدرك

(١) م: أجلى.
(٢) غير واضحة في الأصل، وفي م: الرمَدي وهذا غير صحيح، وفي رواية: الرمْدا. كما في آ، وهو الصواب.
(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٧/ ١٤٤ رقم ٩٧؛ ووفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥.
(٤) سورة إبراهيم ١٤/ ٢٤.
(٥) هو الشيخ الإمام العلامة قوام الدين أبو حنيفة الإتقاني شيخ المدرسة الصرغتمشية.

الصدرَ الأوّل لقيل أبو يوسف أبو حنيفة. فالله تعالى يتقبّل دعاء القاعد بها للواقف، ويضاعف حسناته مضاعفة الحبّة، والله يضاعف لمن يشاء، إنما قيل: [من الكامل]

فلهـا بـه فضـلٌ علـى الأقـرانِ ... مـا بـان في الأغصـان فضْـلُ[١] البـانِ
قـد أنبـتَ الترخـيمُ في مِحْرابهـا ... زهـرًا كَـدُرّ قلائـد العِقْيـانِ
فكأنـه كِسْـرَى أنـو شـروانَ قـد ... وضـعوا عليـه التـاجَ في الإيـوانِ
لـو لـم تبـت وأبـو حنيفـةَ شـيخُها ... مـا شُـبِّهت بشـقائق النعمـانِ
حَبْرٌ يطـوف النـاسُ[٢] بحـرَ علومـه ... حتـى كـأنّ النـاسَ في طوفـانِ
يلقـي[٣] إليـه العلـمَ فهـو زمامـهُ ... وأبـو حنيفتنـا الإمـامُ الثـاني
وغـدا لـه في البحـث كـلّ طريقـةٍ ... نُسـبت إلـى التحقيـق والإتقـانِ[٤]

السلطان الملك الصالح علي

عليٌّ الهمّة، حسَن العِمَّة[٥]، معدودٌ في نجباء الأبناء وأبناء النجباء. عَهِدَ أبوه الملك المنصور إليه، واعتمد في تدبير الملك[٦] عليه، فمات بعد أن خطب له معه على المنابر، وقطفَت[٧] بمراسيمه الشريفة ألسنة الأقلام في أفواه المحابر. وقال فيه محيي الدين بن عبد الظاهر[٨] من جملة كتاب كتبه على لسان أبيه إلى بعض

(١) في آ: غُصنُ البان.
(٢) في م: بمصر.
(٣) في م: يثني.
(٤) في م: الإمكان.
(٥) في آ: النِّعمة.
(٦) في م: المملكة.
(٧) في م: نطقت، وهو الصواب.
(٨) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٧/ ٢٥٧-٢٩٠.

النواب: ونحن بحمد الله تعالى، حُزْنا بالصبر المثوبةَ الباطنةَ والظاهرة، وكان من غرضنا أن نجعلَه ملكًا في الدنيا، فجعله الله ملكًا في الآخرة.

السلطان الملك الأشرف خليل

[٢٦ب] كان لَيثًا هُمامًا، وبطلًا ضِرغامًا، افتتح / ملكَه بالجهاد وتمهيد البلاد، فنظّف الساحل، وقطع عن أهله الواصل، وصاد بفخاخ منجنيقاته عكّا وصيدا، وأَعدَّ لمجازاتهم ومنازلتهم سابغات[١]، وعدًا عن نداه[٢]. فتسوَّر السور على أهل صور[٣]، وهجم البيوت على أهل بيروت، ونال الغرض الأسنى من أهل بهسَنا، فاستدَّ بها باب الشرّ، حين فتحت، وتلا بها على قلعة الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾[٤]. فأفنى أوقاته في الحروب، وأخذ بثأر ابن أيوب، ولا سيما عند فتح عكّا ودكّ أرضها بسنابك خيلة ﴿دَكًّا دَكًّا﴾[٥]، فهدم أسوارها، وأسر أبكارها، وقتل عُلُوجها، ورعَى مروجها. ففرح به المسلمون وانتصروا، وقُطِعَ ﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[٦].

وكان رحمه الله مع ما فيه من البادرة[٧]، حسَنَ النادرة، يحب الغرباء ويطارح الأدباء. وفيه يقول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر، يصف فضله الباهر:

ما رأيتُ ولا سمعتُ بأسبق من ذهنه إلى فهم[٨]، ولا أَدركُ منه لما يزيل الوهم. ولقد كتبت عنه واستكتبت، فما علّم على مكتوبٍ قطّ إلا وقرأه جميعه،

(١) في م: لمجاراتهم ومباراتهم سابقات؛ وفي آ: وأعدَّ لمحارباتهم ومبارزاتهم سابغات عليدا، وهي الدروع الصلبة.
(٢) كذا في ب غير واضحة، وقد وردت أحيانًا: وعدًا عن نداه، وأحيانًا أخرى: وغدا عرندا.
(٣) في م: على أهون سور، وهو تصحيف.
(٤) سورة الروم ٣٠/ ١-٢.
(٥) سورة الفجر ٨٩/ ٢١.
(٦) سورة الأنعام ٦/ ٤٥.
(٧) في م: المبادرة.
(٨) في م: الفهم.

وفهم أُصولَه المكتوبة وفروعه، لا بل واستدرك عليَّ وعلى الكُتَّاب، وخرَّج أشياءَ كثيرةً معه فيها الصوابُ، وذلك بحُسْن تعطُّف وتلطُّف: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[١].

وعَظُمَ في نفسه في آخر وقتٍ إلى أن صار يكتب في موضع العلامة (خ) إشارة إلى الحرف الأول من اسمه. ومنع كُتاب الإنشاء أن يكتبوا لأحدٍ من الأمراء والنواب: الزعيمي. وكان يقول: مَنْ زعيم الجيوش غيري؟ وكان يؤخذ على حِمْل الجَمل من القمح خمسة دراهم مَكْسًا في باب الجابية في دمشق. فأول ولايته وردت منه مسامحة بإسقاط / ذلك. وبين سطور المرسوم [بخطه][٢] بقلم [١٢٧آ] العلامة: «ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ونستجلبَ الدعاءَ لنا من الخاصَّة والعامَّة». بيت مفرد: [من البسيط]

وأَزرقُ الصبحِ يبدو قبلَ أَشهَبِهِ[٣] وأولُ الغَيثِ قَطْرٌ ثم ينسكبُ[٤]

وإليه تنسب الأشرفية التي بقلعة الجبل المحروسة، التي هي الآن كِنانةُ الله في أرضه. ومعقلُ سُنَّةِ العَدْل وفَرْضِهِ، «والسرُّ في السُّكان لا في المنزل».

وقد أصبحت[٥] على وجوه خدّامها للحُسْن أشراطُ، ولآذان شرُفاتها بين النجوم بمصر أقراطُ.

فالزهر أزهارها، وجداول نهر المجرَّة أنهارها، والبروج قصورها، وهالة القمر سورها، والسعود أخبيتها وفريقها، وسُهيل إلى صلة الأرزاق طريقها،

(١) سورة المائدة ٥/ ٥٤.
(٢) زيادة من م.
(٣) في م: أبيضه.
(٤) في م: ينهملُ.
(٥) الواو زيادة من م.

وحاجب الشمس أميرها، وشيخو شيخُ رأيها ومشيرُها[١]. شعر: [من الكامل]

شَـيخو حمَـى جيرانَهـا وأجارهـا ... وعَـلا بهمّتـه سُـهَيلًا جارَهـا
شـيخو فتـى الفتيـان سُـحْبُ نوالـهِ ... أرخَـتْ عليـه مـن الحيـاءِ إزارَهـا
شيخو فتى الفِتيان إنْ حَمِيَ الوغَى ... أطفـا فوارسَـها وأضـرم نارَهـا
شـيخو يبيـتُ الـبرقُ خلـف جِيـاده ... يجـري ولكـنْ لا يشُـقُّ غُبارَهـا
شـيخو مناجلـهُ صَـوارمُه التـي ... حصَـدت[٢] بهـا أعـداؤه أعمارهـا
شيخو تخاف الأُسْدُ منه فأصبحت ... نصـرًا[٣] وقـد أخلـت بهـا أوكارَهـا
شـيخو عَلـت درجاتُـه بمنـارةٍ ... عَلـتِ النجـومَ وحـدّثت أخبارهـا

فللّه ما بناه من الجامع، الذي هو لأنواع[٤] المحاسن جامع. شعر[٥]: [من الطويل]

ومدرسـةٍ للعلـم فيهـا مـواطنٌ ... فشَـيخو بهـا فـردٌ وإيثـارهُ جَمْـعُ
[٢٧ب] لـئن بـات منهـا في القلـوب مَهابـةٌ ... فواقفُهـا لَيْـثٌ وأشـياخُها سَـبْعُ/

قد أكثر بها المواهب، وسلَك فيها بجمع الأئمة الأربعة أحسن المذاهب. فأزاح بتعاليلهم العلل، ومزج الفقهاء بالصوفية، فجمع بين العلم والعمل، فأجرُها عند الله أفضل، وذاتها بالشيخ أكمل. وكيف لا وهو: شعر: [من الكامل]

شـيخٌ إلـى سُـبُلِ الرشـاد مسَـلِّكٌ ... وطريقُـه في العلـمِ مـا لا يُجهَـلُ

(١) ترجمته مستوفاة في أعيان العصر ٢/ ٥٣١ رقم ٧٧٨.
(٢) في م: به.
(٣) في م: مصر.
(٤) في م: العلوم والمحاسن.
(٥) حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٢٦٦.

شـــيخٌ بحسْـــنِ شـــروحه وبيانـــهِ ... مـــا بـــاتَ بالمفتـــاحِ بـــابٌ مُقفَـــلُ
شـــيخٌ تبحَّـــرَ في العلـــوم فمـــن رأى ... بحـــرًا يســـوغ لواردیـــه الَمنْهَـــلُ
شـــيخٌ عليـــه مـــن الَمهابـــةِ رَونَـــقٌ ... كالبـــدر لكـــنْ وجهُـــه متهلِّـــلُ
شـــيخٌ لـــه في الطـــالبين مســـائلٌ ... في العلـــم عَمّـــن لـــيس يُســـأل يَســـألُ
شـــيخ تقـــدّم في العلـــوم لأنـــه ... إنْ عُـــدَّ أربـــابُ الفضـــائل أوّلُ
مـــا قِيـــلَ[1]: هـــذا كامـــلٌ في ذاتـــه ... إلا وقلـــتُ: الشـــيخُ عنـــدي أكمـــلُ

فاللهُ تعالى يُشيد أركانه، ويؤيِّد سلطانه، ويبسط ظِلَّه الظليل، ويكافئه عن حوض السبيل بالسلسبيل، ليصبح بأجر الظمآن في أمان، ويدخل الجنة مع الصائمين، من بابٍ يقال له: «الريَّان» بِمنِّه وكرَمه، إنه على ما يشاء قدير.

السلطان الأعظم الملك الناصر محمد بن قلاوون

كان ملكًا مُهابًا، وجوادًا وَهَّابًا. له قوّة بطشٍ وبأسٍ ومهابة في قلوب الناس. قد حَلّت به أسطر الدهر[2]، وجرى ذكره من النيل إلى ما وراء النهر، فانتشر ذكره في الآفاق، وأصبح لهيبته نسَب عريق في العراق، طالما ضرب مع التتر الُمصافّ، **وقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُم مِن خِلافٍ**[3] فأذاقهم النكال ﴿**وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ**﴾[4]. فهو ممن خدمته / السعادة، ونال من أعدائه ما أراده [وزيادة][5]. [٢٨آ] أمسكَ إلى أن مات ما ينيف عن مائةٍ وستين أميرًا.

وكان يقتنص الشارد، ويصطاد الغزال وهو قاعد. وكان - رحمه الله - يحب

(١) في م: إن قيل.
(٢) في آ: قد حَلَب أشطر الدهر.
(٣) تضمين الآية ٣٣ من سورة المائدة.
(٤) سورة الأحزاب ٣٣/ ٢٥.
(٥) الزيادة من م.

مماليكه ويبالغ في إكرامهم، ويتغالى في محبتهم وأثمانهم. فكان يبذل في أثمانهم النقود النضّة، وينفق عليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ولله جار الله حيث يقول: شعر: [من الطويل]

فـإنَّ وجـوهَ الـتركِ واللهُ جارُهـا بـدورٌ علـى أمثالهـا تُنفَـقُ البِـدَرُ[١]

فعظموا في أيامه وخُوِّلوا في أنعامه، فما منهم إلا مَن حَسُنت آثارُه[٢]. وبنى المدارس والجوامع. فانتشر العلم، وارتفع منارُه: [من البسيط]

لـيس الفتـى بفتـىً لا يُستضـاءُ بـه ولا يكـون لـه في الأرض آثـارُ

ولا سيما ما أنشأه المقر الأشرف السيفي الملكي منجك الناصري[٣]، وزير الديار المصرية، وكافل الممالك بالمملكة الطرابلسية للآن، من الجامع الذي جمع المحاسن، واجتمع بصهريجه أنهار من ماءٍ غيرِ آسن. كم أطلعت زُهْرُ قناديله أنجمًا، وكم مشيتُ فيه. وإِنْ كنتُ أحب الصالحين، ولست منهم، على الماء، «والمرءُ يصلحهُ القرينُ الصالح».

والخانقاه[٤] التي تشرّفت من طلبة الصوفية بالعلم والعمل، وأصبحت كأنها من المنقطعين إلى الله تعالى في رأس جبل. وهي الآن مما ذكرت بسكناها أهلي وبلادي «ذكرى حبيب». وأصبح لي بها بين الصوفية حظ ونصيب. فأنا - وإن كنتُ شيخَهم - خادمُهم على الحقيقة، وسالك الطريق أمامهم. فلا غرو إذا تكلمت على الطريقة، فقلت: [من الطويل]

(١) في م: يُنفَق الدرُّ.
(٢) في آ: حسَّنت سيرتَه آثارُه.
(٣) ترجمته مستوفاة في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٦/٣٠٨ رقم ٢١٤.
(٤) هي زاوية المتصوفين والفقراء عند الفرس، تحولت في الفترة العثمانية إلى «تكية».

أَرَى مِنّــةَ التوحيــدِ أعظــمَ مِنَّــةٍ ... علــى غــيظ جُهّــالِ الــورَى الثنويــةِ
وأَشــــهدُ أنّ اللهَ لا ربَّ غيــــرُه ... وأَنَّ رســـولَ اللهِ خيــرُ البريَّــةِ / [٢٨ب]
ومــن مــذهبي حُــبُّ النبــيِّ وآلــه ... وأصــحابه والتــابعين الأئمــةِ
ولــم أخــشَ في أثنــاء قــولي دسائسًــا ... فيــا ويــلَ مــن أمسَــى مــن الحشْــوِية
ولو كان هذا موضع القول أظهرت ... بــدائعُ نظمــي عــنهم كــل بدعــةِ
وبيَّنــتُ قــولَ[1] الملحدين بأسرهم ... بأبيــاتِ نظــمٍ كالحصــون المنيعــةِ
تــرى الهمــزَ فيهــا مثــل وُرْقِ حمــائمٍ ... وقــد أعربــت عــن ألســنٍ عجميــة

فيا لها من خانقاه تشرق قناديلها في كل زاوية، ويعجز عن وصف صهريجها صريعُ الدلاء[2] وحمادُ الراوية[3]. فكم فيها للصوفية من خلوة، وكم لعروس منارها من جَلْوة. فالله تعالى يضاعف للواقف والقاعد بها الحسنات، ويرفع لباني منارها الدرجات، ويكثر به في أمة صاحب الكوثر، ويقرّ عينه بالصهريج يوم العطش الأكبر، ويروي سيوفه من دماء عدو الدين المخذول، ويتقبل فيه دعاء المملوك، حيث يقوم ويقول: شعر: [من الوافر]

أَمنجــكُ سُــلَّ في الأعــداد بُتْــرَكْ ... ولا تــتركْ مــن الإفــرنج[4] بــترَكْ
فبــاعُ الشِــرْكِ منــكَ اليــوم شِــبرٌ ... فمُــدَّ لحَتْــف أهــل الزَّيْــغ فِتْــرَكْ
وصــلِّبْ في جــذوع النخــل مــنهم ... لينكسِــــرَ الصــــليبُ إذًا ويُــــتركْ

(١) في م: قولي.
(٢) هو محمد بن عبد الواحد القصار البصري، وقتيل الغواشي الشاعر الماجن المطبوع، راجع ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٦١ رقم ١٥١٠.
(٣) حماد بن أبي ليلى ميسرة أو سابور أبو القاسم الكوفي الراوية، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٣/ ١٣٧ رقم ١٥١.
(٤) في م: الجُهَّال.

فكَـم سَـكَّنتَ مـن خَفقـان قلـبٍ إذا مـا قيـل: جيشـهُمُ تحـرَّكْ
فأدركـتَ المعـالي[١] بـالعَوالي ولكـنْ فَضْـلُ جُـودِكَ لـيس يُـدرَكْ
فجودُك حول شاطي البحر يجري فيـا لِلَّـه فيـه مـا أَبَـرّكْ!
[١٢٩آ] وقـد أوحشـتَ مِصـرًا حـين قالـت تـولَّى اللهُ حيـثُ حللـتَ نصـركْ/

الملك المنصور أبو بكر

كان أبوه الملك الناصر قد نصّ عليه، وأسند الوصِيَّةَ بالملك إليه، وذلك بحضرة قُوصُون[٢] وبَشْتاك[٣] وجماعة من الأمراء الأتراك. فما اختلف عليه اثنان، ولا قيل: هذان خصمان.

فسار سيرةً حسنة، وجلس على سرير الملك وقد ناهز العشرين سنة، فولَّى من وَلَّى، وعزل من أدبر وتولَّى. فبسَطَ[٤] العدلَ، وأكثر البذل، وأجزل العطية، وأحبّته الرعيّة. وعامل خاصكية أبيه بالمعروف، وبذل فيهم الألوف بعد الألوف. فقيل: سار أبو بكر سيرة العمرين، وطار الخبر بعلوّ همّته إلى النيّرين. فلم يكن إلا ريثما اشتدّ ساعده، وتمهّدت قواعده، إذ سوَّلت له قُرَناه[٥]، وخانه الدهر وأبناه، فنشبوه[٦] بركوب البحر إلى الخوض مع الخائضين وشهدوا، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾[٧]: [من الطويل]

(١) في آ: فأدركت المعاني.
(٢) قوصون الأمير الكبير سيف الدين الساقي الناصري النائب وأكبر خواص أستاذه، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤/ ٢٧٧ رقم ٢٨٧.
(٣) بشتاك الأمير سيف الدين الناصري، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٠/ ١٤٢ رقم ٤٦٠٠.
(٤) في آ: بقسط العدل.
(٥) م: قرناؤه، وخانه الدهر وأبناؤه.
(٦) في آ: فنسبوه.
(٧) سورة يوسف ١٢/ ٨١.

ومن ذا الذي ينجوا[١] من الناس سالمًا وللنـــاس قـــالٌ بـــالظنون وقيـــلُ

وقد علم الله سبحانه وتعالى تحريف ذلك القول وضعف روايته، من تلك السنة إلى هذا العام، فلا حول ولا قوة إلا بالله[٢]. فلم يكن إلا كَسِنَةٍ من النوم، أو يومٍ أو بعضِ يوم، إذ أُخِذَ بَغْتةً.

وقيل: كانت ولاية أبي بكر فَلْتة، فخرج سابعُ سبعةٍ من إخوته إلى قُوص، وفُقِدَ هناك شخصُه الكريم على الخصوص، فأصبح وقد أضمرته البلاد، ولبس لفقده حتى الخطيبُ السواد. فأغمض هناك جفنُه طَرْفَه المنتبه. وكان ذلك آخر العهد به، رحمه الله تعالى[٣].

الملك الأشرف كُجُك

تصرَّف في الأحكام صغيرًا، وأُوتِي على صِغَرِ سِنِّه مُلْكًا كبيرًا. فكان سابوريَّ الولاية/، صغيرًا إلى الغاية[٤]. لا جرَم أنه جرى عليه ما يشيب به الوليد. وقالت [٢٩ب] الأيام بعكس مراده: «إنك لتعلم ما نريد». فخذل بعد أخيه المنصور، وجرت عليه - واللهُ غالبٌ على أمره - الأمور. فانتصر أخوه الملك الناصر عليه، ونزع الملك باليد القوية من بين يديه. فلم يزل في أسر الاعتقال وتِيه الانتقال، إلى أن أُلحقَ بعمه الأشرف، وقدم على الجنة وأشرف. فقرعت لفقده الأسنان قرعَ الأسنة.

---

(١) كذا في ب.

(٢) الزيادة يستدعيها السياق.

(٣) انظر حول أبي بكر بن محمد بن قلاوون الدليل الشافي للمقريزي ٢/ ٨٢٣؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣-.

(٤) حول الملك الأشرف كجك، انظر بدائع الزهور ١/ ١/ ٤٩٠؛ والدليل الشافي ٢/ ٥٥٥؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢١.

وطار خبره في الآفاق. فهنيئًا له عصفورًا من عصافير الجنّة. فيا له من موروث أورث في القلب حزنًا، وجَنَى وزْدٍ جنى عليه، وربما عوقب من لاجنى[١]: [من الوافر]

وجُـــرْمٌ جَـــرَّه سُـــفهاءُ قَـــومٍ فحـــلَّ بغيـــر جانيـــهِ العِقـــابُ

إي واللهِ، [وقال آخر][٢]، مفرد: [من الكامل]

غَيـري جنَـى وأنـا المعاقَـبُ فـيكمُ فكـــأنني سَـــبَّابةُ المتنـــدِّمِ

وكان قوصونُ في أيامه مُشيرَ دولته، ولسانَ مملكته. فاستولَى على المماليك، وتصرّف في المملوك والمالك. فأُمِهلَ[٣] قليلًا، ثم أُخِذَ أَخْذًا وَبيلًا. فندم ولم ينفعه الندم، ولحقت طراطيشه[٤] العجم. فنهبت خانقاته، وتنكّست لشؤم رأيه راياته. فبطل زمره[٥] وطبله، وخلا من الحواصل[٦] إصطبلهُ. فاشتفى به الحسود، وأصبح عبرةً في الوجود. وكيف لا وقد فارق الأهل والولد، وأصبح في إسكندرية ورجلُه في صَفَد.

ولم يزل بها سابعَ سبعةٍ من الأمراء المعتقلين، إلى أن نُفِّذ فيهم حكمُ رب العالمين. وفرغ زيتُ قنديلهم، وأمر بجرحهم بعد تعديلهم[٧]، فخلا منهم المكان، ودخلوا في خبر كان.

(١) كذا في ب.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) في م: فأهمل.
(٤) لفظة عامية تعني أجزاءه ونتفه.
(٥) كذا في م، وفي ب: رجمه.
(٦) في م: الخيول.
(٧) اصطلاح يستعمل في علم الحديث للحكم ما إذا كان صحيحًا أو ضعيفًا أو متروكًا.

الملك الناصر شهاب الدين أحمد

كان أكبرَ إخوته سِنًّا، وأرجَحهم في العين وزنًا. فهو ليثُهُم الغالب، وشهابُهم الثاقب. وكان أبوه قد / أخرجه إلى الكرك وهو صغير السنّ، فجعلها محَطّ رحاله، [٣٠آ] وكِنانةَ سِهامِه ورجاله. فأقام بها مدةً، وأنشأ بها إنشاءاتٍ عِدَّة[١]. فلم يزل بها إلى أن حدثت بالشام مظالم، وفعل الفخري[٢] مع نائب دمشق[٣] «فعل الحية بظالم».

واتفق بعد ذلك لقوصون ما تقدّم ذكره واشتهر بين الناس أمره. فعند ذلك خطبت له عقائد الممالك، وطلب إلى مصر من هنالك. فحضر بعد تثبُّتٍ ومُهْلَة، ودخل على حين غَفْلَة. فجلس على سرير الملك بعد خلع أخيه المذكور آنفًا، وأمر بقتل سبعة من الأمراء المعتقلين بالإسكندرية ممَّن كان له مخالفًا. فولغ في دمائهم بلسان السنان، وقال حين أخذ بثأر أخيه أبي بكر: «وا ثارات عثمان». فلم تكن إلا كزورة الحبيب، أو غفلة الرقيب، أو غمزة حاجب، أو مشقّة كاتب، إِذْ كَرَّ راجعًا إلى الكرك التي هي تربة أترابه، ومنازه منازل أحبابه. مفرد: [من الخفيف]

ركـــب الأهـــوالَ في زَورتـــه ثـــم مـــا سَـــلّم حتـــى وَدَّعـــا

وكان في أثناء ذلك قد أمسك أميرين كبيرين، أحدهما نائبه والآخر عَضُده ومساعده، فجعلهما عند وصوله إلى الكرك مُثلَةً وقتلَهما أَشَرَّ[٤] قتلة. فأهمل جانب مساعده، وأقبل على ما كان عليه من اللهو أيام والده. فتفاقم الأمر،

(١) انظر ترجمته مستوفاة في أعيان العصر للصفدي ١/ ٣٧٠ رقم ١٨٩.
(٢) هو سيف الدين قطلوبغا الساقي الناصري المعروف بالفخري، ترجمته في أعيان العصر ٤/ ١١٢ رقم ١٣٧٧.
(٣) هو الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب الناصري، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٦٠٠ رقم ٣٢٧.
(٤) في م: شرّ.

واختصم زيد وعمرو. فانتشى[١] الخلاف، وخرجت الخوارج في الأطراف، وتنمّرت بنو نمير، وقيل للخيّر فيهم: «لا خَيْر ولا مَيْر».

«فاتّسعَ الخَرْقُ على الراقع»، وزرع رجّالةُ ابن فقيه المزارع، فقطعت الطرقات، وكثرت السرقات، واضطربت الأقوال، وكثرت الأراجيف والأهوال. ووقع المِراء، وجذبته[٢] الآراء، وكثر الفساد، وخربت البلاد.

[٣٠ب] فآل الأمر / إلى خلعه وولاية أخيه الصالح، وكان ذلك من أكبر المصالح.

السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل[٣]

كان من أجود الأخوة، وأكبرهم مروّة ونخوة، على شكله طلاوة، وفيه خير وتلاوة. اتفقت عليه الآراء بعد خلع أخيه الملك الناصر، وحلفت له العساكر، ودقّت له البشائر. فعدل في الأحكام، وعامل الرعية بالإكرام.

فأَمِنت البلاد، وطابت قلوبُ العباد: [من الوافر]

فلو تُرِكَ القطا ليلًا لناما

فزال بولايته البأس، وقيل لخطيب ولايته[٤]: [من الكامل]

ما في وقوفكَ ساعةً من باسِ[٥]

وكان أخوه الملك الناصر قد تحصَّن في الكرك، وأخرج منها من أخرج،

---

(١) كذا في ب، وفي آ: فانتشأ.

(٢) في م: وتجاذبت.

(٣) الملك الصالح أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٥٢٤ رقم ٢٧١؛ والمنهل الصافي ٢/ ٤٢٥.

(٤) في الهامش وفي م: محاسنه.

(٥) شرح ديوان أبي تمام ٢/ ٢٤٢، وهو مطلع قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم وتبلغ ٣٤ بيتًا، وهذا صدر البيت، أما عجزه فهو:
نقضي ذِمامَ الأربُعِ الأدراسِ

وترك من ترك: بيت مفرد: [من الكامل]

حَـذِرٌ أُمـورًا لا تصـيرُ[١] وآمِـنٌ ... مـا لـيسَ مُنجيـه مـن الأقـدارِ

فأمر بتجهيز العساكر إليه، والتضييق عليه: فأقبل إليه ابن صُبْح حين أدبر الظلام، وكسيت رؤوس الجبال عَمائم الغمام، مفرد: [من الوافر]

غمـامٌ ربمـا مُطِـر انتقامًـا ... فـأقحط دونـه[٢] البلـدَ المَريعـا

هذا بعد أن دقَّ النفير، وجمع العَشيرَ، فأَخلَى الضياعَ، وملأ بأهل البقاع البقاع، وكثر بأهل السويداء السواد، وأكثر من الحجّارين الذين نقبوا في البلاد. ثم تكاثرت من بعده العساكر.

وأقبل من المصريين كل شجاع، معتقلٍ في رمحه بناشر. فدبّت في أثرهم الدبابات، وزحفت الزحّافات. فتأهّب للقائهم، واستقل جمعَهم، وهم ما هم، جمعٌ كثير وجَمٌّ غفير، قد ملأت شعوبُ قبائلهم الشِّعاب، وأصبحت[٣] المصريون منهم والشاميون عدد الرمل والحصى والتراب. فأحدقت بهم حدائقُ العساكر، وأحاطوا بالقلعة / إحاطة السواد بالناظر. فاستقلت[٤] مناجيقهم عيونَ [٣١آ] مراميها في النظر، وتلقته من سورها على رأي العامة «بوجهٍ أبلطَ مِنَ الحَجر».

فعجبوا حين سكن الريح من خنادقها الهاوية، وعجزوا عن وصف قوارير نفطها، وما أدراك ماهِيَه. فسورها على شفا جُرْفٍ هار، وبروجها بين النجوم عالية المقدار. فالتحم بينهم القتال، وتكسّرت النصال على النصال، وأخذت الفرسان

(١) في آ: لا تضرُّ، أو لا تضيرُ.
(٢) في م: وَدْقَه.
(٣) كذا في ب، وهي: وأصبح.
(٤) في م: فاستقبلت.

والرماة في التحريك والتسكين، وذبح من نزل به القضاء من النشاب بغير سكين. فجنّ عليهم ظلامُ الغبار واختلَط[١]، ونزل على منجنيق الشاميين الغضب والسخَط. فجعل صنمه القائم جُذاذًا، وقيل له: فك أو كسر، فقال: شيء من هذا وشيء من هذا. فوقع بعد الصحة في العطَب، وتلت عليه النار: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[٢] هذا والجو بقتام الظلام ممتلي[٣]، وابن صُبْحٍ ينشد[٤]: [من الطويل]

ألا أيها الليلُ الطويل ألا انجلي [بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ]

وبالغ[٥] في القتال والتحريض، وأوقع الناس من رمحه وسنانه في الطويل العريض: [من الكامل]

فعلى التراب من الدماء مسَاجدٌ وعلى السماء من العجاج مُسوحُ

فلم تزل الأعمار كالأوقات تنصرم، ونارُ الحرب من سنة ثلاث إلى سنة خمس وأربعين تضطرم.

فحين أخذت الأموال في النفاد، والنقوب في النفوذ[٦]، وأشرفوا على أخذها، لأن «كل مُحَاصَرٍ مأخوذ» شكت القلعة إلى ربها، ودخلت نكاية النقوب[٧] إلى صميم قلبها، فبرزت متبرجاتُ الأبراج، وأصبحت عيون[٨] مراميها سريعة

(١) في آ: فجنَّ عليهم الظلام والغبار واختلط.
(٢) سورة المسد ١١١/١.
(٣) في م: بظلام القتام.
(٤) شرح ديوان امرئ القيس لحسن السندوبي ١٥٢، وهو البيت الخامس والثلاثون من معلقته الشهيرة.
(٥) في م: وتابع يبالغ.
(٦) في آ: والنقود في النفود.
(٧) في م: النفوذ.
(٨) في م: عيوب.

الاختلاج، فجاسوا خلال الديار، واقتلعوه من القلعة[١] / وسط النهار. فلم [٣١ب] يسعه - والحالة هذه - غير التسليم والقدوم [بعد ذلك][٢] على رب كريم. وكان قتله في صفر سنة خمس وأربعين وسبع مائة كما تقدّم[٣].

السلطان الملك الكامل شعبان

كان أخا الملك الصالح لأبويه، فأسند الوصيةَ بالملك إليه[٤]. فجلس على سرير الملك بعد اللتِيَّا والتي، وعهد إليه الخليفة كعهود أخيه التي ولّت. وكان شديد البأس، صعب المِراس، أزرق العينين، طويل الساعدين، محدّد الأنف، يعدّ في الرجال بألف.

استماله حب المال، وأتعب من ديوانه وحفَظته كاتب اليمين وكاتب الشمال. فأخذ القطيعة على الإقطاعات، وأقام لذلك ديوانًا قائم الذات. فوقع في المهالك، وأنكرت الناس عليه ذلك. فخالف العواذل وقدّم الأراذل. فصعب[٥] الأمر واشتط، وانحطّت البازات، وارتفع البط.

وكان قد خرج عليه يلبُغا نائبُ الشام[٦]، فشقّ العصا وخالف أمره وعصَى، وكان ذلك باتفاق منه مع جماعة من المصريين وبعض الأمراء الشاميين. فشق ذلك عليه، وأمر بتجهيز العساكر إليه. فضرب النفير، وجدّ بالعسكر المسير. فحين ضاق بهم متسع الفضاء، ووردوا بيرَ البيضاء، رجع منهم الشارد والوارد[٧]،

(١) في آ: من وسط القلعة.
(٢) زيادة من م.
(٣) انظر المنهل الصافي ٢/ ٤٢٥.
(٤) هو السلطان الملك سيف الدين الكامل، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٥٢١ رقم ٧٧٢.
(٥) في آ و م: فضعف.
(٦) في م: كاتب الشام، وهو الأمير الكبير سيف الدين اليحيوي الساقي، ترجمته في أعيان العصر ٥/ ٥٨٤ رقم ١٩٦٠.
(٧) في م: الصادر والوارد.

وحملوا عليه، حملةَ رجل واحد. فحين رأى الغبار، ثار وسل البتّار[١]، فنزل من القلعة كجلمود صخرٍ حطّه السيل[٢]. وقال لفرسه الأدهم حين وقع في سوادهم: أهلك والليل. فالتحم بينهم القتال واشتد، وسقط ما بيده[٣]، فأخذوه قبضًا باليد.

[٣٢آ] وكان رحمه الله كأخيه الملك الصالح، له ميل / إلى الحسناء[٤]، وحب المولّدات[٥] من النساء، طالما أخذت السُّمْر بلبِّه، وسكن حب السوداء في سويداء قلبه. فخالف فيها عُذّالًا شتى، وأنشد: مفرد [من المنسرح]

أحــب لحبهــا الســودان حتــى أحــبُّ لأجلهــا ســودَ الكــلاب[٦]

وقال: [من المنسرح]

ألبَســها الحــبُّ أنهــا صُــبغت صــبغة حَــبّ القلــوب والحــدَقِ

وما أحسن ما قيل في هذا النوع، قول ابن قلاقس، شعر[٧]: [من الخفيف]

رُبَّ ســوداءَ وهــي بيضــاءُ معنــىً نــافسَ المســكَ في اســمها الكــافورُ
مثــل حَــب العيــون تحســبه النــا سُ سَــوادًا[٨] وإنمــا هــو نــورُ

وقال أحمد بن يزيد[٩] الكاتب: [من المجتث]

(١) في ب: وصَلّ.
(٢) تضمين لمعنى البيت الخمسين من معلقة امرئ القيس، راجع شرح الأشعار الستة الجاهلية للبطليوسي ١/ ٤٩.
(٣) في م: وسقط في يده.
(٤) ربما المقصود: الحسان.
(٥) في م: المولودات.
(٦) المخلاة للعاملي ٣٤٨.
(٧) لم أعثر عليهما في ديوان ابن قلاقس المطبوع؛ وانظرها في وفيات الأعيان ٥/ ٣٤٧.
(٨) في آ: يحسبها الناسُ سويداءَ.
(٩) في م ووفيات الأعيان: أحمد بن بكر.

يـــا مـــن فـــؤاديَ فيهـــا مُتيَّمًـــا لا يـــزالُ
إِنْ كـــان لليـــل بـــدرٌ فأنـــتِ للصـــبح خـــالُ

وقال آخر: [من المجتَثّ]

يـــا رُبَّ ســـوداءَ تُجْلَـــى بحســـنها الظلمـــاتُ
مـــاذا يعيبـــون فيهـــا وكلُّهـــا حســـناتُ

وقول الآخر مضمِّنًا: [من الوافر]

وســـوداءُ الأديـــم إذا تبـــدَّت تـــرَى مـــاءَ النعـــيم جـــرَى عليـــهِ
رآهـــا نـــاظري فصَـــبا إليهـــا وشِـــبْهُ الشـــيءِ منجـــذبٌ إليـــهِ

وقول الآخر: [مِن مخلّع البسيط]

غصـــنٌ مـــن الآبنـــوس أبـــدَى مـــن مســـك داريـــن لـــي تمـــارا
لَيـــلُ نعـــيمٍ أَطـــلَّ فيـــه للطيـــب لا أشـــتهي نهـــارا

وقول الآخر: [من السريع]

يـــا أســـودًا يســـبح في بركـــةٍ فُقـــتَ الـــورَى حُسْـــنًا وإحســـانا
كنـــتَ لِخـــدّ الحُسْـــن خـــالًا وقـــد صِـــرْتَ لعَـــينِ العـــينِ إنســـانا

وقول الآخر[1]: [من السريع]

(١) بهامشه: للشريف البياضي، وهو مسعود بن المحسن أبو جعفر البياضي العباسي، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٥/ ٥٠١ رقم ٣١٦.
وفي الهامش الأيسر للصفحة من ب: [من الكامل]

سـوداء بيضـاء الفَعـال كأنهـا مُقَلُ العيون تخصّ بالأضواءِ
قالوا: جننت بحبها فأجبتهم أصل الجنون يكون بالسوداءِ

[٣٢ب] علقتُهـــا ســـوداءَ مصـــقولةً ســـوادُ عينـــي صـــفةٌ فيهـــا[١]/
مـــا انكســـف البـــدرُ علـــى تَمّـــهِ ونـــــــوره إلا ليحكيهـــــــا
لأجـــل ذا الأزمـــان أوقاتهـــا مؤرّخـــــــاتٌ بلياليهـــــــا

السلطان الملك المظفّر حاجي

جلس على سرير المُلك بعد أخيه المذكور[٢]، وجرت عليه بعد الأمور أمور. هذا بعد أن أَمر ونَهى ونَهر، وصفت له الأيام:

«وعند صفو الليالي يحدُث الكَدَرُ»

فلم يزل ناعمَ البال، خليّ البلبال، إلى أن أمسَكَ جماعةً من الكبراء وأولاد الأمراء، فروَّع الصغير، وقتل الكبير. فعامل الناس بالزجْر والمدّ، وتجاوز فيهم ذُبابُ سَيفه الحدّ. فحام حمامُ الحِمام، وذهبت بقية القوم الكرام: شعر [من الطويل]

فلـم يبـقَ إلّا مـن حماهـا مـن الظُّبـا لَمَـى شـفتيها والنـدَى[٣] والنواهـدُ

فلما بلغت روحُه التراقي، وعمل عاملُ سيفه حسابَ الباقي، سُلب القرار، وطُلِبَ الثار، وأخذ مُشيرُ القوم في تحريضهم. وخرجوا إلى قتاله بقضِّهم وقضيضهم، فتأهّب لقتالهم، ونزل من القلعة إلى نزالهم. فلما تراءَى الجمعان، اصطلح عليه الفريقان. فدنا منه حين دنا منه الأجل، وقيل لمن لام فيه: «سَبقَ السيفُ العذَل»[٤].

(١) في آ: صبغه فيها.
(٢) أي السلطان الكامل شعبان.
(٣) في م: والثُّديُ النواهدُ.
(٤) مجمع الأمثال للميداني النيسابوري ١/ ٢٤١.

وكان في خلال ذلك قد اشتغل بالطيور عن تدبير الأمور، والتهَى عن الأحكام بلُعْب الحَمام. فجعل السطوحَ داره، والشمسَ سِراجَه، والبرج مناره. فلما أطاع سلطان هواه، وخالف مَنْ نهاه، فبالغ في المِراء، وانتصب بكلام الوشاة إلى الإغراء[١]: شعر: [من الخفيف]

ما كلامُ الوُشاةِ إلا كِلامٌ ... وحَمامُ الأراكِ إلا حِمامُ / [٣٣آ]
هُنّ الحَمامُ فإن كسرتَ عِيافةً ... من حائِهنَّ فإنهنَّ حِمامُ

وما أطرف قول بعض البغاددة: [مواليا]

حُميّماتِ أراكِ الدَّوحِ ما أنتنْ ... يا وُرْقُ إلّا عَنائي كلما نحتُنْ
هذا وأنتنّ أزواجًا فلو كنتنّ ... مثلي فُرادَى، وأَيمُ اللهِ ما عِشْتُن

وقال آخر: [من الكامل]

ولقد أَلِفتُ على الأراكِ حَمامةً ... تُبدي فنونَ النَّوح في الأفنانِ
ساويتُها لما تساوينا الهوَى[٢] ... كلٌّ ينوحُ على غصُون البانِ

وقال المجنون[٣]: [من الطويل]

ولو لم يرعني الرائحون لراعني[٤] ... حَمائمُ وُرْقٍ في الديار وُقوعُ
تجاوبنَ[٥] فاستبكَين من كان ذا ... نوائحُ ما تجري[٦] لهنّ دموع

(١) انظر بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٥١٦.
(٢) في م: ضنىً.
(٣) هما البيتان الخامس والسادس من قصيدة تبلغ تسعة عشر بيتًا. انظر الديوان ١٩٠.
(٤) الديوان: فلو لم يهجني الظاعنون لهاجني.
(٥) نفسه: تداعَين.
(٦) نفسه: لا تجري.

وقال السّراج الورّاق: [من المتقارب]

ووَرْقـــاءُ أَرَّقنـــي نَوحُهـــا لهـا مثـلُ مـا لـي فـؤادٌ صَـريعُ
تَنـــوحُ وأكـــتمُ سِـــرّي ومـــا أبـــوحُ ودمعـــي لسِـــرّي مـــذيعُ
كأنـــا اقتســـمنا الهـــوَى بيننـــا فمنهـــا النُّـــواحُ ومنِّـــي الـــدّمُوعُ

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، رحمه الله تعالى: [من الخفيف]

نسـبَ النـاسُ للحمامـة حزنًـا وأراهـا في الحـزن ليسـت هنالـكْ
خضـبَتْ كفّهـا وطوَّقـت الجِيـدَ وغنَّـت ومـا الحـزينُ كـذلكْ

وقال الصفي الحِلِّي، عفا اللهُ عنه: [من البسيط]

وبشَّـرتْ بوفـاةِ الليـل[١] سـاجعةٌ كأنهـا في غـدير الصبح قـد سَـبحَتْ
مخضـوبةُ الكـفّ لا تنفـكُّ نائحـةً كـأن أفراخَهـا في كفِّهـا ذُبِحَـت

وقال آخر[٢]: [من المتقارب]

حَمـــامَ الأراكِ ألا فاخبرينـــا لمـــن تنـــدبين ومـــن تُعْوِلينـــا
[٣٣ب] فقـد شَـقَت بـالنَّوح منـا القلـوبَ[٣] وأبكَـت بالنـدب منـا العيونـا/[٤]
تعـالَيْ نُقِـمْ مأتمًـا للهمـومِ[٥] ونُعْـوِلُ إخواننـا الظاعنينـا[٦]
ونســـعدكنّ وتُســـعِدْننا فـإنّ الحـزينَ يواسـي الحزينـا[٧]

(١) في م و آ: بوفاء النيل.
(٢) ديوان ابن عنين ٩٥.
(٣) في آ: فقد اشتفيت بنوح الغصون.
(٤) في م: فشقيت، وأبكيت.
(٥) في آ: تعالوا نقم مأتمًا للفِراق كذاك الحزينُ فبكّي الحزينا.
(٦) في آ: وننذب أحبابنا الظاعنينا.
(٧) في آ: ونسعد كي لكي تسعدينا ونسعفك بالنوح كي تسعفينا.

حكي أن الإمام فخر الدين الرازي كان جالسًا يتكلم في بعض مجالس علمه، فبينما هو في هذه الحالة، وإذا ببازيّ تبع حمامةً، ولم يزل خلفها حتى ألقت نفسَها على الإمام فخر الدين، ودخلت في كمّه، فانصرف عنها البازي. فتعجب الناس من ذلك. وكان شرف الدين ابن عُنَين حاضرًا، فقام وأنشد أبياتًا منها قوله[١]: [من الكامل]

جاءت سليمانَ الزمان حمامةٌ[٢] والموتُ يلمعُ في جناحَي خاطفِ[٣]
مَنْ نَبّأَ الورْقَاءَ أَنَّ محلَّكم حَرَمٌ وأنكَ ملجأٌ للخائفِ؟!!

فأجازه الإمام فخر الدين بألف دينار.

مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين، أبو المحاسن حسَن[٤]

حسَنُ الذات، سعيدُ الحركات، له تهجُّد وصِيام، ومحبّة في النبي ﷺ. سَمت هِمّتُه من النيل إلى السِّماك الرامح، وسار سيرة حسنة كسيرة أخيه إسماعيل. فهو بقية السلف الصالح. وكيف لا وقد تجنّب اللمم، وعدل في الأمم، وأصلح بين الذئب والغنم، واقتدى بأبيه في العدل. «ومن يشابه أَباه فما ظلم»[٥]. وكان بهذا الوصف الطائل أحقّ بقول القائل: [من الكامل]

لَسْنا وإن كَرُمَت أوائلُنا يومًا على الأحساب نَتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعلُ فوقَ ما فعلوا[٦]

(١) في ديوان ابن عنين ٩٥ جاءت المقطعة ستة أبيات أورد المؤلف منها السادس والثالث على التوالي.
(٢) ديوان ابن عنين بشكوها، وفي رواية: بشجوها ولشكوها.
(٣) الديوان: من جناحي.
(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٢/ ٢٦٦ رقم ٢٣٨؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٧.
(٥) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٥٦، وصياغته هنا: من أشبه أباه فما ظلم.
(٦) انظر بدائع الزهور لابن إياس الحنفي ١/ ١/ ٥٦١.

فلم تزل دولته ماشية، وأُبّهة الملك تقول لسرجه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[١] فبدت لهم كرامات، ثم بدا لهم من بعدما رأَوا الآيات. فغاب كالبدر في سحابه، ورجع كالسيف المسلول من قِرابه. فخضعت له الرقاب، وضرب بين الظلم وقلعته بسور له باب، وأنشده الدهر: [من الوافر]

[٣٤آ] بغيرك راعيًا عبث الذئابُ

فأزال عن القلوب الوجَلْ، وأصبح لموشحات مدائحه زجل، أَيُّ زجل. وقالت قلعته المحروسة لسحب الأرزاق: «يا ساريةَ الجبل»[٢]: [من الوافر]

غَـدا سـلطانُنا مَلِـكَ البرايـا ... رعـاهُ اللهُ يعـدِلُ في الرعايـا
حواصـلُ عـدلِ والـده حواهـا ... فـأخرج مـن زواياهـا الخبايـا
فيـا ملكًـا لـه في الحكـم رأيٌ ... بـه يُقضَـى إذا اشـتبهت قضـايا
لـئن أمسَـيتَ عـارٍ مـن عيـوبٍ ... فقـد كُسِـيَت بنائلـكَ العَرايـا
وإِنْ صَـلَّت سـيوفُكَ في الأعـادي ... رأت تـرْكَ الصـلاةِ مـن الخطايـا[٣]
فمهـلًا في التمـادي في الأيـادي ... فقـد جُـزْتَ النهايـةَ في العطايـا
ووجهُـكَ حـاز كـلَّ الحُسْـن طُـرًّا ... فهـل خلَّفـتَ خلفـكَ مِـنْ بقايـا؟

(١) سورة الغاشية ٨٨/ ١.
(٢) هو سارية بن زنيم الأسدي الصحابي أمير الجيش الذي فتح فسا ودرابجرد، خاطبه عمر بهذه العبارة من على منبر رسول الله.
ترجمته في الوافي للصفدي ١٥/ ٧٥ رقم٩٧؛ وتاريخ الطبري ٤/ ١٧٤-١٧٩.
(٣) في م: تلك.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: الملك العادل مكنوفٌ بعون الله، محروسٌ بعين الله.

حكي أن عبد الله بن طاهر[١] قال لبعض العُبّاد الزهاد: كم تبقى هذه الدولة فينا وتدومُ ما بيننا؟ فقال له: ما دام بساطُ العدل والإنصاف في هذا الإيوان. ثم تلا [قوله تعالى][٢]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣].

وكان يقول: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال/، ولا مال إلا بعمارة، [٣٤ب] ولا عمارة إلا بعدل وحُسن سياسة.

ثانيها: دخل شبيب[٤] على المهدي فقال: احذرْ يا أمير المؤمنين من يومٍ لا ليلة بعده، واعدل ما استطعت، فأنت تجازى بالعدل عَدْلًا وبالجور جورًا، وزيِّن نفسَك بالتقوَى، فإنك في الحَشْر لا تجد أحدًا يُعيرُك زينَته.

وسُئِلَ عمر بن عبد العزيز: ما كان سبب توبتك؟

قال: كنت أضرب غلامًا لي فقال لي: اذكر تلك الليلة التي يكون صبحَها يومُ القيامة. فعمل ذلك الكلام في قلبي.

ثالثها: قال سليمان بن عبد الملك[٥] لأبي حازم: بِمَ النجاةُ من هذا الأمر؟

---

(١) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي الأمير وزير المأمون، ترجمته في الوافي ٢١٩/١٧ رقم ٢٠٥.

(٢) الزيادة من آ.

(٣) سورة الرعد ١٣/ ١١.

(٤) هو شبيب بن شيبة التميمي المنقري أديب الملوك، ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٠٧/٤، وميزان الاعتدال ١/ ٤٤١.

(٥) هو رابع خلفاء بني مروان الأمويين، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٥/ ٤٠٠ رقم٥٥٠.

فقال: بشيء هيّن. قال: وما هو؟ قال: لا تأخذ شيئًا إلا من حقه. قال: ومن يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وهرب من النار.

رابعها: حكَى الهمداني أن سواديًا لقي السلطان ملكشاه [السلجوقي][١] وهو يبكي، فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال:

ابتعت بطيخًا بدريهمات لا أملك غيرَها، فلقيني ثلاثة من الأتراك، فأخذوه مني، وما لي حيلة سواه. فقال له: أَمسِكْ. واستدعى فرَّاشًا، وكان [ذلك][٢] في أول قدوم البطيخ، وقال له: إن نفسي قد تاقت إلى البطيخ، فطُفْ في العسكر وانظر من عنده شيء منه فأحضره لي. [فذهب الفرّاش وطاف في العسكر، ثم عاد][٣].

فعاد ومعه بطيخ. فقال: عند من رأيته؟ فقال: عند الأمير فلان. فأحضره وقال: من أين لك هذا البطيخ؟ فقال: جاء به الغلمان. فقال أريدهم الساعة. فمضى وقد عرف نيّة السلطان فيهم، فهرّبهم وعاد فقال: لم أجدهم. فالتفت السلطان إلى صاحب البطيخ وقال: هذا مملوكي وهبته لك حين لم يحضر القوم الذين أخذوا متاعك، والله لئن خليته لأضربن عنقك. فأخذه بيده وخرج من بين يدي السلطان. فاشترى الأمير نفسَه منه بثلاث مائة دينار.

[٣٥آ] وعاد صاحب البطيخ / وقال: يا سلطان، قد بعت المملوك بثلاث مائة دينار. فقال: لِمَ، وقد رضيت؟ قال: نعم، قال: فاذهب مع السلامة[٤].

---

(١) هو السلطان ملكشاه بن ألب رسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق جلال الدولة السلجوقي، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٦/ ٢٩٠ رقم ٢٠٠.

(٢) الزيادة من آ.

(٣) الإضافة من آ.

(٤) انظر الخبر بصيغ مختلفة في وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٨٦ وسواه.

خامسها: أقول: وكان هذا السلطان رحمه الله تعالى لَهِجًا بالصيد، حتى إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف، فتصدَّق بعشرة آلاف دينار. وقال: إني أخاف الله سبحانه وتعالى من إزهاق الأرواح لغير مأكله. وصار بعد ذلك كلّما قتل صيدًا تصدّق بدينار.

وخرج من الكوفة لتوديع الحاج، وشيّعهم بالقرب من واسط[١]، فصاد في طريقه وَحْشًا كثيرًا، فبنى هنالك منارة من حوافر الحُمر الوحشية وقرون الظباء التي صادها في ذلك الطريق، والمنارة باقية إلى الآن، وتعرف بمنارة القرون.

سادسها: أقول: وعلى ذكر الصيد: حكى ابن قُتيبة في طبقات الشعراء[٢]، أن كُثيِّرًا دخل على عبد الملك، فقال له عبد الملك: بحقّ علي بن أبي طالب، هل رأيت [أحدًا][٣] أعشق منك؟ قال: يا أمير المؤمنين لو نشدتني بحقك، أخبرتك. قال: نشدتك بحقي إلّا ما أخبرتني. قال: نعم.

بينما أنا أسير في بعض الفلوات، إذ أنا برجلٍ قد نصب حبالًا[٤]. فقلت له: ما أجلسك هاهنا؟ قال: أهلكني وأهلي الجوعُ، فنصبت لهم حبالي هذه لأصيب لهم [ولنفسي][٥] شيئًا يكفينا ويعصمنا من الجوع يومنا هذا.

فقلت: أرأيت إن أقمت معك فأصبت شيئًا، تجعل لي منه جزءًا؟ قال: نعم؟ فبينما نحن كذلك، إذ وقعت ظبية في الحبالة، فخرجنا نبتدر، فبدرني إليها فحلّها وأطلقها. فقلت له: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتني رِقّة لها لشبهها بليلى، وأنشأ يقول: / [من الطويل] [٣٥ب]

(١) في وفيات الأعيان: الواقصة، وهي منزل معروف بطريق مكة يقال لها: واقصة الحرون.
(٢) هكذا وردت في الأصل والمقصود هو كتاب الشعر والشعراء ١/٤١٦-٤١٧.
(٣) الزيادة من م.
(٤) الشعر والشعراء: حباله.
(٥) الزيادة من الشعر والشعراء.

أيــا شِــبْهَ ليلــى لا تُراعــي فــإنني لــكِ اليــومَ مــن وحشــيةٍ لصــديقُ
أقــول وقــد أطلقتُهــا مــن وِثَاقِهــا فأنــتِ لليلــى مــا حَييــتُ طليــقُ[١]

سابعها: حكى صاحبُ زهر الآداب[٢]، أن الملك بهرام جور[٣] خرج يومًا متصيّدًا، فعنَّ له حمار وحشٍ، فاتّبعه حتى صرعه، وقد انقطع عن أصحابه، فنزل عن فرسه يريد ذبحه. ومرّ[٤] براعٍ فقال له: أمسِكْ عليَّ فرسي. وتشاغل بذبح الحمار، فحانت[٥] منه التفاتة، فرأى الراعي يقلع جوهَر عِذار فرسه، وكان العِذار ياقوتًا[٦]. فحوّل بهرام جور وجهه عنه وقال:

«تأمُّلُ العَيْبِ عَيْبٌ، وعقوبةُ من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سَفَهٌ، والعفو من أفعال الملوك، وسُرعة العقوبة من أفعال العامّة»[٧].

فلمّا رجع إلى عسكره، قال له الوزير: أيها الملك السعيد، إني أرى جوهَر عِذارِ فرسك مقلّعًا. فتبسّم وقال: أخذه من لا يردُّه، ورآه من لا ينمُّ عليه. فمن رأى[٨] منكم صاحبنا فلا يطالبه[٩].

---

(١) الشعر والشعراء: إن شكرتِ عتيقُ، راجع القصة مفصلةً في معاهد التنصيص، ووفيات الأعيان ٤/ ١٠٧.
(٢) زهر الآداب ١/ ٥٧٢-٥٧٣.
(٣) هو بهرام جور بن يزدجرد الأول ملك من ملوك بني ساسان، انظر تاريخ الطبري ١/ ٨٥٤-٨٦٨.
(٤) في ب: ومضى، وفي زهر الآداب: بَصُرَ براعٍ.
(٥) في ب: وكان، وفي زهر الآداب: وحانت.
(٦) زيادة من م.
(٧) الحصري في زهر الآداب ١/ ٥٠٥.
(٨) في ب: أخذ، وقد وردت رواية م بصيغة التأنيث على أنها جوهرة.
(٩) زهر الآداب للحصري ١/ ٥٠٦.

وعلى ذكر الحمار وحش، حكى القاضي شمس الدين ابن خلكان[١] أنّ بعض الأمراء اصطاد حمارَ وحشٍ في سنة ستين وست مائة، فطبخوه فلم ينضج، ولا أثّر فيه كثرة الوقود.

ثم افتقدوا جلده، فإذا هو مدبوغ على أذنه: بهرام جور، وقد أحضروني على قراءته[٢]. وهذا يقتضي أن لهذا الحمار قريبًا من ثمان مائة سنة، فإن بهرام جور كان قبل البعثة الشريفة بمدة متطاولة، وحمُر الوحش تعيش دهرًا طويلًا، والله أعلم.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٣٥٤.
(٢) في م: وقد أحضره إليَّ فرأيته كذلك.

الباب السادس

في ذكر اتفاقات عجيبة وأشياء غريبة اتفقت لمولانا السلطان، أعز الله أنصاره، ولبعض إخوته[1] وأبيه وعمّه الأشرف، وجدّه الملك المنصور

ولم يسمع / بأغرب منها، ولا سبقني[2] أحد إلى التنبيه عليها على هذا الوجه [٣٦آ]

أقول: مولانا السلطان الملك الناصر، أعز الله تعالى أنصاره، وافق والده في سبعة أشياء:

الأول منها والثاني: أنه وافقه في اللقب الخاص بالملوك، واللقب العام، لأنه الناصر ناصر الدنيا والدين، ووالده الناصر ناصر الدنيا والدين.

الثالث: أنه ترك الملك وعاد إليه، ووالده ترك الملك وعاد إليه.

الرابع: أنه جلس على سرير الملك في المرة[3] الأولى في رابع عشر الشهر، ووالده لما جلس على سرير الملك في المرة الأولى [كان] في رابع عشر الشهر[4].

الخامس: أنه عاد إلى الملك وجلس على السرير في ثاني شوال، ووالده لما عاد جلس على سرير الملك في ثاني شوّال، وهذا اتفاق غريب إلى الغاية.

---

(١) في م: إخوانه.

(٢) في م: ولم يسبقني.

(٣) في م: المدة.

(٤) في أعيان العصر للصفدي أنه في هذا التاريخ ولّى الأشرف خليل أخاه محمدًا ولاية عهده.

السادس: أنّه وزَر له متعمّم وربّ سيف، ووالده «وزَر له متعمّم وربّ سيف» [كذلك][(١)].

السابع: أنّ والده أقام مدّة بلا وزير ولا نائب، ومولانا السلطان أقام مدّة بلا وزير ولا نائب.

ومن غريب الاتفاق، أن الملك المظفّر كجُك وليَ الملكَ وهو صغير إلى الغاية، لأنّ عمره كان خمس سنين وأشهرًا. وكُجُكْ، لفظ تركي معناه بالعربي: صغير، وكأنه لحَظ[(٢)] فيه حال التسمية أنه يلي الملك وهو صغير، فكان ذلك من غريب الاتفاق.

ومن غريب الاتفاق، أن أخاه السلطان الملك الكامل شعبان، كان قد حبس أخاه الملك المظفر حاجي وضيّق عليه، وأراد أن يبنيَ عليه حائطًا، فاتفق أنهم مدوا له السِّماط على أنه يأكل، وجهّزوا طعام أخيه حاجي إليه ليأكله في السجن، فلم يكن إلا كلمح البصر، إذْ خُلِعَ الكامل ودخل فأكل طعام أخيه في السجن، وخرج أخوه حاجي / وجلس على سرير الملك، وأكل طعام السِّماط، فسبحان [٣٦ب] مقسِّم الأرزاق، الفعَّال لما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[(٣)].

ومن غريب الاتفاق، أن بعض الأمراء كان السبب في قتل الملك المنصور أبي بكر بعد إخراجه سابع سبعةٍ من إخوته إلى قوص، وهم الملك المنصور المذكور وأخوه رمضان[(٤)] وشعبان[(٥)]

(١) ما بين الحاصرتين سقط من م، والزيادات من آ.
(٢) في آ: لوحظ.
(٣) سورة الأنبياء ٢١/ ٢٣.
(٤) في م: رمضان ويوسف وشعبان وحاجي وإسماعيل.
(٥) هو السلطان الملك الكامل سيف الدين ابن السلطان الناصر محمّد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٢/ ٥٢١ رقم ٧٧٢؛ والوافي بالوفيات ١٦/ ١٥٣؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١١٦؛ وتذكرة النبيه ٣/ ٩٠.

وحاجي[١] وإسماعيل[٢] وحسين[٣] ويوسف[٤]. فلمّا قدِم السلطان الملك الناصر أحمد[٥] من الكرك وتولّى المُلك، أمر بقتل الأمير المشار إليه سابع سبعة من الأمراء المعتقلين معه في الإسكندرية، وهم: قوصون[٦] وبَرَسْبُغَا[٧] وألطنبغا[٨] نائب الشام، وجَركتَمُر بن بَهادُر وغيرهم.

ومن غريب الاتّفاق:

أنّ السلطان الملك الناصر محمّد بن قلاوون، لمّا عزم على التوجّه من دمشق إلى مصر، وكان الملك المظفّر بيبرس هو السلطان يومئذٍ[٩]، فلمّا بلغه حركة الناصر وتوجّهه إليه في عسكر الشام، وجماعة من الأمراء المصريين الذين

(١) هو السلطان الملك المظفّر سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر محمّد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر ٢/ ١٧٦؛ والوافي ١١/ ٢٣٧؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٨.

(٢) السلطان إسماعيل بن محمّد بن قلاوون، الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٥٢٤ رقم ٢٧١؛ والوافي للصفدي ٩/ ٢١٩؛ وفي م: وغيرهم.

(٣) هو الأمير جمال الدين حسين بن محمّد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر ٢/ ٢٩١ رقم ٦١٠؛ والنجوم الزاهرة ١١/ ٢١؛ والمنهل الصافي ٥/ ١٦٨؛ ولم يرد له ذكر في آ.

(٤) في م وغيرهم.

(٥) هو الملك الناصر أحمد بن محمّد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ١/ ٣٧٠ رقم ١٨٩؛ والوافي بالوفيات ٨/ ٨٦؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٠؛ والمنهل الصافي ٢/ ١٥٨.

(٦) هو الأمير الكبير سيف الدين الساقي الناصري النائب، ترجمته في أعيان العصر ٤/ ١٣٦ رقم ١٣٨٩؛ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٧٧؛ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤.

(٧) هو الأمير سيف الدين الحاجب الناصري، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٦٨٦؛ والوافي بالوفيات ١٠/ ١١٤؛ والمنهل الصافي ٣/ ٢٨٢.

(٨) هو الأمير علاء الدين الحاجب الناصري، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٦٠٠؛ والوافي ٩/ ٣٦١؛ والمنهل الصافي ٣/ ٥٣.

(٩) هو الملك المظفّر ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري، وكان يُعرف بالعثماني، ترجمته في أعيان العصر ٢/ ٧١ رقم ٤٨٨؛ والوافي بالوفيات ١٠/ ٣٤٨؛ وبدائع الزهور ١/ ١/ ٤٣٤.

نفروا إليه، اضطربت أحواله، وخلع نفْسَه مِن المُلك في مصر في الساعة التي ركب فيها السلطان الملك الناصر من دمشق، وذلك في الساعة الثانية من النهار يوم الثلاثاء، وهذا من غرائب الاتّفاق. فكانت هذه الساعة التي ركب فيها السلطان الملك الناصر كما يقال: ساعة سَعْد. ومنها استمرّ في المُلك إلى أنْ مات على فراشه في التاريخ المتقدّم، والله تعالى أعلم[١].

ومن غريب الاتّفاق:

ما حُكي عن الملك الأشرف أنه كان جالسًا في بعض الأيام في الميدان، والقرّاء بين يدَيه يقرأون القرآن، وكان والده المنصور قلاوون/ يحاصر طرابلس. [١٣٧آ] فقال – نصره الله–: في هذه الساعة أخذت طرابلس. وشاع ذلك عنه وذاع، وملأ الأفواه والأسماع. فلم تمضِ إلّا مدّة مسافة الطريق، حتى وردت الأخبار بفتح طرابلس في الساعة المذكورة، فكان الأمر كما قال، وذلك لأمرٍ كشفه الله تعالى لذهنه الشريف، وأطلعه عليه. «إنَّ الملوكَ نَقِيَّةُ الأَذهانِ».

حكَى القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، أنّ الشيخ الفقيه العالِم شرف الدين البوصيري[٢]، رأى في منامه، قبل مسير الملك الأشرف إلى حصار عكا في شوّال سنة تسع وثمانين، وكأنَّ قائلًا يُنشده بشعر: [من مخلَّع البسيط]

قَـــدْ أَخَـــذَ المُسْـــلِمُونَ عَكّـــا وَأَشْـــبَعُوا الكَـــافِرِينَ صَـــكّا

فأخبرني بعد ذلك جماعة وشهدوا بصحّته. فسار الملك الأشرف في أثناء ذلك، ففتحها الله تعالى على يديه، فكان الأمر كما قال، ولم يترك لهم فيها ولا في

(١) إضافة من آ.

(٢) محمّد بن سعيد بن حمّاد صاحب قصيدة البردة الشهيرة، ترجمته في الوافي للصفدي ٣/ ١٠٥ رقم ١٠٤٥؛ وفوات الوفيات للكتبي ٢/ ٢٠٥.

بقية الساحل ملكًا. واستمرّ ذلك بحمد الله تعالى إلى يومنا هذا[١]. وفيه يقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: [من الرمل]

يـا بَنِـي الأصْـفَرِ قَـدْ حَـلَّ بِكُـمْ نقمـــةُ اللهِ التـــي لا تنفصـــلْ
نـــزلَ الأشْـــرَفُ في ســـاحِلِكُمْ[٢] فابشـــروا منـــهُ بِصَـــفْعٍ مُتَّصِـــلْ[٣]

وقال شمس الدين محمد بن غانم فيه وفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب[٤]: [من المتقارب]

مليكـــان قَـــدْ لُقِّبَـــا بِالصَّـــلاَحِ فَهـــذَا خَلِيـــلٌ وَذا يُوسُـــفُ
فَيُوسُـــفُ لا شَـــكَّ في فَضْـــلِهِ وَلكـــنْ خَلِيـــلٌ هُـــوَ الأَشْـــرَفُ/ [٣٧ب]

ومن غريب الاتفاق:

ما حُكي عن وزيره الصاحب شمس الدين بن السلعوس[٥] رحمه الله تعالى، وذلك أنه لمّا صارت إليه الوزارة وتمكّن منها، أرسل بطلب أقاربه وأهل صحبته ومودّته من الشام، فكلّهم أجابوه وحلّ أبوابه، إلّا شخصًا واحدًا من أقاربه، فإنه خاف على نفسه ولم يوافق على الحضور من الشام، بل كتب إليه بيتين وهما: [من الوافر]

تَثَبَّـتْ[٦] يـا وَزِيـرُ الأَرْضَ وَاعْلَـمْ بِأَنَّـكَ قَـدْ وَطِئْـتَ عَلَـى الأفَـاعِي

(١) انظر المنهل الصافي لابن تغري بردي ٥/ ٢٧٠.
(٢) في م: ساحتكم.
(٣) انظر بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٣٦٩.
(٤) انظر الوافي بالوفيات للصفدي ١٣/ ٤٠٤.
(٥) هو الصاحب شمس الدين محمّد بن عثمان التنوخي الدمشقي التاجر وزير السلطان الملك الأشرف، ترجمته في الوافي للصفدي ٤/ ٨٦ رقم ١٥٥٥.
(٦) الوافي بالوفيات: تنبَّه.

وَكُـــنْ بِـــاللهِ مُعْتَصِـــمًا فَـــإِنِّي أَخَـافُ عَلَيْـكَ مِـنْ نَهْـشِ الشُّـجَاعي

فاتّفق أنّ الملك الأشرف قُتِلَ، وعمل الشجاعي وزارة أخيه الملك الناصر، وأمسك ابن السلعوس وجميعَ أقاربه وأصحابه وأذاقهم النكال. ولم يزل يعاقب ابن السلعوس حتى مات. فكان الأمر كما قال[١].

ومن غريب الاتّفاق:

ما حُكي عن الملك المنصور قلاوون[٢]، أنه خرج في بعض الأيام إلى قبّة النصر هو وجماعة من الأمراء على سبيل الفرجة، وضربت له صواوين صغار خفاف. فاستدعى بخراف من الرمسان البداري، فعرضها وقلَّبها وتخيَّر منها خروفًا من أصحِّها أعضاءً، وفرَّق بقية الخراف على الأمراء، وقال:

ليقم كلّ واحدٍ منكم ويذبح خروفه ويشويه بيده مثل ما كنّا نعمل في بلادنا، وأنا في الأوّل.

ثم قام وذبح الخروف الذي اختاره وشواه بيده. فلمّا انتهى، طلب الأمراء ليأكلوا معه، ثم أخذ منه الكتف اليمين وأكله، وأكل الأمراء بقية الخروف. فلمّا أكل لحم ذلك الكتف، جرّده إلى أنْ نقَّاه، وتركه قليلًا حتى جفّ، ثم قام
[١٣٨آ] وجعل/ يلوّحه على النار برفق، ثم أخرجه ونظر إليه وأطال [فيه] التأمّل، ثم تفل عليه وشتمه[٣] وألقاه من يده. فسأله بعض الأمراء عن ذلك بعد أنْ سكن غضبه، فقال:

---

(١) راجع الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٨٧.

(٢) هو السلطان سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتوح التركي الصالحي النجمي، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٤/ ٢٦٦ رقم ٢٨١؛ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٢؛ وتشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ٦٧٨.

(٣) في م: شمَّه.

والله، حاشاك، قال عن هذا الصبيّ قبجق[١] لا تخرجه إلى الشام، فإنه متى خرج إليه هرب وعمل فتنة كبيرة. فلم يزل قبجق مؤخّرًا عنده لهذا السبب مدّة حياته. فلمّا مات وتسلطن بعده ولده الملك الأشرف ومات، وتسلطن لاجين بعد خلع الملك الناصر. أخرج قبجق نائبه إلى الشام، فجرت بينهما وحشة، فهرب قبجق إلى الشرق، وعمل الفتنة العظيمة لمجيء قازان[٢] وعسكر التتار، فجرى على المسلمين ما لا يمكن شرحه، فكان الأمر كما قال الملك المنصور رحمه الله تعالى.

وكان قبجق[٣] عثَّره الله قنينة دهن ورد مخبّأ ليومٍ مشؤوم. قال القاضي محيي الدين بن فضل الله العمري رحمه الله تعالى: حكى لي قفجق بعد عوده قال:

لمّا تلاقينا نحن وأنتم، تتعتع جيشُنا، فهَمَّ قازانُ بالهروب، وطلبني ليضربَ عنقي قبل أنْ يرجعَ، لأنّ خروجه كان برأيي. ففطنت لذلك، فلمّا صِرْتُ بين يدَيه قال لي: أيش هذا؟ فضربت له جوكًا[٤]، ثم قلت: «أنا أخبر بأصحابنا، وهم ليس لهم حملة واحدة[٥]، فالقانُ يصبر ويبصر كيف ما يبقى قُدّامه أحدٌ منهم». فثبت، فكان الأمر كما قلت، وخلصت من يده.

---

(١) هو قبجق بن عبد الله المنصوري، الأمير سيف الدين نائب حلب، ترجمته في الدليل الشافي ٢/ ٥٣٣؛ والوافي للصفدي ٢٤/ ١٧٨ - ١٨٥ رقم ١٨٥.

(٢) السلطان المغلي محمود غازان بن أرغون، ترجمته في الوافي ٢٥/ ٢٢٤ رقم ١٤٨.

(٣) في م: قبجق أو قفجق المنصوري المغلي، ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ٣/ ٣٢٥- ٣٢٧ رقم ٣٢٣٦؛ والوافي بالوفيات للصفدي ٢٤/ ١٧٩ - ١٨٣.

(٤) جوكًا: هو ضرب من الركوع والانحناء عند المغول، ليظهر به المرؤوسون خضوعهم واحترامهم لرؤسائهم. راجع تكملة المعاجم العربية لدوزي ٢/ ٣٥٠.

(٥) وهم ليس لهم إلاّ حملة رجل واحد.

فلمّا انكسرتم وأراد أنْ يسوق عليكم، فعلمت أنه متى ساق عليكم ما يبقى منكم أحد، فقلت: القان يصبر، فإنّ/ هؤلاء أصحابنا «خُباث»، وربما يكون لهم كمين، وقد انهزموا مكيدةً حتى نسوقَ خلفهم فيردّوا علينا، ويطلع الكمين[١] وراءنا، فوقف حتى أبعدتم عنّا. فلولا أنا ما قُتل منكم أحد، ولولا أنا ما بقي منكم أحد. [٣٨ب]

أقول[٢]: وعلى ذكر الملك المنصور، أخبرني جمال الدين يوسف بن يعقوب المقدسي، قراءة من لفظه، ونحن نسمع في مستهلّ ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة بدمشق المحروسة قال: أخبرنا شيخنا قاضي قضاة العساكر المنصورة نور الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد القادر بن الصائغ الأنصاري الشافعي[٣]، بقراءتي عليه في يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق المحروسة، قال: حدّثني سيف الدين قُلَيج بن عبد الله الملكي المنصوري، وكان من خيار الجند وعقلائهم وأدْيَنهم وأفضلهم، وله سؤالات حسنة في العلوم العقلية والأصول. قال[٤]:

بعثني الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله تعالى، إلى ملك الغرب بتقدمةٍ وهديةٍ سنيّة[٥]، فأقمت عنده. فجاءت رسالة إلى ملك الغرب من

(١) سقطت في ب، وأضيفت من آ.
(٢) ليست في ب، وقد وردت في م.
(٣) كذا في ب، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٣٣٢ رقم ٢٠١: هو نور الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد القادر بن الصائغ قاضي قضاة حلب، ولي قضاء العساكر بالشام أيّام الفخري.
(٤) راجع القصة بكل تفاصيلها في الوافي للصفدي ٢٤/ ١٨٣.
(٥) زيادة من م.

بعض ملوك الإفرنج الكبار المعادين للمسلمين، أنه بعث يطلب من ملك الغرب أن يشفع له في تزويج ابنه ببعض بنات ملوك الإفرنج، وكان والدُها مهادنًا لملك الغرب، ومدَّعيًا صحبته. وكان الملك المستشفع به قبل ذلك معاديًا للمسلمين عداوة شديدة، ومؤذيًا لهم، ولكن حمله هوى ابنه على أن بعث إلى ملك الغرب في ذلك. فاحتاج ملك الغرب إلى إرسال رسول إلى ملك الفرنج بسبب ذلك، فقال لي: تذهب في هذه القضية؟ فتمنَّعت. فقال: هذا فيه مصلحة للمسلمين، وأرى أنك تذهب فيه. فلم يبرحْ بي حتى ذهبت وأدَّيت رسالته إلى ملك الإفرنج، وقضيت أربه منه، وأقمت/ عند ملك الإفرنج مدة. فأعجبه حالي، فأحبّني كثيرًا، [١٣٩آ] وعرض عليّ المقام عنده، مبقيًا لي على ديني دين الإسلام، وأن يستطلقني من الملك المنصور ملك الإسلام. فقلت: لا سبيل إلى ذلك أبدًا. فأجازني وأكرمني.

فلمّا أردت الانصراف من عنده قال: أريد أن أتحفك بأمرٍ عظيم لا يحصل لأحدٍ من المسلمين في هذا الزمان مثلُه. فتعجّبت من ذلك وقلت: من أين ذلك؟ فأخرج صندوقًا مصفحًا بالذهب، ففتحه وأخرج منه مقلمةً من ذهب، ثم أخرج منها كتابًا قد زال أكثر حروفه، وقد ألصق عليه خرقة حرير وغير ذلك. فقال: أتدري ما هذا؟ فقلت: لا، فقال:

هذا كتاب نبيّكم محمّد ﷺ [أفضل ما صَلَّى على أحدٍ مِن خلقه][(١)]، إلى جدّي قيصر، وما زلنا نتوارثه ملكًا بعد ملك إلى الآن. فكلّ ملك كان عنده حفظه. وقد أوصانا أجدادنا من الملوك، أنه ما دام هذا الكتاب عندنا، لا يزال الملك فينا، وأنّ هذه الوصية متلقّاةٌ من جدّنا قيصر. فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ، ونعظّمه غاية التعظيم، ونتبارك به، ولا يعرف بهذا أحد من النصارى

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من م.

إلاّ نحن. ولولا عزّتك عليّ وكرامتك عندي، وثقتي بعقلك ودينك، لَما أطلعتُك عليه. فأخذته وعظّمته وتباركت به، ولم أقدر على قراءته لتقطُّع أجزاء حروفه من طول البِلَى والعِتْق. وجرت بسبب هذه الرسالة مهادنة بين ملك الغرب والملك الذي بعثه إليه ليستشفع به مدّةً، وكفَى اللهُ تعالى المسلمين شرّهم.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: أقول: ومِن غريب الاتّفاق الذي ينخرط في سلك هذا الباب، ما حكاه الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»/، أنّ رجلًا بمكّة، شرّفها [٣٩ب] الله تعالى، نزع ثيابه ليغتسل مِن ماء زمزم، وأخرج من عضده دُمْلُجًا[١] ذهبًا زنته خمسون مثقالًا، فوضعه مع ثيابه. فلمّا فرغ من اغتساله، لبس ثيابه ونسي الدملج ومضى، وصار بعد ذلك إلى بغداد. وبقي مدة سنتين بعد ذلك، وأيس منه، ولم يبقَ معه إلاّ شيئًا يسيرًا[٢]، فاشترى به زجاجًا ليكتسب فيه، فبينما هو يطوف به[٣] سقط عن رأسه فتكسّر جميعه، فوقف يبكي.

فاجتمع الناس حوله يتألّمون له. فقال في جملة كلامه: والله يا جماعة الخير، لقد ذهب مني من مدّة سنتين دُملُج ذهبٍ عند بئر زمزم زنته خمسون مثقالًا، ما باليت لفقْده، كما باليت لتكسير هذا الزجاج، وما ذاك إلاّ أنّ هذا جميع ما أملك. فقال له رجل من الجماعة: أنا لقيت ذلك الدُّمْلُج، وأخرجه من عضده ودفعه إليه. فتعجّب الناس من غريب هذا الاتفاق.

ثانيها: حكَى الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه المذكور أيضًا مثل هذه الحكاية، فيما ذكر ابن الساعي سنة إحدى وخمسين وست مائة: أنّ رجلًا كان ببغداد وعلى رأسه زبادي قاشاني، فزلق فتكسّرت، فوقف يبكي، فتألّم الناس لفقره وحاجته، وأنه لم يكن يملك غيرها. فأعطاه رجل من الحاضرين دينارًا. فلمّا أخذه

(١) الدُملُج والدِملِج: بالضم والكسر، حلي يلبس في المعصم. يقال: ألْقى عليه دماليجه أي ثقله، انظر لسان العرب (دمل).

(٢) كذا في ب، والصواب: شيء يسير.

(٣) في م: وإذا به قد سقط من على رأسه... انظر الرواية في البداية والنهاية ١٣/١٢١٨.

نظر فيه طويلًا ثم قال: والله هذا دينارى أعرفه، وقد ذهب مني عام أول، فشتمه بعض الحاضرين. فقال ذلك الرجل: وما علامتك فيه؟ قال: زنته كذا وكذا.

وكان معه ثلاثة وعشرون دينارًا، فوزنوه فوجدوه كما ذكر. فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين دينارًا، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه، فتعجّب الناس [٤٠آ] من ذلك غاية العجب./

ثالثها: حُكي عن الأمير عزّ الدين أيدمر [بن عبد الله][(١)] السَّنائي الدوادار[(٢)] أنه أنشد القاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمّد بن الأثير الحلبي كاتب السرّ الشريف[(٣)]، عندما خدم بديوان الإنشاء في الأيام الظاهرية أول اجتماعه به، ولم يكن يعرف اسمه ولا اسم أبيه قول الشاعر[(٤)]: [من البسيط]

كانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبانِ تُخْبِرُنِي ... عَنْ أَحْمَدَ بْن سَعِيدٍ[(٥)] أَحْسَنَ الخَبَرِ
ثُمَّ[(٦)] التَقَيْنَا فَلا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ ... أُذنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأى بَصَرِي

فقال له القاضي تاج الدين: يا مولانا، ما تعرف أحمد بن سعيد؟ فقال: لا والله. فقال: المملوك أحمد بن سعيد. فتعجّبنا من غرابة هذا الاتّفاق.

---

(١) الزيادة من الوافي بالوفيات للصفدي.
(٢) هو عزّ الدين بن عبد الله السّنائي، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٥/١٠ رقم ٤٤٦٠.
(٣) هو تاج الدين ابن الأثير الحلبي الموقّع كاتب السرّ، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٣٩٢/٦ رقم ٢٩٠٦.
(٤) هو ابن هانئ الأندلسي أبو القاسم محمّد بن هانئ، انظر الديوان ١٨٠.
(٥) الوافي بالوفيات ١٢٣/١١ رقم ٢٠٣: عن جعفر بن فلاح. وانظر ترجمته في الوافي للصفدي. وقد ورد البيتان في ديوان ابن هانئ الأندلسي ١٨، أمّا المحبي فقد نسبهما في خلاصة الأثر إلى أبي تمام، وهما مفقودان من ديوانه، ونسبهما تاج العروس (مادة عدد) إلى القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات، والاختلافات كثيرة بين سائر الروايات.
(٦) الوافي بالوفيات: حتى.

أقول: البيتان المذكوران لابن هانئ الأندلسي، ورواهما بعضهم لجعفر بن فلاح[١].

رابعها: حكَى الشريشي في شرح المقامات أنه كان رجل بالبصرة يعطي دواءً لظُلمة العين[٢] فتنتفع به الناس، فمات فأضرّ ذلك بمن كان يستعمله، فذكر ذلك للخليل بن أحمد[٣] فقال: أَلَهُ نُسخة؟ فقالوا: لَمْ نجدها. قال: فهل له من آنية يعمله فيها؟ قالوا: نعم له آنيةٌ يجمع فيها أخلاطًا. قال: فجيئوني بها، فجعل يشتمُّها ويُخرج نوعًا نوعًا، حتى ذكر خمسة عشر نوعًا. ثم سأل عن جمعها ومقاديرها، فعرفه من كان يعالج مثله، فعمله وأعطاه للناس، فانتفعوا به مثل تلك المنفعة. ثم وجدت النسخة في كتاب الرجل فيها ستة عشر نوعًا لم يهمل منها إلاّ نوعًا واحدًا.

خامسها: حكَى القاضي شمس الدين ابن خلكان في تاريخه قال[٤]:

أخبرني بعض الفضلاء أنه رأى في مجموعٍ أنّ بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسرّ مَن رأى وهو لا يعرفها، فرآها وقد أخنى[٥] عليها الزمان، وذهبت/ بهجتها، وأخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحُسن [٤٠ب] البشارة. فوقف عليها متعجّبًا من صروف الزمان وطوارق الحدثان، وتمثل بقول الشريف[٦]: [من الكامل]

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى رُبُوعِهِمُ ... وَطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَى نَهْبُ

(١) هو جعفر بن فلاح الأمير والي دمشق للمعز العبيدي صاحب مصر، وهو أول أمير وليها لبني عبيد. وانظر البيتين في ترجمته في الوافي للصفدي ١١/ ١٢٢ رقم ١٠٣؛ وفيها يقول الصفدي: وفيه يقول ابن هانئ...

(٢) في م: البصر.

(٣) ترجمته في الوافي للصفدي ١٣/ ٣٨٥- ٣٩١.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٤١٦.

(٥) في ب: جنى.

(٦) انظر الأبيات في ديوان الشريف الرضي ١/ ١٨١.

فَبَكيتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَلَجَّ بعَذْلِيَ الرَّكْبُ
وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلبُ

فمرّ به شخص وسمعه ينشد هذه الأبيات، فقال له: هل تعرف هذه الأبيات لمن؟ فقال: لا، قال: والله إنّها لصاحب هذه الدار الشريف الرّضي، فتعجبنا مِن حُسن الاتّفاق.

ومثل هذه الحكاية ما حكَى الحريري في «درّة الغوّاص في أوهام الخواص»[١] أنّ عبيد الجرهمي[٢] عاش ثلاث مائة سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، فدخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة، فقال له: حدِّثني بأعجب ما رأيت في عمرك.

فقال: مررت ذات يومٍ بقوم يدفنون مَيتًا لهم، فلمّا انتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدموع، فتمثّلتُ بقول الشاعر، وأنشدت أبياتًا، منها[٣]: [من البسيط]

وَبَيْنَما القَلبُ[٤] في الأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذْ صَارَ في الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الأَعَاصِيرُ
يَبْكِي الغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرابَتِهِ في الحَيِّ مَسْرُورُ

فقال لي رجلٌ: أتعرف مَن يقول هذا الشِّعر؟ فقلت: لا. فقال: إنّ قائله هذا الذي دفنّاه الساعة، وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره هو أمسّ الناس به رحمًا وأسرّهم بموته. فقال له معاوية: لقد حكيت عجبًا[٥].

(١) درة الغواص ٥٥- ٥٦.
(٢) هو عبيد بن شرية الجرهمي، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٩/ ٤٣٢ رقم ٤٢٩.
(٣) أورد الصفدي وابن عساكر هذه الأبيات سبعة، وهذان البيتان هما الخامس والسادس على التوالي منها.
(٤) في م: المرء
(٥) راجع الرواية في معجم الأدباء لياقوت ٥/ ١٢؛ وتاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ١١/ ١٧.

سادسها: قال أبو إسحق ابن خفاجة الأندلسي:

كنت أنا وعبد الجليل[١] مارَّين في بعض الطرقات، فرأينا / رأسين من [١٤١آ] رؤوس الإفرنج قد قُطِعا وجُعِلا على رجمٍ[٢] عالٍ. فقال لي: هل لك أن نعمل فيهما شيئًا؟ فقلت في الحال[٣]: [من الطويل]

أَلاَ رُبَّ رَأْسٍ لا تَـــزَاوُرَ[٤] بَيْنَـــهُ ... وَبَـيْنَ أَخِيـهِ وَالمَـزَارُ[٥] قَرِيـبُ
أَنَـافَ بِـهِ صَـلدُ الصَّـفَا فَهُـوَ منْبَـرٌ ... وَقَـامَ عَلَـى أعْـلاهُ فَهُـوَ خَطِيـبُ

وسكتُّ. فقال عبد الجليل: [من الطويل]

وَيُنْشِـدُنا أَنَّـا غَرِيبَـانِ هَـا هُنـا ... وَكُـلُّ غَرِيـبٍ لِلغَرِيـبِ نَسِـيبُ[٦]
فَـإن لَـمْ يَـزُرْهُ صَـاحِبٌ أوْ خَلِيلُـهُ ... فَقَـدْ زَارَهُ نَسْـرٌ هُنَـاكَ وَذِيـبُ
فَهَـا هُـوَ أمَّـا سِـنُّهُ فَهُـوَ ضَـاحِكٌ ... وَهَـا هُـوَ أَمَّـا وَجْهُـهُ فكَئِيـبُ
يَقُـولُ: حَـذَارِ الاِغْتِـرارَ فَرُبَّمـا[٧] ... أَنَـاخَ قَتِيـلٌ بِـي وَمَـرَّ سَـلِيبُ

فقلت له: أنت القتيل وأنا السليب.

قال: فما لبث أن خرج علينا قطعة من الإفرنج، فهربت، وقُتِلَ، فكان القتيل وكنت السليب.

---

(١) هو عبد الجليل بن وهبون أبو محمّد المرسي الملقّب بالدمعة. ترجمته مفصلة في الوافي بالوفيات للصفدي ١٨/ ٥١ رقم ٥٠؛ وديوان ابن خفاجة ١٣٥ - ١٣٦.
(٢) في م و آ: رمح.
(٣) راجع الرواية مع اختلافات في الوافي للصفدي، وفي ديوان ابن خفاجة ١٣٦، وهما الأول والثاني من المقطعة رقم ٨٧ وتبلغ ستة أبيات.
(٤) فوات الوفيات لابن شاكر: تحاور.
(٥) الديوان: والمحلّ قريب.
(٦) قارن ببيتَي امرئ القيس اللذين قالهما أثناء رحلته إلى ملك الروم، وراجع شرح الديوان ٧١.
(٧) الوافي: فطالما، وجاء عجز البيت كما يلي: يقول حذار الاغترار فطالما، ولم يذكر الصفدي إلاّ هذا البيت، في حين وردت الأبيات ثلاثة في قلائد العقيان.

قال ابن خاقان في قلائد العقيان عند ذكر هذه الحكاية[١]: فما أتمّ قوله حتى لاح لهما قَتَامٌ كأنه أغنام، فانقشع عن قطعة خيل كقطع الليل، فما انجلت إلاّ وعبد الجليل قتيل وابن خفاجة سليب. وهذا من أغرب نقول[٢] وأصدق مقول.

أقول[٣]: ومثل هذه الحكاية ما اتفق لي بطريق مصر، أنّني كنت أنشأت لي مقامة، وأنا في دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، وذكرت فيها المنازل من دمشق إلى مصر، ووصفت كلّ منزلةٍ بما يليق[٤] بها. فجاء منها قولي:

«فوصلنا إلى الغرابي[٥]، وقد نعقت غِربانه على الجِيَف في تلك الروابي، فلم نشعر بِبني بياضة[٦] حتى أصبحوا حولنا مُحدِقين. ويقصُون الأثر خلفنا. فيا لله، يا للمسلمين».

[٤١ب] ثمّ إنني لمّا سافرت، صحبت / معي المقامة المذكورة. فلمّا وصلنا المنزلة المذكورة عند الصباح كما ذكرت، أصبح حولنا جماعة من بني بياضة. فلمّا سلَّم الله تعالى منهم، وكفانا شرّهم، أخرجت المقامة التي كانت معي، وأوقفت عليها رفقتي في الطريق، وأعلمتهم أنّي تخيّلت وقوع مثل هذا وأنا بدمشق، فتعجّبوا لغرابة هذا الاتّفاق. وكان من جملة رفاقي في الطريق القاضي كمال الدين ابن الصايغ قاضي سَرْمِين[٧] الآن، وفي ذلك أقول: [من البسيط]

(١) قلائد العقيان للفتح بن خاقان ص ٤٠٧.
(٢) في آ: منقول.
(٣) زيادة من ميم، وهو ما يقتضيه سياق الكلام.
(٤) في م: يتعلّق بها.
(٥) الغُرابي: رمل معروف بطريق مصر بين قَطية والصالحة صعب المسلك، انظر معجم البلدان لياقوت ٤/ ١٩٠.
(٦) من سياق كلامه يبدو أنهم من شذاذ البادية الذين يقطعون الطرق على السابلة ويسطون على القوافل بغاراتهم.
(٧) بفتح أوّله وسكون ثانيه وكسر ميمه، بلدة مشهورة من أعمال حلب، وأهلها إسماعيلية. انظر معجم البلدان لياقوت.

شَاهَدْتُ فِي الرَّمْلِ أَهْوَالًا عَجَائِبُهَا[١] لا تَنْقَضِي مَا بَقِي فِي الأَرْضِ دَيَّارُ
مِنْ كُلِّ شَيْخٍ غَدَا طَرْطُورُه عَجَبًا فَكَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

سابعها: حكى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، أنّ المعتصم[٢] ولد سنة ثمانين ومائة في ثامن شهرٍ منها، ومات لثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمانِ فتوحٍ، ووقف ببابه ثمانية ملوك، وقتل ثمانية أعداء، وكان عمره ثمانية وأربعين[٣] سنة، وخلافته ثماني سنين وثمانية أشهُر وثمانية أيام، وخلّف ثمان بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمان مائة ألف ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانين ألف جمل وبغل ودابّة، وثمانين ألف خيمة، وثمانية آلاف عبد، وثمانية آلاف جارية، وبنَى ثمانية قصور، ونقش خاتمه: «الحمد لله» ثمانية أحرف. وكانت غلمانه الأتراك ثمانية عشر ألفًا، وطالعه الثمانية من كلّ شيء، ويُدعَى بالمثمّن والثمانيني.

أقول: هذا من العجائب التي لم يسمع بمثلها. ومن غريب ما اتّفق للمعتصم هذا أيضًا أنه كان قاعدًا / في مجلس أُنسِه، والكأس في يده، فبلغه أنّ امرأةً شريفة [٤٢آ] في الأسر عند عِلْجٍ مِن علوج الروم في عمّورية، وأنّه لطمها على وجهها، فصاحت: وا معتصماه... فقال لها العِلجُ: ما يجيء إليك إلاّ على أبلق. فختم المعتصم الكأس وناوله لساقيه وقال: والله، لا شربته إلاّ بعد فكّ الشريفة من الأسر وقتل العِلْج. فلمّا أصبح نادى بالرحيل إلى غزوة عمّورية، وأمر العسكر أن لا يخرج أحد منهم إلاّ على أبلق. فخرج في سبعين ألفًا.

(١) في آ: غرائبها.
(٢) هو أبو إسحق محمّد بن هٰرون الرشيد، تولّى الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ.
(٣) في ب: وأربعون، وهو سهو من الناسخ.

فلمّا فتح الله تعالى عليه بفتح عمورية، دخلها وهو يقول: لبّيكِ، لبّيكِ. وطلب العِلْج صاحب الأسيرة الشريفة، وضرب عنقه وفكّ قيود الشريفة، وقال للساقي: ائتني بالكأس، فأتاه به، ففكّ ختمه وشربه وقال: الآن طاب الشراب[١].

(١) عن هذه الواقعة بين المعتصم وتيوفيل ملك الروم، راجع الكامل لابن الأثير ٦/٣٨-٤٦. ولكن بتفاصيل مغايرة.

الباب السابع
في تفسير ما أودعته خطبة هذا الكتاب، والباب الخامس
من الآثار النبوية والنكت الأدبية[١]
وغير ذلك على سبيل الاختصار

قوله: فأصبح من الأبدال بعد إخوته النجباء، فيه إشارة إلى قول الكتاني[٢]: النقباء ثلاث مائة، والنجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة، والعُمُد أربعة، والغَوْث واحد. فمسكن النقباء الغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سيّاحون[٣] في الأرض، والعُمُد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة. فإذا أحدث العامّة أمرًا، ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الأبدال[٤] ثم الأخيار ثم العُمُد، فإن أُجيبوا، وإلاّ ابتهل الغَوْثُ، فلا تتمّ مسألته حتى تُجابَ دَعوته[٥].

قوله:/ على حين فترة: الفترة السكون والانقطاع، فهو ﷺ، بُعث بعد انقطاع [٤٢ب] الرُّسُل، لأنّ الرسل كانت إلى وقت رفْع عيسى عليه السلام متواترة.

قوله: وتولّى[٦] يوم الأحزاب نصرَه:

---

(١) سقطت من آ.
(٢) في م: الكناني، هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني، انظر طبقات الصوفية للسلمي ٣٧٣.
(٣) في م: سائحون.
(٤) سقطت من آ.
(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/ ٧٥.
(٦) سقطت من ب، وأثبتناها من م و آ. وحول غزوة الأحزاب راجع أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ١/ ٨٥٤؛ والمغازي للواقدي ٢/ ٤٤٠-٤٩٢.

يوم الأحزاب كان في غزوة الخندق، وهي إحدى السبع غزوات التي قاتل فيها النبيّ ﷺ، لأنه ﷺ لم يقاتل إلاّ في سبع غزوات، وهي: غزوة بدر، وأُحُد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق، وخيبر، والطائف.

فغزوة بدرٍ الكبرى[١] كانت بعد سنة وثمان شهور وسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[٢]، وأصحابه يومئذ ثلاث مائة وتسعة عشر رجلًا، وهم عدد قوم جالوت[٣]، الذين جاوزوا معه النهر. والمشركون ما بين السبع مائة والألف. وكان ذلك يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، لأنّ الله تعالى فرّق فيه بين الحقّ والباطل.

وغزوة أُحُد[٤]: يوم السبت لسبعٍ خلَوْنَ مِن شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة، وفيها كان جبرائيل وميكائيل عليهما السلام عن يمين النبيّ ﷺ [ويساره][٥] يقاتلان أشدّ القتال. وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبع مائة دارع[٦]، ومعهم مائة فرس وثلاثة آلاف بعير.

وغزوة بني قُريظة[٧]: في ذي القعدة سنة خمس بعد الأحزاب بستة عشر يومًا. وفي هذه الغزوة، حَكَّمَ النبيّ ﷺ سعد بنَ مُعاذ[٨] فيمن سَبَى من المشركين،

(١) حول غزوة بدر الكبرى راجع أنساب الأشراف ١/١/٦٩٤- ٧٥٦؛ وتاريخ الطبري ٢/٤٢١؛ والمغازي للواقدي ١/١٩-١٧٢.

(٢) أي من الهجرة النبوية الشريفة.

(٣) في آ: طالوت، وهو وهم من الناسخ.

(٤) حول غزوة أُحُد راجع أنساب الأشراف ١/١/٧٦٧؛ وتاريخ الطبري ٢/٤٩٩؛ والمغازي للواقدي ١/١٩٩-٣١٩.

(٥) زيادة من م و آ.

(٦) في ب: ذراع، وهو سهو من الناسخ. وفي م و آ: درع.

(٧) حول غزوة بني قريظة، راجع أنساب الأشراف ١/١/٨٦٤؛ وتاريخ الطبري ٢/٥٨١؛ والمغازي للواقدي ٢/٤٩٦.

(٨) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أبو عمرو الأنصاري الأشهلي، ترجمته مستوفاة في الوافي بالوفيات للصفدي ١٥/١٥٢ رقم ٢٠٤.

فحكم فيهم أن يُقتَل كلّ مَن جرت عليه الموسى، وتُسْبَى النساء، وتُقسم الأموال. فقال عليه السلام: «لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبع أرقعته»[١]. والرقيع: السماء. فعاد/ الرسول ﷺ إلى المدينة لسبع ليالٍ مضين[٢] من ذي الحجّة. وأمر [٤٣آ] بهم فأُدخلوا المدينة، وحفر لهم أُخدودًا في السُّوق، وجلس النبيّ ﷺ ومعه أصحابه، وأُخرجوا رسْلًا رسْلًا، فضربت أعناقهم، فكانوا بين الست مائة والسبع مائة، واصطفى منهم ريحانة.

وغزوة خيبر: في السنة السابعة، وفيها قال النبيّ ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر: «إنا إذا نَزلنا بساحةِ قومٍ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٣]». وجميع من قُتل فيها مِن الصحابة رضي الله عنهم سبعة عشر رجلًا. ورُوي أنّ النبيّ ﷺ قاتَلَ أيضًا بوادي القُرَى والغابة وبني النضير، والله أعلم[٤].

قوله: وأنزل عليه السبع المثاني.

السبع المثاني الفاتحة، قيل: سمّيت[٥] بذلك لأنّها سبع آيات بالإجماع. وقيل: السبع الطوال وهي: البقرة وآل عمران[٦] إلى الأعراف، والسابعة الأنفال، وقيل: براءة، وقيل كلاهما لأنه لم يُفصل بينهما بالبسملة. وقيل: إلى حٰم[٧]. وقيل: السبع المثاني، القرآن كلّه لأنّه سبعة أسباع، فسمّيت المثاني على هذا، لِما فيها من الثناء على الله تعالى، أو لِما فيها من تكرار القصص والوعد والوعيد،

(١) م و آ: أرقعة.
(٢) في آ: بقين.
(٣) سورة الصافّات ٣٧/ ١٧٧.
(٤) عن غزوة خيبر، راجع أنساب الأشراف ١/ ١/ ٨٧٦؛ وتاريخ الطبري ٣/ ٩؛ والمغازي للواقدي ٢/ ٦٣٣.
(٥) إضافة من م و آ.
(٦) إضافة من م و آ.
(٧) في آ: وقيل آلم.

فتكون الواو على هذا القول في قوله: «والقرآن» مقحمة، والقرآن بدل من المثاني.

فكان السبب في تنزيل هذه الآية الكريمة المشار إليها، أنه جاء في يوم واحد مِن بُصرى[١] وأذرعات[٢] سبعُ قوافل ليهود قريظة والنضير، فيها أنواع الأموال. فقال المسلمون: لو كانت لنا هذه الأموال لأنفقناها في سبيل الله تعالى وتقوّينا بها. فنزل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[٣] الآية، والمعنى: هذه السبعُ المثاني خير من هذه السبع قوافل.

قوله: على سبعة أحرُف: أي نزل القرآن على سبع لغات، فأدّوا ما تيسّر منه. فمن قرأه بقراءة عبد الله بن مسعود، فقد قرأه بحرفه، ومَن قرأه بقراءة زيد، فقد قرأه بحرفه، ومَن قرأه بقراءة أُبَيّ فقد قرأه بحرفه. والحرف قد يقع على المثال المقطوع على حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع هو والكلمة على الرسالة بأسرها، والخطبة كلّها، والقصيدة بكمالها، وكذلك الكلمة.

ألا ترى أنّهم يقولون: قال الشاعر في كلمته، يعنون في قصيدته. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٤] ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾.

و﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[٥]، أي طرفٍ من الدِين وجانب، فيعبد الله على الخير يصيبه، وتثمير المال، وعافية البدن، وإعطائه السؤال، فهو مطمئنّ ما دام له ذلك، وإن امتحنه الله بالعذاب في بدنه والبلاء في عيشته كفر به، فهذا عبَدَ

(١) بُصْرَى: بالضم والقصر، قصبة كورة حوران، من أعمال دمشق. مشهورة عند العرب وحديثًا، وفيها مدرج روماني.
(٢) أذرِعات: بالفتح ثم بالسكون وكسر الراء. بلد في أطراف الشام يجاور البلقاء وعمّان وينسب إليه الخمر.
(٣) سورة الحِجر ١٥/ ٨٧.
(٤) سورة الصافّات ٣٧/ ١٧١.
(٥) سورة الحجّ ٢٢/ ١١.

الله على وجهٍ واحدٍ ومذهبٍ واحدٍ، وهو يعني الحرف، ولو عبَدَ اللهَ على الشكر على النعمة والصبر على المصيبة والرضى بالقضاء، لم يكن عبده على حرف. كذا قال ابن قتيبة في كتابه «متشابه القرآن»[١].

قوله: وأَسرى به.

قال الزهري /[٢]: كان الإسراء بعد مبعثه ﷺ بسبع سنين. وروى عمرو بن [٤٣ب] شعيب عن أبيه عن جده، أنه أسريَ به ليلة السابع من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة. وكذا قال أنَس رضي الله عنه.

وقوله: سابع سنة خلت من ملك كسرى الملك العادل.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار: لم يكن بعد أزدشير أعدل من كسرى أنوشروان، وهو الذي ولد النبيّ ﷺ لسبع سنين خلت من ملكه[٣]. وكان غيره من ملوك الأكاسرة ظلمة يستعبدون الأحرار، ويستأثرون عليهم بكل شيء، فلا يجسُر أحد منهم أن يطبخ سِكْباجًا، ولا يلبس ديباجًا، ولا ينكح حسناء، ولا يؤدب ولده، ولا يمد إلى امرأةٍ يده[٤]. فكان حالهم معه، كما قال مسعدة بن عمرو للمأمون: كلّ ما يصلح للمولى على العبد حرام.

وقوله: «فمن أجله السبع المثاني أُثْبِتت»[٥]:

أي كرّر ما فيها من القصص والوعد والوعيد وغير ذلك، إعلامًا للنبيّ ﷺ بما كان وما يكون مِن أخبار الأمم وأحوال يوم القيامة، وغير ذلك. وعلى هذا قول مَن قال: إنّ المراد بالمثاني القرآن كلّه، وهو قول جماعة مِن المفسّرين.

(١) هكذا في ب، ولم نعثر على الكتاب في ما نشر من مؤلفات القتيبي.
(٢) راجع قصة الإسراء والمعراج في أنساب الأشراف ١/ ١/ ٦٠٣-٦٠٧.
(٣) في ب: من ملك كسرى العادل، وفي م و آ: ولدت في زمن كسرى الملك العادل.
(٤) نفسه: ولا يمد يده إليه، وهو سياق مضطرب، وفي ب: إلى مروئه، كذا.
(٥) م: ثنيت، أي كرّر ما فيها.

قوله: وفاخرت الشهْبَ الحصَى والجندلُ:

لأنّها بتسبيحها في كفّ النبيّ ﷺ، صار لها فضل وفخر وشرف على ما سواها، وقد ثبت في الصحيح مِن معجزاته ﷺ أنّ الحصَى سبَّح في كفّه، ثم وضعه في كفّ أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم فسبَّح.

قوله: منائحه سبعٌ:

المنائح جمع منيحة وهي الشاة أو الناقة تعطيها لغيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك. وكان للنبيّ ﷺ سبعة[١] أعنز منائح وهن: عَجْوة، وزمرة[٢]، وسقيا، وبركة وورسة، وأطلال وأطراف. وكانت أمّ أيمن ترعاهنّ. وأمّ أيْمن/ هذه رضي الله عنها هي [١٤٤آ] إحدى الإماء السبعة[٣] التي أُهدِين[٤] للنبيّ ﷺ، وهنّ: سلمى أمّ رافع، وبرَكة أمّ أيْمن، ورضوَى، وخضرة، وميمونة بنت سعد، وريحانة القرظية على الخلاف، ومارية القبطية.

قوله: وأولاده سَبْعٌ: قال أبو بكر البرقي: كان جميع أولاده ﷺ سبعة، ويقال ثمانية: القاسم وبه تَكنَّى، وعبد الله واسمه الطيّب الطاهر، وقيل: الطاهر غير الطيّب، وإبراهيم، وزينب ورُقيَّة وأمّ كلثوم وفاطمة، وكلّهم من خديجة إلاّ إبراهيم، فإنّه من مارية القبطية، التي أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبيّ ﷺ في سنة سبع من الهجرة.

فلمّا ولدت له إبراهيم عَقّ عنه النبيّ ﷺ بكبشٍ يوم سابعه، وحلق رأسه وتصدّق بزنة شَعره فضّة على المساكين، وأمر بشعره فدُفن في الأرض. ولمّا مات

(١) في م: سبع، راجع ما أورده أنساب الأشراف ١/ ٢/ ١٢٤٣؛ والنهاية لابن الأثير ٢/ ٦٨٢؛ وتاريخ الطبري ٣/ ١٧٦. والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٤٩٥.

(٢) في ب: عجزة وزمزمة، وفي أنساب الأشراف: زمزم.

(٣) في م و آ: السبع.

(٤) كذا في ب، وصوابها: اللائي، اللاتي أو اللواتي؛ وربما كانت: أهديت، لعلها: آ: «التي» للنبي ﷺ.

دُفن بالبقيع ورُشّ عليه الماء وقال له: إلحَقْ سَلَفَنا الصَّالِح، وقال: إنّ لَهُ ظِئْرًا يتمُّ رضاعه في الجنَّة. وقال: لَو عَاشَ لَوَضَعْتُ الجِزْيَةَ عَنْ كُلِّ قِبْطِي. ولمّا مات القاسم ثم عبد الله، قال العاص بن وائل السهمي[١]: قد انقطع ولده، فهو أبتر. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٢].

وقوله: وَحُرّاسُهُ سَبْعٌ: حُرّاس النبيّ ﷺ سبعة، وهم: سعد بن معاذ، وسعد ابن أبي وقّاص، وعبّاد بن بِشر، والزبير بن العوّام، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري، وأبو أيّوب الأنصاري[٣]. فلمّا أُنْزِلَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، ترك الحرس. وجاء أيضًا أنّ ذكوان بن عبد الله بن قيس من جملة حرّاس النبيّ ﷺ[٥].

قوله: وضاهاه سبعٌ: جاء أنّ الذين كانوا يُشبهون/ النبيّ ﷺ سبعة، وهم: [٤٤ب] الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وقُثَم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث، والسائب بن عُبيد، ومسلم بن معتّب، وكايِس بن ربيعة بن مالك [السامي](٦)، وهو رجل من أهل البصرة، وَجَّه إليه معاوية رضي الله عنه وقبَّل بين عينيه، وأقطعه قطيعة. وكان أنس بن مالك إذا رآه بكَى.

قوله: وأحيا ما فيها من الموات ببقاء مولانا السلطان محيي العدل في العالَمين: الموات في الأرض، الخراب التي هي غير عامرة. قال الطحاوي: هي ما

(١) أحد الحكّام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظلّ على الشِّرْك، ويُعَدّ من المستهزئين ومِن الزنادقة الذين ماتوا كفّارًا وثنيّين. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار سنة ٣٣ق.هـ/ ٥٥م. وهو والد عمرو بن العاص الصحابيّ الشهير. انظر ترجمته في المحبر ونسب قريش وجمهرة الأنساب.

(٢) سورة الكوثر ١٠٨/ ٣.

(٣) العدد هنا ستّة فقط، في حين أثبتت آ اسم سابعهم وهو: ذَكْوان.

(٤) سورة المائدة ٥/ ٦٧.

(٥) به يكتمل عدد الحرّاس السبعة، كما ورد في م دون الأصل. وقد أضاف خليل بن أيبك الصفدي ذكوان بن عبد قيس يوم أحد، وبلال بوادي القرى.

(٦) الزيادة من الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٨٩.

ليس بملكٍ لأحد، ولا هي من مرافق البلد، وكانت خارجة عن[١] البلد سواء قربت منه أو بعدت. وقيل: هي البقعة التي لو وقف الرجل على أدناها من العامر، ونادى بأعلى[٢] صوته لم يسمعه أقرَب مَن في العامر إليه[٣].

قوله: عامل سيوفه: العامل من أسماء الرماح، وإنّما أراد به ههنا اسم الفاعل من عمل يعمل فهو عامل.

قوله: وحرس غرفات قاعاته السبع بملائكة السبع الطباق: أراد بها القاعات السبع التي بقلعة الجبل المحروسة التي بناها والده السلطان الملك الناصر رحمه الله تعالى.

قوله: وأشرق في لياليها من الثريا نجومها السبعة، التي تظهر من الثريا في الغالب سبعة نجوم. وجاء أنّ النبيّ ﷺ كان يرى منها أحد عشر كوكبًا، وفي كون الظاهر منها لغالب الناس سبعة نجوم. قال بعضهم: [من الطويل]

خَليلَـــيَّ إنِّـــي لِلثُّرَيَّـــا لَحاسِـــدٌ وَإنِّـــي عَلَـــى رَيْـــبِ الزَّمـــانِ لَواجِـــدُ
أَيَجْمَـــعُ مِنْهَـــا شَـــمْلَها وَهِـــيَ سَـــبْعَةٌ وَأَفْقِـــدُ مَـــنْ أَحْبَبْتُـــهُ وَهُـــوَ واحِـــدُ

وقال محبّ الدين محمّد بن عبد الله الكاتب: [من الطويل]

حَكَـــتْ طَبَقًـــا فَيْرُوزَجِيًّـــا أَدِيمُـــهُ نُثِـــرَتْ عَلَيْـــهِ سَـــبْعُ حَبَّـــاتِ لُؤْلُـــؤِ

وقال التهامي في تشبيه الثريا[٤]: [من البسيط]

[١٤٥آ] وَلِلثُّرَيّـــا رُكُـــودٌ فَـــوْقَ أَرْحُلِنـــا كَأَنَّهَـــا قِطْعَـــةٌ مِـــنْ فَـــرْوَةِ[٥] النمـــرِ/

(١) زيادة في م. وهو ما يقتضيه سياق الكلام.
(٢) في ب: بأعلا.
(٣) زيادة في م. وهو ما يقتضيه سياق الكلام.
(٤) ديوان أبي الحسن التهامي ٤٢.
(٥) نفسه: جلدة النمر؛ وفي آ: ركوعٌ فوق أرجلنا كأنه...

وقال ابن المعتز[١]: [من المنسرح]

قد انقضت دولةُ الصيام وقد ... بشَّر سُقمُ الهلالِ بالعيدِ
يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتح فاه لأكلِ عنقودِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

زارني والدجى أَجَمُّ الحواشي ... والثريا في الغرب كالعنقودِ
وهلالُ السماء طَوْقُ عروسٍ ... بات يُجلَى على غلائلَ سودِ

وقال أيضًا[٢]: [من الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا في أَوَاخِرِ لَيْلِهَا ... تَفَتُّحُ نَوْرٍ أَوْ لِجَامٌ مُفَضَّضُ[٣]

وَمَا أحسن قول ابن خفاجة الأندلسي في فرسٍ أدهمَ حيث يقول[٤]: [من الخفيف]

جَالَ في أنجُمٍ مِنَ الحَلي بِيضٍ ... وَقَمِيصٍ مِنَ الظَّلامِ[٥] مُذَالِ
فَبَدَا اللَّيْلُ[٦] مُلجَمًا بِالثُّرَيَّا ... وَبَدَا[٧] البَرْقُ مُسْرَجًا بِالهِلالِ

(١) البيتان هما الثاني والثالث من المقطعة رقم ٣٦٥ في الديوان ٢/ ٢٤٦؛ والبيت الأول هو:
أَهْلًا وَسَهْلًا بِالنَّايِ وَالْعُودِ ... وَكَأسِ سَاقٍ كَالْغُصْنِ مَقْدُودِ

(٢) هذا البيت هو الثاني من المقطعة رقم ٤٣٧، انظر الديوان ٢/ ٢٧٨، والبيت الأول هو:
ألا سقّنيها والظلام معوِّضُ ... ونجمٌ للدجى في حلبة الليل يركضُ

(٣) في آ: تفتح نورًا، وهو خطأ.

(٤) البيتان هما الثاني والثالث من مقطعة من ثلاثة أبيات أولها:
وَمُغارٍ رَكِبْتُ دَهْمَاءَ مِعْطَالًا ... إِلَيْهِ وَظَهْرَ أَشْهَبَ حَالِ
راجع الديوان ١٤٠ رقم ٩٥.

(٥) الديوان: الصباح.

(٦) نفسه: الصبح.

(٧) نفسه: وجرى.

قرأها القاضي مجد الدين بن أبي جمعة: [من البسيط]

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نِضْوَ بُرْقُعِهَا ... الغَالِي وَإِيدَاعَ سَمْعِي أَطْيَبَ الخَبَرِ
فزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَّا سَنَا قَمَرٍ ... وَسَاقَطَتْ لُؤلُؤًا مِنْ خَاتَمٍ عَطِرِ
وَأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ البَيْنُ في حُلَلٍ ... سُودٍ تَعَضُّ بَنَانَ النَّادِمِ الحَسِرِ
فَلاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْحٍ أَقَلَّهُمَا ... غُصْنٌ وَضَرَّسَتِ البِلَّوْرَ بِالدُّرَرِ

أقول: هذا التشبيه الذي ما له شبيه، والبديعُ الذي أخمل خمائلَ الربيع. فلو حاوله محاول، لم يفُز بِطائل، وأنَّى ذلك، وأين الثريا من يد المتناول!؟

وقد ذكرت ما قيل في الخيل من المقاطيع الحسنة في كتابي الموسوم بـ «التنويه بمحاسن التشبيه».

قوله: في معنى رسالتي: «أسنى المقاصد».

وهي رسالة مطوّلة كتبت بها إلى مولانا السلطان الملك المجاهد صاحب اليمن، وسمّيتها: «أَسْنَى المَقَاصِدِ في مدح الملك المجاهد»، تشتمل على مقاطيع في معنى «كافات الشتاء السبعة» التي لابن سُكَّرة، وغير ذلك. ومن جملة هذه الرسالة قصيدة سبعة أبيات في مدح مولانا السلطان الملك الناصر، أعزّ الله تعالى أنصاره، وهي هذه الأبيات: [من الوافر]

[٤٥ب] لَئِنْ أُنسِيتَ مَنْ يَهْوَاكَ غَيْرَك ... فَمَا أَحْلَى عَلَى الأَفْوَاهِ ذِكْرَكْ/
فَقُل مَا شِئْتَ وَاحْكُمْ في البَرَايا ... فَكُلُّ النَّاسِ يَمْتَثِلُونَ أَمْرَكْ
وَيَا مَنْ جَاءَ[1] يَعْذِلُ مُسْتَهَامًا ... عَلَى حُلوِ الشَّمَائِلِ مَا أَمَرَّكْ
وَيَا مَنْ رَاحَ يَشْكُو كَسْرَ قَلبٍ ... أَرَى بِالنَّاصِرِ السُّلطَانِ جَبْرَكْ

(١) في م و آ: راح.

فَيَـا مَلِكًـا عَـلاهُ كُـلَّ وَصْـفٍ يُقَصِّـرُ عَنْـهُ مَـدَّ اللهُ عُمْـرَكْ
رَعَـاكَ اللهُ مِـنْ مَلـكٍ هُمَـام أَعَـزَّ اللهُ بِالتَّأْيِيـدِ نَصْـرَكْ
أُشَـمِّرُ بِالـدُّعَا فِي الأَرْضِ أَزْرِي[1] وَرَبِّـي فِي السَّـمَا قَـدْ شَـدَّ أَزْرَكْ

قوله: في الباب الخامس، في ترجمة الملك المنصور أبي بكر ابن الملك الناصر: «**وبذل فيهم الألوفَ بعد الألوف**». كان رحمه الله ملكًا معطاءً، حمل إليه من مال بَشْتَاك[2] ومال أقبغا عبد الواحد[3] ومال بَرَسْبُغَا[4] ما يقارب الأربعة آلاف ألف درهم وأكثر، فأوهبها جميعًا لخاصكية أبيه الملك الناصر. وكان في عزمه أن لا يغيّر قاعدة من قواعد جدّه الملك المنصور قلاوون، ويبطل ما كان أبوه قد أحدثه[5].

قوله: في ترجمة الملك الأشرف كجك[6]: «**وكان سابوريّ الولاية، صغيرًا إلى الغاية**». سابور المشار إليه، هو سابور ذو الأكتاف ابن هرمز[7]. كان أبوه قد مات وخلّفه حَمْلًا، فوُضِع التاجُ على بطن أمّه. فولي المُلك وهو في بطن أمّه. واستقلّت الوزراء بتدبير الملك. فلمّا بلغ من العمر ستّ[8] عشرة سنة، قتل خلقًا عظيمًا من العرب، وخلع أكتاف كثير منهم، فقيل له: ذو الأكتاف.

(١) في آ: للدُّعا.
(٢) الأمير سيف الدين الناصري، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٦٩٠ رقم ٣٩٥؛ والوافي بالوفيات ١٠/ ١٤٢.
(٣) الأمير سيف الدين الناصري أستاذ دار السلطان الملك الناصر، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٥٤٨ رقم ٢٩٢؛ والوافي ٩/ ٣٠٤.
(٤) الأمير سيف الدين الحاجب الناصري، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٦٨٦ رقم ٣٩١؛ والوافي ١٠/ ١١٤.
(٥) انظر ما أورده النجوم الزاهرة ١٠/ ٥ وما بعدها.
(٦) السلطان الملك الأشرف علاء الدين ابن الملك الناصر محمّد بن قلاوون، ترجمته في أعيان العصر ٤/ ١٤٨ رقم ١٣٩٥؛ والوافي ٢٤/ ٣٣٠.
(٧) راجع ترجمته مفصّلة في التاريخ الكامل لابن الأثير ١/ ٣٥٨- ٣٦٢.
(٨) في ب: ستة عشرة. وهو خطأ.

وكان في أيام مملكته قد دخل متنكّرًا إلى القسطنطينية، فصادف وليمةً لقيصر، وقد اجتمع فيها الخاصّ والعامّ، فدخل في جملة الناس، وجلس على بعض الموائد، وكان قيصر قد أمر مصوّرًا أن / يأتيه بصورة سابور[١]. فلمّا أتاه [١٤٦آ] بها، أمر بها فصوّرت على آنية الشراب من الذهب والفضّة. فأتَى مَن كان على المائدة التي عليها سابور بكأسٍ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس، وسابور مقابل له على المائدة، فعجب من اتّفاق الصورتين، وتقارُب الشبهين. فقام إلى الملك فأخبره بذلك. فمثل بين يديه، فسأله عن خبره فقال: أنا مِن أساورة سابور وهربت لأمرٍ خفته. فلم يقبل ذلك منه، وأمر بقتله. فأقرّ بنفسه. فعند ذلك أمر قيصر فعملت له من جلود البقر صورة بقرة وطوبقت عليه الجلود سبع طبقات. وأُدخل سابور في تلك الصورة[٢].

وتمام حكايته إلى أن خلص وعاد إلى ملكه في كتاب «سلوان المطاع»، في السلوانة الثانية منه[٣]، وهي حكاية غريبة مشتملة على أنواع كثيرة من الحِكم والفوائد.

قوله: وفعل الفخري مع نائب دمشق فعل الحية بظالم

يشير إلى حكاية لطيفة ذكرها الصقلّي في كتابه: سلوان المطاع أيضًا.

قوله: ركب الأهوال في زورته

البيت للعكّوك[٤] وفيه إشارة إلى سرعة عَود السلطان الملك الناصر أحمد رحمه الله تعالى، إلى الكرك، لأنه لمّا جاء إلى مصر، وجلس على سرير الملك

(١) في ب: بصورته.
(٢) راجع الرواية في المعارف لابن قتيبة ٦٥٦.
(٣) في هامش الأصل: ساقها في ثمرات الأوراق ٢١٢- ٢٢٩ نقلًا عن سلوان المطاع على التمام والكمال. انظر سلوان المطاع للصقلي ٤٩ - ٧٣.
(٤) هو عليّ بن جبلة الشاعر المعروف بالعكّوك، والبيت هو الرابع من مقطعة تبلغ أربعة أبيات. انظر شِعر العكّوك صفحة ١٤٧ رقم ٣٥. وراجع الأبيات في وفيات الأعيان ٣/ ٣٥؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٦٧.

بعد [خلع][١] أخيه الملك الأشرف، أقام أربعين يومًا، وكرّ راجعًا إلى الكرك.

وقبل البيت المشار إليه: [من الرمل]

بِـــأَبِي مَـــنْ زَارَنِـــي مُكْتَتِمًـــا ... خَائِفًـــا[٢] مِـــنْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ جَزِعَـــا
زَائِـــرٌ نَـــمَّ عَلَيْـــهِ عَرْفُـــهُ[٣] ... كَيْـــفَ يُخْفِـــي اللَّيْـــلُ بَـــدْرًا طَلَعَـــا
رَصَـــدَ الغَفْلَـــةَ حَتَّـــى أَمْكَنَـــتْ ... وَرَعَـــى السَّـــامِرَ حَتَّـــى هَجَعَـــا
رَكِـــبَ الأَهْـــوَالَ فِي زَوْرَتِـــهِ ... ثُـــمَّ مَـــا سَـــلَّمَ حَتَّـــى وَدَّعَـــا / [٤٦ب]

ومِن أحسن ما قيل في الزيارة قول الطغرائي[٤]: [من الخفيف]

خَبَّرُوهَـــا أَنِّـــي مَرِضـــتُ فَقَالَـــتْ ... أَضَـــنًى طَارِفًـــا يَشْـــكِي[٥] أَمْ تَلِيـــدا
وَأَشَـــارُوا بِـــأن تَعُـــودَ وِسَـــادِي ... فَأَبَـــتْ وَهْـــيَ تَشْـــتَهِي أن تَعُـــودَا
وَأَتَتْنِـــي فِي خِفْيَـــةٍ وَهِـــيَ تَشْـــكُو ... أَلَـــمَ الشَّـــوْقِ[٦] وَالمَـــزَارَ البَعِيـــدَا
وَرَأَتْنِـــي كَـــذَا[٧] فَلَـــمْ تَتَمَالَـــكْ ... أن أَمَالَـــتْ عَلَـــيَّ عِطْفًـــا وَجِيـــدَا

قوله: وكان في أثناء ذلك قد أمسكَ أميرين كبيرين، وهما: قُطْلُوبَغا الفخري[٨]، وطَشْتُمر[٩] حُمُّص أخضر، وكان قد استنابه بمصر. وأخرج الفخري

(١) الزيادة من آ.
(٢) نفسه: زائرًا.
(٣) شعر العكّوك: قمرٌ، وفي التبيان للعكبري: طارقٌ نمَّ عليه نورُه.
(٤) انظر الأبيات في ديوان الطغرائي ١٤١ رقم ٧٣، في مقطعةٍ من ستة أبيات هذه الثلاثة قسمها الأول.
(٥) الديوان: شكا.
(٦) نفسه: رِقْبَة الحيِّ.
(٧) في ب: كذا، وفي آ: ورأتنيَ مضنًى.
(٨) هو الأمير سيف الدين الساقي الناصري المعروف بالفخري، انظر أعيان العصر ٢/ ١١٢ رقم ٣٧٧.
(٩) سيف الدين حمص أخضر الساقي الناصر، ترجمته في أعيان العصر ٢/ ٥٨٦ رقم ٨١١؛ والمنهل الصافي ٦/ ٣٩٢.

نائبًا إلى الشام، ثم بعد مضيّ أيّامٍ قلائل، أمسك طشتمر نائبه في مصر، وأرسل أمسك الفخري في أثناء الطريق قبل وصوله إلى دمشق. وتوجّه إلى الكرك وقتلهما هناك. فلم تستحسن الناس ذلك منه، لأنه قتلهما بغير موجب، والله أعلم. وفي طشتمر حمّص أخضر يقول بعض أهل العصر[١]: [من السريع]

طَوَى الرَّدَى طَشْتَمُرًا بَعْدَمَا ... بَالَغَ فِي دَفْعِ الأذَى[٢] وَاحْتَرَسْ
عَهْدِي بِهِ كَانَ شَدِيدَ القُوَى ... أشْجَعَ مَنْ يَرْكَبُ ظَهْرَ الفَرَسْ
أَلَمْ يَقُولُوا: حُمُّصًا أخْضَرًا ... تَعَجَّبُوا بِاللهِ كَيْفَ اندَرَس[٣]

وقال: فيه الشهاب ابن الأطروش بعد عوده من دمشق[٤]: [من المجتثّ]

لَمَّا رَجَعْتَ إِلَيْنَا ... مِنْ شِقَّةِ البُعْدِ وَالبَيْنِ
خِلْنَاكَ تَحْنُو عَلَيْنَا ... يَا حُمُّصَ أخْضَرَ بِقَلبَيْنِ

وقال الشيخ إبراهيم المعمار: [من المجتثّ]

أَوْرَدْتَ نَفْسَكَ ذُلًّا ... وِرْدَ النُّفُوسِ المُهَانَهْ
وَبِالرُّشَا حُزْتَ مَالًا ... مَلأْتَ مِنْهُ خزَانَهْ
وَكَمْ عَلَيْكَ قُلُوبٌ ... يَا حُمُّصَ أخْضَرَ مَلانَهْ

[٤٧آ] **قوله: جَمٌّ غفير**. الجمُّ الغفير: هو الجماعة الكثيرة من الناس. يقال: جاؤوا/ جمًّا[٥] غفيرًا ممدودًا. والجمُّ الغفيرُ: أي جاؤوا بجموعهم الشريف والوضيع،

(١) يقول الصفدي في أعيان العصر ٢/ ٥٩٠: وقلت أنا فيه لمّا قُتل رحمه الله:
(٢) في م و آ: الردى.
(٣) في المنهل الصافي ٦/ ٣٩٣؛ والنجوم الزاهرة وتذكرة النبيه لابن حبيب ٣/ ٤٧: فاعجبْ له يا صاحِ كيف اندرسْ.
(٤) في آ: من الشرق.
(٥) في آ: جمّاء، والجمّاء الغفير، أي جاؤوا بمجموعهم.

ولم يتخلّف منهم أحد. وكان فيهم كثرة.

قوله: بعد اللَّتِيّا والّتي. قال الزمخشري: المعنى بعد الخطّة التي من شأنها كيت وكيت. قال صاحب الصحاح: يقال: وقع في اللَّتيّا والتي، وهما اسمان من أسماء الداهية.

قوله: [من الوافر]

أُحِــبُّ لأَجْلِهَــا السُّــودَانَ حتَّــى ... أُحِــبُّ لأَجْلِهَــا[1] سُــودَ الكِــلابَ

هذا البيت لبعض العرب، وأراد قائلُه، أنّ محبوبته لمّا كانت سوداء أحبّ كلّ شيء أسود مِن أجلها. كما قال إبراهيم بن سَيابة[2]، وقد عُنِّف على حُبّ سوداء: [من الوافر]

يَكُــونُ الخَــالُ في خَــدٍّ[3] قَبِــيحٍ ... فَيَكْسُــوهُ المَلاَحَــةَ وَالجَمَــالا

فَكَيْـفَ يُـلامُ مَشْـغُوفٌ عَلَـى مَـن[4] ... يَرَاهَــا كُلَّهَــا في العَــيْنِ خَــالا؟

وقد تقدّم مِن هذه الأبيات في هذا المعنى ما فيه كفاية.

وبقي حكاية تتعلّق بالبيت المذكور ولا بأس بذكرها، وهي: أنّ عَرِيب[5] - بفتح العين المهملة وكسر الراء - كانت بارعة الحُسْن، كاملة الظرف، حاذقة بالغناء وقول الشِّعر، معدومة المثل، اشتراها المعتصم بمائة ألف درهم[6] وأعتقها[7]. وكانت من جواري المأمون، وكان شديد الكَلف بحبّها. أنشدها في

(١) في م و آ: لحبّها.
(٢) راجع ترجمته في الوافي للصفدي ٦/ ١٣ رقم ١٤٤٣؛ والأغاني ١٢/ ٨٨.
(٣) الوافي: وجهٍ.
(٤) نفسه: معشوق.
(٥) ترجمتها في الوافي بالوفيات للصفدي ١٩/ ٥٥٣ رقم ٥٦٩.
(٦) في آ: دينار، وهو الأقرب إلى الصواب.
(٧) مختار الأغاني ٥/ ٣٥٤.

بعض الأيام [مداعبًا لها][١]: [من الوافر]

أَنَــا المــأْمُونُ وَالمَلِــكُ الهُمَــامُ عَلَــى أَنِّــي بِحُبِّــكِ مُسْــتَهَامُ
أَتَرْضَــيْ أن أَمُــوتَ عَلَيْــكِ وَجْــدًا وَيَبْقَــى النَّــاسُ لَــيْسَ لَهُــمْ إِمَــامُ؟[٢]

فقالت له: يا أمير المؤمنين: والدك هارون الرشيد أعشقُ منك حيث يقول: [من الكامل]

مَلَــكَ الــثَّلاثُ الآنِسَــاتُ عِنَــانِي وَحَلَلــنَ مِــنْ قَلبِــي أَعَــزَّ[٣] مكَــانِ
مَــا لِــي تُطَــاوِعُنِي البَرِيَّــةُ كُلُّهَــا وَأُطِــيعُهُنَّ وَهُــنَّ فِي عِصْــيَانِي؟
مَــا ذَاكَ إِلّا أنّ سُــلطَانَ الهَــوَى - وَبِــهِ قَــوِينَ[٤]- أَعَــزُّ مِــنْ سُــلطَانِي

وذلك أنّ والدك أمير المؤمنين قدّم ذكر جواريه في شِعره على نفسه، وأنتَ [٤٧ب] قدَّمْتَ نفسك[٥] على مَن زعمت أنّك تهواه./

فقال لها أمير المؤمنين المأمون: صدقت، إلاّ أنّي منفرد بحبّك، وحبّ الرشيد بين ثلاث جواري، وشتّان بين رتبة الحبيبين.

فقالت له: أعرفهنّ يا أمير المؤمنين، أمّا الواحدة فلانة فإنها كانت المقصودة بحبّه، وأمّا الأخرتان[٦] فإنّهما محبوبتان لها، فأحبّهما لأجلها، وقرّبهما بسببها من قلبه، كما قال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة[٧]: [من الطويل]

(١) الزيادة من آ.
(٢) قارن برواية البيتين في فوات الوفيات ٢/ ٢٣٩.
(٣) الوافي: بكل مكان.
(٤) في ب و آ: استطلن.
(٥) نفسه: ذكرك، وفي م و آ: ذكر نفسك.
(٦) في م و آ: الأخريان.
(٧) أورده الصفدي في ترجمة خالد في كتاب الوافي ١٣/ ٢٧١، واستتبعه ببيت آخر هو:
تَجُــولُ خَلاخِيــلُ النِّسَــاءِ وَلاَ أَرَى لِرَمْلَــةَ خلْخَــالًا يَجُــولُ ولا قُلْبــا

أُحِبُّ بَنِي العَوّامِ مِنْ أجْلِ حُبِّها وَمِنْ أجْلِهَا أحْبَبْتُ أَخْوَالَها كَلبَا

وقال الآخر: [من الوافر]

أُحِبُّ لأَجْلِهَا السُّودَانَ حتَّى[1] أُحِبُّ لأَجْلِهَا سُودَ الكِلابَ

فهذان أحبّا القبيلتين من أجل محبوبتيهما، وعشقا هاتين الوصيفتين[2] تقرُّبًا إلى قلب معشوقتيهما. وهذا المخرج لعذر أمير المؤمنين هارون، فأين المخرج لحبّ أمير المؤمنين؟ فاستحيا منها، وعظُم وَجْدُه بها لما رأى من فضلها وحُسن أدبها وخطابها. وسيأتي نظير هذه الحكاية في خاتمة هذا الباب وسجع طائره المستطاب.

قوله: خرجوا إلى قتاله بقضِّهم وقضيضهم: فقال: خرج القوم بقضّهم وقضيضهم، إذا خرجوا جميعًا ولم يتخلّف منهم أحد.

قوله: سبَق السَّيفُ العَذَل[3]. هو مثَل من أمثال العرب، يُضربُ في الأمر الذي لا يُقدَر على ردّه، وحكايته معروفة بين أهل الأدب.

ومِن أحسن ما قيل في العذَل: [من السريع]

يَقُولُ لِيَ العَاذِلُ في لَوْمِهِ وَعَذْلُهُ زُورٌ وَبُهْتَانُ
مَا وَجْهُ مَنْ أحْبَبْتَهُ قِبْلَةً قُلتُ: وَلا قَوْلُكَ قُرْآنُ

وقال وهْب بن جابر الخزاعي في العَذَل: [من الكامل]

هُدِّدْتُ بِالسُّلطَانِ فِيكَ وإنّما أَخْشَى صُدُودَكَ لا مِنَ السُّلطَانِ

(١) في آ: أحبّ لحبّها.
(٢) الجملة مضطربة، وفي م: وذاك عشق هاتين الوصيفتين.
(٣) مجمع الأمثال للميداني، الجزء الأول ص ٢٤١.

أَهْـوَى المَلامَـةَ فِيـكَ حَتَّـى لَـوْ دَرَى أَخْـذَ الرُّشَـا مِنِّـي الَّـذي يَلحَـانِي

وقلتُ أنا في العَذَل أيضًا: [من السريع]

[٤٨آ] وَعَـــاذِلٍ بـــالَغَ في عَذْلِـــهِ وَقَـــالَ لمَّـــا هَـــاجَ بِلبَـــالِي/

بِعَـارِضِ المَحْبُـوبِ مـا تَنْتَهِـي قُلـتُ: وَلاَ بِالسَّـيْفِ وَالـوَالِي

وقال بلديُّنا شمس الدين محمّد بن العفيف التلمساني، رحمه الله تعالى[١]: [من السريع]

أَسْـرَفْتَ في اللَّـوْمِ وَلَـوْ لَـمْ تَقْتَصِـرْ وَزِدْتَ في عَـذلِكَ يَـا ذَا العَـذُولْ[٢]

قَـدْ رَضِـيَتْ نَفْسِـي بِمَحْبُوبِهَـا وَإِنَّمـا المَـوْلَى كَثِيـرُ الفُضُـولْ[٣]

وقد عقدتُ للعذَل بابًا مستقلًا، وذكرتُ فيه أشياء مليحة في كتابي «ديوان الصبابة».

(١) ديوان ابن العفيف التلمساني (الشابّ الظريف) ٢٠٤ رقم ٢٨٧.
(٢) نفسه: في لومك.
(٣) الفضول هنا: جمع فضل.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أوّلها: أقول وقد تقدّم الوعد في الإتيان بمثل حكاية عَريب للمأمون وما أشبهها، فأقول: حكَى أبو الفرج في كتاب الأغاني[١]: أنّ دنانيرَ جارية [خالد بن][٢] يحيى البرمكي، كانت صفراء مولَّدة، من أحسن الناس وجهًا، وأظرفهم وأكملهم أدبًا، وأكثرهم رواية للشِّعر وضُروب الغناء، ولها كتاب مجرّد في الأغاني. فلمّا جرى للبرامكة ما جرى، أحضرها الرشيد وأمرها أن تغنّي، فقالت:

يا أمير المؤمنين إنّي آلَيتُ على نفسي أن لا أغنّي بعد سيّدي أبدًا. فغضب وأمر بصفعها، فصُفعت، وأقيمت على رجليها، وأعطيت العود، فأخذته وهي تبكي أحرّ بكاء وأشدّه، واندفعت فغنّت: [من المنسرح]

يَـا دَارَ سَـلمَى بِنَـازِحِ السَـنَد ... مِـن التَّنَـائي[٣] وَمَسْـقِطِ اللِّبَـدِ
لَمَّـا رَأيْـتُ الـدِّيارَ قَـدْ بَعُـدَتْ[٤] ... أَيْقَنْـتُ أنَّ النَّعِـيمَ لَـمْ يَعُـدِ

فرَقَّ لَها قلبُ الرّشيد وأمر بإطلاقها. فانصرفت وهي تبكي أحرَّ بُكاء.

أقول: هي والله معذورة في عدم غنائها، وطول بكائها وعنائها. لأنّ خالد البرمكي مولاها كان يتصدّق عنها في كلّ يوم من شهر رمضان بألف دينار، فإنها كانت لا تصومه، لأنّها كانت أصابتها العلّة الكلبية، فكانت لا تصبر عن الطعام ساعة واحدة. ووجد على حائط بخطّها / ما صورته: [٤٨ب]

(١) الأغاني ١٨/ ٦٥- ٧٢.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) كذا في ب، وفي م: للثنايا. وفي الأغاني: بين الثنايا.
(٤) في م: درست، وفي هامش ب: يبست.

النيك على أربعة أقسام:

فالأول شهوة، والثاني لذّة، والثالث شفاء، والرابع داء، وحِرٌ إلى أيرين أحوج من أير إلى حِرَين. وكتبته دنانير جارية البرامكة بخطّها.

ثانيها: أقول: ومن عجيب ما رأيته في موافاة النساء، ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني[١]، أنّ هدبة بن خَشْرم لمّا أمر معاوية بقتله، أرسل إلى امرأته من الليل، وكان يحبّها، فقال لها: ائتني أستمتع بك وأودِّعك. فأتته في اللباس والطِّيب، فحادثها وبكت وبكى، ثم كان بينهما ما كان.

فلمّا أصبح، أُخرج من السجن، ومُضي به ليقتل، فالتفت فرأى امرأته فأنشد: [من الطويل]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ وَارْعَيْ لِمَنْ رَعَى[٢] وَلا تَجْزَعِـي مِمّـا أَصَـابَ فَأَوْجَعَـا
وَلاَ تَنْكِحِـي إِنْ فَـرَّقَ الـدَّهْرُ بَيْنَنَـا أَغَـمَّ القَفَـا وَالوَجْـهِ لَـيْسَ بِأَنزَعَـا[٣]

فأتت زوجته إلى جزّار، فأخذت شفرته، فجدعت أنفها بها، وجاءته تدمَى مجدوعة، وقالت له: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ قال: فرسف برِجله في القيود وقال: الآن طاب الموتُ، فلمّا أرادوا قتله، قال لأهله: بلغني أنّ القتيل يعقل ساعةً بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فأنا قابض رجلي وباسطها ثلاث مرات، ففعل ذلك حين قتل، وهذا من العجائب.

وحكَى أبو محمّد البطليوسي في شرح أبيات الجمل[٤]، أنّ هُدْبَة بن خَشْرَم هذا كان قد قتل زيادة بن زيد، فدفعت فيه أكابر قريش سبع ديات، فأبى عبد

(١) الأغاني ٢١/ ٢٦٦- ٢٦٧.
(٢) نفسه: يا أمّ بوزعا.
(٣) والأنزع: هو ما انحسر شَعره عن جبينه وقفاه، والمقطعة من ستة أبيات أوردها الأغاني كاملة.
(٤) راجع الرواية في الأغاني ٢١/ ٢٥٥.

الرحمن أخو زيادة أن يقبلها. وكان لزيادة المقتول ولدًا لم يبلغ الحلم، فقال معاوية: ابنُه أوْلَى بطلب دمه، فليسجن هُدْبَةُ حتى يبلغَ ابنه، فربّما رضي بالدية. فحبس هُدبة سبعَ سنين حتى بلغ المِسْوَر، فعُرض عليه الدية، فأبى إلاّ قتْل صاحبه، فقتل هُدبة./ [٤٩آ]

ثالثها: حُكي أنّ عُلَيَّة بنت المهدي كانت من أجمل النساء وأظرفهم، تقول الشِّعر الجيّد وتصُوغ الألحان الحسنة، وكانت لا تغنّي ولا تشرب إلاّ إذا كانت معتزلة للصلاة[١]، فإذا طهُرَت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن. وكانت تقول: ما حرَّم الله من شيء إلاّ وجعل فيما حلّل من عوض، فبأيّ شيء يحتجّ عاصيه[٢]؟

وكانت تهوى خادمًا من خدم الرشيد اسمه طَلّ، فحلف عليها الرشيد أن لا تكلّمه ولا تسمِّي باسمه، فامتثلت أمره في ذلك مدّةً. فاطّلع عليها الرشيد يومًا وهي تدرس آخر سورة البقرة فلمّا بلغت إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾[٣]، وأرادت أن تقول: ﴿فَطَلٌّ﴾، فقالت: والذي نهانا عن ذِكره أمير المؤمنين. فدخل الرشيد فقبّل رأسها، وعجب من حُسن وفائها وقال: قد وهبتُ لك طَلًا، ولا أمنعك بعدها من شيءٍ تريدينه.

رابعها: حكَى أبو الفرج الأصفهاني: كانت عَنان موَلَّدة مِن مولَّدات اليمامة، وبها نشأت وتأدّبت واشتراها النطّاف وربّاها. وكانت مليحة الشِّعر سريعة البديهة، تجاري فحول الشعراء، تعارضهم ويعارضونها فتنتصف منهم[٤].

فدخل عليها أبو نواس يومًا، فتحدّثا ساعة، ثم قال لها: قد قلت أبياتًا.

---

(١) كذا في ب، وفي الأغاني: الصلاة وهو الصواب. وانظر فوات الوفيات ٣/ ١٢٣.

(٢) راجع الرواية في الأغاني ١٠/ ١٦٢- ١٦٤، مع الاختلافات في النقول.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٦٥.

(٤) راجع أخبار عنان في الأغاني ٢٣/ ٨٥؛ والوافي بالوفيات للصفدي ٢٣/ ٣٦٥- ٣٧٤.

فقالت: هاتِ، فقال[١] [من مجزوء الرمل]

إنَّ لِـــــي أَيْـــــرًا خَبِيثًـــــا لَونُـــــهُ يَحْكِـــــي الكُميتـــــا[٢]
لَـــــوْ رَأَى في الجَـــــوِّ صَـــــيْدًا[٣] لَثَـــــوَى حَتَّـــــى يَمُوتَـــــا[٤]
أَوْ رَآهُ فَـــــوْقَ سَـــــطْحٍ[٥] حَـــــاكَ مِنْـــــهُ العَنْكَبُوتَـــــا[٦]
أَوْ رَآهُ جَـــــوْفَ بَحْـــــرٍ خِلتَـــــهُ في البَحْـــــرِ[٧] حُوتَـــــا

فما لبثت أن قالت: [من الرمل المجزوء]

زَوِّجُـــــوا هَـــــذَا بِـــــإِلفٍ وَأَظُـــــنُّ الإِلـــــفَ قُوتَـــــا
إِنَّنِـــــي أَخْشَـــــى عَلَيْـــــهِ إِنْ تَمـــــادَى أن يَمُوتَـــــا[٨]
بَـــــادِرُوا مَـــــا حَـــــلَّ بِالمِسْـــــ ـــــكِينِ خَوْفًـــــا أن يَفُوتَـــــا
قَبْـــــلَ أن يَنْـــــتَكِسَ الـــــدَّا ءُ وَلاَ يَـــــأْتِي فَيُـــــوتَى[٩]

خامسها: حُكي عن السلطان ملك شاه السلجوقي[١٠] أنه أُحضر إليه مغنّية [٤٩ب] فأعجبته، واستطاب/ غناءها فهمَّ بها. فقالت: يا سلطان، إنّي أغار على هذا الوجه المليح أن يعذَّبَ بالنار، وإنَّ الحلال أيسر، وبينه وبين الحرام كلمةٌ واحدة. فقال: صدقت. واستدعى القاضي وتزوّجها، فأقامت في صحبته حتى مات، رحمه الله.

(١) الأبيات في الديوان ١/ ٨٠؛ والأغاني ٢٣/ ٨٥؛ ومعاهد التنصيص ١/ ٩٣؛ والإمتاع والمؤانسة ٢/ ٦٠ مع فروقات واضحة في الروايات المتعددة.
(٢) الديوان: عارِمَ الرأس فلوتا.
(٣) الديوان: صدْعًا.
(٤) الديوان: لنزا.
(٥) الديوان: أو رأى في السقف دُبرًا. وفي هامش الأصل: فوق سقفٍ لتحوَّل عنكبوتا.
(٦) نفسه: لتحوّل عنكبوتا.
(٧) الديوان: صار للإنعاظ.
(٨) الديوان: داءَ سَوْءٍ أنْ يموتا.
(٩) الديوان: قبل أنْ ينقلب الداء فلا يأتي ويؤتى؛ وانظر رواية الأغاني لأبي الفرج ٢٣/ ٨٥.
(١٠) استنفدت أخباره معظم الجزء الثامن من الكامل في التاريخ لابن الأثير.

سادسها: حُكي أنّ الرشيد هارون حلف في وقت أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء، فلم يُفتِه أحد أنه من أهلها. فقيل له عن ابن السمّاك القاضي الكوفي، فاستحضره وسأله فقال له: هل قَدِرَ أمير المؤمنين على معصية ثم تركها خوفًا من الله؟ فقال: نعم، كان لبعض ألزامي جارية فهويتها وأنا إذ ذاكَ شابّ. ثم إنّي ظفرت بها مرّة وعزمت على ارتكاب الفاحشة منها، ثم إنّي ذكرت الله تعالى وفكّرت في النار وحرِّها[١]، وأنّ الزِّنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى.

فقال ابن السمّاك: أَبْشِر يا أمير المؤمنين، فإنّك مِن أهل الجنّة. فقال له هارون الرشيد: ومِن أين لك هذا؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[٢]. فسُرّ هارون بذلك.

سابعها: كانت متيَّم الهاشمية[٣] مِن أحسن الناس وجهًا وغناءً وأدبًا، وكانت من مولَّدات البصرة، اشتراها عليّ بن هاشم[٤]، وحظيت عنده[٥]. واتّفق أنّها غضبت عليه في وقت، وتمادت في الغضب، فترضّاها فلم ترضَ. فكتب إليها: الدلال[٦] يدعو إلى الملال، ورُبَّ هَجْرٍ دعا إلى صبر، وإنّما سمّي القلب قلبًا لتقلُّبه. ولقد صدق عندي العباس بن الأحنف حيث قال[٧]: [من الخفيف]

(١) في آ: هولها.
(٢) سورة النازعات ٧٩/ ٤٠.
(٣) كذا في ب، والصواب: الهشامية نسبة إلى عليّ بن هشام الذي اشتراها ودرّبها وحظيت عنده.
(٤) كذا في ب، والصواب عليّ بن هشام كما وردت في سائر المصادر.
(٥) ترجمتها وأخبارها في الأغاني ٧/ ٢٩٣ – ٣٠٨؛ والوافي بالوفيات للصفدي ٢٥/ ١٢٢ رقم ٨.
(٦) في آ: الإدلال.
(٧) ورد البيتان في الأغاني كما يلي:

مَا أَرَانِي إلاّ سَأَهْجُرُ مَن لَيْسَ يَرَانِي أَقْوَى عَلَى الْهُجْرَانِ
قَدْ حَدَا بِي إِلَى الْجَفَاءِ وفائي مَا أضرّ الْوَفَاءُ بِالإنْسَانِ

وفي آ ورد صدر البيت الثاني: ملّني واثقًا بحسن إخاءٍ

مَـا أَرَانِـي الأَسَـى لِمَـن لا يَرَانِـي لَـيْسَ أَقْـوَى مِنْـهُ عَلَـى الهِجْـرَانِ
[٥٠آ] مَلَّنِـي وَاتَّقَـى بِحُسْـنِ إِخَـاءٍ[١] مَـا أَظُـنُّ[٢] الوَفَـاءَ بِالإِنسَـانِ /

فلمّا قرأت الرقعة خرجت إليه من وقتها ورضيت[٣].

وكتب الوزير عامر[٤] إلى هند المغربية يستدعيها إلى مجلس أُنْس بعد قطيعة كانت منها، قوله: [من الكامل]

يَـا هِنْـدُ هَـل لَـكِ فِي زِيـارَةِ فتيَـةٍ نَبَذُوا المَحَارِمَ غَيْرَ شُرْبِ السَّلسَلِ؟
سَـمِعُوا البَلابِـلَ إِذْ شَـدَتْ فَتَفَكَّـرُوا نَغَمَـاتِ عُـودِكِ فِي الثَّقِيـلِ الأَوَّلِ

فكتبت إليه الجواب: [من الكامل]

يَـا سَـيِّدًا حَـازَ العُـلا عَـنْ سَـادَةٍ شُـمِّ الأُنُـوفِ مِـن الطِّـرَازِ الأَوَّلِ
حَسْـبِي مِـنَ الإِسْـرَاعِ نَحْـوَكَ أَنَّنِـي كُنْتُ الجَوابَ مَعَ الرَّسُولِ المُقْبِلِ[٥]

النتيجة التي مدار هذا الكتاب عليها، وعينُ عنوانه ناظرةٌ إليها: في بسط الكلام على ما تقدّم ذِكره في المقدّمة من هذا العدد، وتفصيل مجمله، وإيضاح مشكله. وتشتمل أيضًا على سبعة أبواب:

---

(١) في ديوان العباس بن الأحنف ونهاية الأرب: مَلَّنِي وَاثِقًا بِحُسْنِ وَفَائِي.
(٢) كذا في ب، والصواب ما ورد في رواية أبي الفرج.
(٣) انظر الأغاني لأبي الفرج ٧/ ٢٩٩.
(٤) كذا في ب، وهو الوزير أبو عامر ابن يَنَّق، وهند هي جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي. انظر الرواية في نفح الطيب للمقري ٤/ ٢٩٣- ٢٩٤.
(٥) في ب: الأول، وهو تكرار ناتج عن سهو الناسخ، وصححت في الهامش إلى: المقبل.

الجزء الثاني

الباب الأول
في ذِكر قصة يوسف الصدّيق عليه السلام وبسط الكلام على ما وقع فيها من هذا العدد

أقول، وبالله التوفيق: نظرتُ في سبعة تفاسير قبل الكلام على هذه القصة التي هي قصة يوسف عليه السلام، فوجدتها كما أخبر الله تعالى أحسن القصص.

قال بعض المفسّرين: إنّما كانت أحسن القصص لاشتمالها على ذِكر المحبّ والمحبوب وسيرتهما. وقيل: لأنّ فيها ذِكر الأنبياء والصالحين وسِيَر الملوك والممالك[1] والعلماء والملائكة والشياطين والتجّار والرجال والنساء، وذِكر مكرِهنّ وحيَلهنّ، وفيها ذِكر التوحيد والفقه، والسِّيَر وتعبير الرُّؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعايش، وجُمَل الفوائد التي تصلح للدنيا والآخرة، وغير ذلك.

فمن أوّل قصة يوسف/ عليه السلام ما رواه وهْب[2] رضي الله عنه، أنّ يوسف عليه السلام، رأى [٥٠ب] وهو ابن سبع سنين أنّ أحد عشر غصنًا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة[3]، وإذا عصا[4] يوسف وثبت عليها حتى ابتلعتها[5] وغلبتها. فوصف ذلك لأبيه، فقال: إيّاك أن تذكر هذا لإخوتك. ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة أنّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له. فقصَّها على أبيه، فقال: ﴿لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ

---

(١) في آ: والسلاطين.

(٢) هو وَهْب بن منبّه الصنعاني، العالِم الحَبر الصادق، قرأ كتب الأوّلين وعرف قصص الأنبياء، وقد وصفه النبيّ بالحكمة، راجع ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/ ٢٢ رقم ١٩.

(٣) انظر قصص الأنبياء للثعلبي ٨٤.

(٤) في آ: وإذا بغصن وثب عليها.

(٥) في آ: اقتلعها وغلبها.

عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾[١] أيْ يحتالون على هلاكك، لأنّهم لا يعلمون تأويلها فيحسدونك.

وكان يعقوب عليه السلام يُؤْثِر يوسفَ بزيادة المحبة والشفقة على إخوته لِما يرى فيه من الخصايل والمخايل[٢]. وكانت أخوته يحسدونه على ذلك، فلمّا بلغتهم الرؤيا، تزايَد حسدهم له، حتى قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾[٣] أي جماعة.

وكانوا أحد عشر، سبعة من ليا بنت ليان خال يعقوب، وأربعة من سُرِّيتين: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾[٤] تائبين إلى الله تعالى ممّا جنيتم عليه.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾[٥]، قيل: هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ ﴾، قيل: أُوحِيَ إليه في الصِّغَر كَما أُوْحِيَ إلى يحيى.

وعن الحسن البصري: كان له سبع عشرة سنة: ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[٦]، أنك يوسف، لعلوّ شأنك وكبرياء سلطانك، وبُعد حالك عن أفهامهم[٧] لطُول المدة المبدِّلة للهيئات وللأشكال. وذلك معنى قوله/ تعالى: [١٥١آ] ﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[٨]. وكان مِن دعائه حين ألقَوْه في الجُبّ

(١) سورة يوسف ١٢/ ٥.
(٢) في آ: من النجابة.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٨.
(٤) سورة يوسف ١٢/ ٩.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ١٥.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ١٥.
(٧) في آ: أذهانهم.
(٨) سورة يوسف ١٢/ ٥٨.

ممّا لقّنه جبريل عليه السلام حين هبط إليه وأقعده على الصخرة سالمًا لم يضرّه شيء، على ما حكاه الثعلبي:

«اللهمّ يا مؤنسَ كلّ غريب، يا صاحب كلّ وحيد، يا ملجأ كلِّ خائف، يا كاشفَ كلِّ كربة، يا عالِم كلِّ نجوى، يا منتهَى كلِّ شكوَى، يا حاضر كلِّ ملأ، يا حيُّ يا قيُّوم، أسألك أن تقذف رجاءك[١] في قلبي، حتى لا يكون لي شُغُلٌ غيرُك، وأن تجعلَ لي من أمري فَرجًا ومخرجًا، إنك على كلّ شيء قدير».

فلمّا رجعوا إلى أبيهم بعد إلقاء يوسف في الجُبّ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾[٢] أي نترامَى، ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا ﴾ أي عند ثيابنا، ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي بمصدِّق لنا، لسوء ظنّك بنا، وقلّة محبّتك لنا، وشدّة محبّتك ليوسف، ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾، ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٣] لأنه كان دم شاةٍ، فألقاه على وجهه وبكى حتى خَضَبَ وجهه بدم القميص، وقال: تالله ما رأيتُ كاليوم ذئبًا أحلَم[٤] من هذا، أكل ولَدي ولم يمزّق عليه قميصَه. وعلم بهذا السبب أنّ الذئب لم يأكله[٥]. فأعرض عنهم وقال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[٦].

فلمّا وصل يوسف إلى مصر مع السَّيَّارة الذين التقطوه من الجُبّ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾[٧] [أي] وباعوه. قال الذي اشتراه من مصر

(١) في آ: رحماك.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ١٧.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ١٨.
(٤) في آ: أحكم.
(٥) راجع قصص الأنبياء للثعلبي ٨٧- ٨٨.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ١٨.
(٧) سورة يوسف ١٢/ ٢٠؛ والإضافة يقتضيها السياق.

لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ - إذا تدرَّب وراضَ الأمور فينفعنا - أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[1] أي نتبنّاه، لأنه - أعني قطفير عزيز مصر الذي اشترى يوسف، كان عقيمًا لا يولد له. فتفرّس في يوسف الرُّشد، فما أخطأت فراسته. ولهذا قيل: أصدق الناس فراسة ثلاثة: عزيز مصر حين قال عن يوسف عليه السلام: عسى أن ينفعنا، وبنت شعيب حين قالت عن موسى عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[2] وأبو بكر الصدّيق حين استخلف عمر رضي الله عنه. [٥١ب]

وفي القصة: عن وهْب بن منبّه، لمّا قدمت السيّارة بيوسف مصر، فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع، فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزْنَه ذهبًا ووزنه فضة، ووزنه مِسْكًا ووزنه حَريرًا. وكان وزنه أربع مائة رطل، فابتاعه قِطْفِير بهذا الثمن. وكان قِطْفِير عزيز مصر، وكان على خزائنها، والملك يومئذ بمصر الريّان ابن الوليد بن ثوران من العمالقة.

قال وَهْب: وأقام يوسف في دار العزيز سبعَ سنين حتى بلغَ. ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ليواقعها، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾. وكانت سبعة أبواب. وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾. في «هَيْتَ» سبعة أقوال للمفسِّرين، ومعناها على قول بعضهم: تعالَ. قال الكشاف: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز. قال أبو عبيدة: سألتُ شيخًا عالِمًا من أرض حوران، قال أنها لغتهم. وقيل: معناها بالقبطية هَلُمَّ[3]. فقال يوسف: معاذ الله، أي أستجير بالله ممّا تدعونني إليه، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾، أي أنّ زوجَكِ قِطْفِير سيّدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ أي منزلي، فلا أخونه في أهله.

(١) سورة يوسف ١٢/ ٢١.
(٢) سورة القصص ٢٨/ ٢٦.
(٣) لسان العرب، مادة (هيت).

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[١].

قال أهل الحقائق: الهَمّ هَمّان، هَمٌّ مقيم ثابت، وهو إذا كان معه عزم ونيّة وعقْد مثل: هَمّ امرأة العزيز، والعبد مؤاخذ به.

وهَمٌّ عارض وارد لا ثبوت له وهو الخطرة، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل همّ يوسف، والعبد غير مؤاخَذ به، ما لم يتكلّم به أو يقوله[٢].

قال ابن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخَذُ العبدُ بالهمّة؟ قال: إذا كانت عَزْمًا أُوخِذَ[٣] بها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ / قال: يقول الله تعالى: «إِذَا هَمَّ [١٥٢أ] عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَة، فَإن عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مائة ضِعْف. وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلهَا، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْه، فإن عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَة، وَإن تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَة»[٤]. فحين استبقا الباب وتعلّقت بقميصه من خلفه فخرقته.

وواجهها زوجها قِطْفِير عِنْدَ الباب، ففزعت منه وقالت: ﴿ جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾؟ يعني الزنا. ثم خافت على يوسف أن يُقتل، فقالت: ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥]، أي ضرب بالسياط. فلمّا سمع يوسف مقالتها ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ ففررت منها فأدركتني فشقّت قميصي. فجعل العزيز ينظر مرّةً إلى يوسف ومرّةً إليها متحيِّرًا متعجِّبًا منهما.

وكان في البيت صبيّ في المهد تحت السرير عمره سبعة أيام، فنادى بأعلى صوته بلسان بيِّن:

(١) سورة يوسف ١٢/ ٢٤. وراجع رواية لسان العرب (هَمَّ).
(٢) في م و آ: يفعله.
(٣) في ب و آ: أُخِذ بها.
(٤) انظر كنز العمال رقم ١٠٢٤١.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٢٥.

أيُّها العزيز، إنّ لك عندي ممّا أنت فيه فرجًا. وقال: كما أخبر الله عز وجلّ عنه: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[١].

فلمّا رأى قِطْفِيرُ قميصَه قُدَّ مِن دُبُرٍ تبيَّن له خيانتُها وبراءةُ يوسف. فقال: إنه، أي، إنّ هذا الصنيع، من كيدكنّ يا معشر النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢]. ثم التفت إلى يوسف وقال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[٣]، أي لا تذكره لأحد، وقيل: لا تكترث به. فقد بانَ عُذْرك. ثم قال لامرأته: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾.

قال الزمخشري[٤]: ما كان العزيزُ إلّا رجلًا حليمًا. وقيل: إنه كان قليل الغَيْرَة. وقال الشيخ أثير الدين أبو حيّان[٥] في تفسيره لهذه الآية الكريمة: وتُربة إقليم مصر اقتضت هذا، يعني قِلّة الغَيْرَة. ثم قال: وأين هذا ممّا جرى لبعض ملوك بلادنا، وهو أنه كان مع بعض ندمائه المختصّين به في مجلس أُنْسٍ، وجارية تغنّي/ من وراء الستر، فاستعاد بعضُ الحاضرين بيْتين من الجارية، وكانت قد [٥٢ب] غنّت بهما، فما لبث أن جيء برأس الجارية مقطوعًا في طَشْت. وقال له الملك: استعد البيتين من هذا الرأس. فسقط حَيْلُ ذلك الرجل المستعيد، ومرض مدّة حياة ذلك الملك. أقول: وأين غَيرة هذا الملك على جاريته من غَيرة عبدالمحسن

(١) سورة يوسف ١٢/ ٢٦- ٢٧.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٢٨.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٢٩.
(٤) محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٥/ ٢٤٧- ٢٥٦ رقم ١٦٦.
(٥) محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الغرناطي، ترجمته في الوافي للصفدي ٥/ ٢٦٧- ٢٨٣ رقم ٢٣٤٥.

الصوري على محبوبه[١] حيث قال: [من الطويل]

تَعَلَّقْتُـهُ سَـكْرَانَ مِـنْ خَمْـرَةِ الصِّـبَا ... بَـهِ غَفْلَـةٌ عَـنْ لَـوْعَتِي وَنَحِيبِـي[٢]
وَشَـارَكَنِي فِي حُبِّـه كُـلُّ مَاجِـدٍ[٣] ... يُشَـارِكُنِي فِي مُهْجَتِـي بِنَصِـيبِ
فَـلا تُلزِمُـونِي غَيْـرَةً مَـا أَلِفْتُهَـا[٤] ... فَـإِنَّ حَبِيبِـي مَـنْ أَحَـبَّ حَبِيبِـي

وقد ذكرت في الغَيْرة أشياء مليحة في كتابي «ديوان الصبابة».

فلمّا اشتهرت قضية[٥] امرأة العزيز مع يوسف، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾، وهو لا يرضَى بها ولا يميل إليها ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٦] أي في هلاك وخُسْران بيّن.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ- أي بقولهنّ -أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[٧] أي هيَّأتْ لهنّ مجالس يتّكِئنَ عليها، في كلّ مجلس جام زجاج فيه عسَل، وأُترجّ وسِكّين. وقالت: بحقّي عليكنّ إلّا ما أطعمتُنّ[٨] فتاي العبراني يوسف إذا مرَّ بكنَّ الساعة. فقلن: سمعًا وطاعة. ثم إنّها زيّنت يوسف بأوفى زينة من الجواهر واليواقيت واللباس الفاخر والطِّيب، وقالت: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أي رأينه في أعينهنّ كبيرًا. وقيل: حِضْنَ من الدَهَش، [قال ابن عباس: أَمنَينَ وأَمذَين من الدهَش][٩]، وقَطَّعْنَ أيديَهُنَّ لاشتغال قلوبهنّ بحسنه. [يحسبنَ أنهن يقطعن

(١) في الديوان: أبي زكري المتطبّب، وفي مكان آخر: ابن أبي زكريا المتطبّب؛ وفي آ: محبوبته.
(٢) ديوان عبد المحسن الصوري ١/ ٧١ رقم ١٨: ولهيبي.
(٣) نفسه: كلّ أهيفٍ يشاركه...
(٤) نفسه: ما عرفتها.
(٥) في آ: قصة.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ٣٠.
(٧) سورة يوسف ١٢/ ٣١.
(٨) في آ: نظرتن.
(٩) ما بين الحاصرتين زيادة من آ.

الأُتْرُجّ ولم يجدنَ ألمًا لحزّ أيديهنّ].

قال وهْب: كنّ أربعين امرأةً، فمات منهنّ تسعٌ وَجْدًا بيوسف وكمدًا عليه، [١٥٣آ] ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[١] نزل علينا من السماء فمرّ علينا.

قال عكرمة: كان فضل يوسف على الناس في الحُسْن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم.

قال كعب الأحبار[٢]: كان يوسفُ حَسَن الوجه، جَعْد الشَّعر، ضخم العنق، مستوي الخَلق أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السرّة، إذا تبسّم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلّم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه. وكان حُسْنه[٣] كضوء النهار عند الليل. وكان يشبه آدم حين خلقه الله تعالى وصوّره ونفخ فيه من روحه. وقيل إنه ورث ذلك الحُسْن من جدّته سارة، وكانت قد أعطيت شطر الحُسْن. فلمّا رأت امرأة العزيز حال النسوة وما تمّ عليهنّ من حُسْن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[٤] أي في حبّه. ثم صرَّحت بما فعلت من شدّة كلفها به فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[٥] أي امتنع، وإنّما صرّحت به لأنّها علمت أنه لا ملامةَ عليها منهنّ، وقد أصابهنّ ما أصابهنّ من رؤيته. فقلن له: أَطِعْ مولاتك، وأخذن في لومه وتعنيفه على عدم إجابتها إلى سؤالها. فقالت امرأة العزيز:

(١) سورة يوسف ١٢/ ٣١.

(٢) هو أبو إسحاق ابن ماتع الحميري اليماني الكتابي، أسلم في خلافة أبي بكر، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤/ ٣٤٥ رقم ٣٨٠.

(٣) في آ: جبينه.

(٤) سورة يوسف ١٢/ ٣٢.

(٥) سورة يوسف ١٢/ ٣٢.

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[١]. فاختار يوسف السجنَ على المعصية، فقال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾[٢].

قيل: ولو لم يقل: السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه لم يُبْتَلَ بالسّجن، والأَوْلَى بالعبد أن يسألَ الله تعالى العافية. ذكره البغوي، ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ ﴾، أي الدالّة على براءة يوسف / من قدّ القميص وكلام الطفل ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٣]. [٥٣ب]

قال عكرمة: سبع سنين.

وفي القصة، أنّها لمّا أيِست منه، دخلت على الريّان الملك بمصر، وكانت ابنة عمّه، فتزحزح لها، فقالت له: يا سيدي، إنّ لي عبدًا عبرانيًّا وإنه عصاني، وددت لو أذنت لي في سجنه لعلّه يزيل المعصية عنه. فأذن لها في حبسه. فحينئذٍ دعت الحدّادين وأمرتهم أن يصنعوا لها قيدًا فقيّدته، وحملته على حمارٍ وطِيف به، ونُودي عليه: هذا جزاء من يعصي سيّدته الملكة، وهو يقول: هذا أيْسَرُ وأهون من سرابيلَ من قطران وشرب الحميم وأكل الزقّوم.

وكان قصدها بسجنه استعطافه لعلّه يوافقها. فلمّا طالت عليه المدّة، أرادت إخراجه، فجاء زوجها العزيز وسجد بين يدي الملك وقال: بعزّتك، لا تخرجه أبدًا. فندمت على سجنه. وكانت ترقى على أعلى القصر وتبكي من العشاء حتى يصبح الصباح وتقول: ليت شِعري يا يوسف أنتَ نائم أم يقظان، ليت شِعري كيف حالك، فكمدت عليه أربع سنين.

---

(١) سورة يوسف ١٢/ ٣٢.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٣٣؛ وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ٩٣.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٣٤- ٣٥.

وكان قد دخل مع يوسف في السجن فتيان، أي غلامان للرّيّان بن الوليد ملك مصر. أحدهما ساقيه، والآخر خبّازه. وكان الملك قد غضب عليهما. وسبب ذلك أنّ جماعة من بطانته أرادوا قتله واغتياله، فضمنوا للساقي والخبّاز مالًا جسيمًا، على أن يسمّا للملك في طعامه وشرابه، فأجاباهم[١] إلى ذلك. فعلم الملك بالقصة، فحين حضر الطعام والشراب، أمر الملك الساقي أن يشربَ من الشراب، فشرب فلم يضرّه شيء، لأنه لم يكن وضع فيه شيئًا بعد. ثم أمر الخبّاز أن يأكل من الطعام فامتنع، فجرّب ذلك الطعام في دابّة فهلكت. فحبسهما جميعًا، ثم قتل الخبّاز، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

[١٥٤آ] أقول: وأين فعلُ هذا الملك / من قتْله الخبّاز، وتجريبه الطعام المسموم في الدابّة حتى هلكت، من فعل الصاحب بن عبّاد[٢] رحمه الله؟ وهو أنه جلس يومًا في مجلس أُنْسه، فناوله الساقي كأسًا، فلمّا أراد شُربها، قال له بعض خدّامه: يا سيّدي، إنّ هذا الذي في يدك مسموم. فقال له: وما الدليل على صحّة قولك؟ فقال: التجربة في الساقي. فقال: ويلك، لا أستحلّ أفعل ذلك. قال: ففي دجاجة. قال: إنّ التمثيل بالحيوان لا يجوز. ثم أمر بصبّ ماء القدح، وقال للساقي: لا تدخل داري بعدها[٣]. ولم يقطع عنه معلومه حتى مات[٤].

وكان يوسف عليه السلام لمّا دخل السجن قد قال لأهله: إني أعبر الأحلام. فقال له الساقي: أيّها العالِم، إنّي رأيت كأني في بستان، فإذا أنا بأصل جبلة[٥] عليها ثلاثة

(١) في آ: فأجابوهم.
(٢) الوزير أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد الطالقاني الملقّب بكافي الكفاة، ترجمته في الوافي للصفدي ٩/ ١٢٥ رقم ٢٠٤٢.
(٣) في آ: بعد هذا اليوم.
(٤) انظر معجم الأدباء لياقوت ٢/ ٢٨١؛ ووفيات الأعيان ١/ ٢٢٨ رقم ٩٦.
(٥) في الهامش بخط مغاير: أي كرمة؛ وفي آ: حبلة.

عناقيد من عنب، فجنيتها. وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه، وسقيت الملك منه شربةً فشربه.

وقال الخبّاز: رأيت كأنّ على رأسي ثلاث سلال من الخبز وألوان الأطعمة، وإذا سباع الطير يأكلن منه. فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾[1] أي عنبًا بلغة عُمان. يدلّ على ذلك قراءة ابن مسعود: «أعصر عنبًا» أو سمّاه خمرًا، باعتبار ما يؤول إليه.

وقال الآخر: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾[2]: أي أخبرنا بما يؤول إليه الأمر. إنّا نراك من المحسنين العالمين الذين أحسنوا العِلم.

فقال يوسف: يا صاحبَي السجن، أمّا أحدكما وهو الساقي الذي رأى أنه يسقي، فإنه يسقي ربّه خمرًا كما رأى، والعناقيد الثلاثة التي رآها، يبقى في السجن ثلاثة أيّام، ثم يخرجه الملك، فيعود على ما كان عليه. وأمّا الآخر/ وهو الخبّاز، [٥٤ب] فإنه يُصلب، والسلال التي رآها، ثلاثة أيام يمكث في السجن، ثم يخرجه الملك في اليوم الرابع فيصلبه، فتأكل الطير من رأسه.

قال ابن مسعود: فلمّا سمعا قول يوسف قالا: ما رأينا شيئًا، وإنّما كنّا نلعب. فقال يوسف: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[3] أي فرغ من الأمر الذي سألتما عنه، ووجب الحكم بالذي أخبرتكما به، رأيتما أو لم ترَيا.

وعن أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «الرُّؤيا لأوّل عابر عبارة». وعنه ﷺ أيضًا: «لا تَقُصَّها إلّا عَلَى حَبِيبٍ أَوْ لَبِيبٍ»[4]. وعن ابن عباس رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ

(١) سورة يوسف ١٢/ ٣٦.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٣٦.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٤١.
(٤) أخرجه صاحب كنز العمال برقم ٤١٣٩٤.

قال: «مَن شَهِدَ عَلَى عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا فِي النَّوْمِ كُلِّفَ أن يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْن عَلَى جَهَنَّم، وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ. وَمَنْ سَمِعَ لِحَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونْ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ المُذَابُ[١] يَوْمَ القِيَامَة».

فوقع بعد مضي ثلاثة أيام ما ذكره يوسف عليه السلام من صَلْبِ الخَبَّاز وخَلاص السّاقي الذي قال له: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، أي عند سيّدك الملك، وقيل له إنّ في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾، أي نسي الساقي أن يذكر يوسف عند الملك، ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٢]، أي سبع سنين، على قول الأكثرين.

قال وَهْب: أصاب أيّوبَ البلاءُ سبع سنين، ولبث يوسف في السجن سبع سنين، وعُذِّب بختنصَّر بالمسخ سبع سنين. وعن الحسن أنّ رسول الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ، لَولاَ كَلِمَتُهُ الَّتِي ألقَاهَا مَا لَبِثَ فِي السّجْن طُولَ مَا لَبِث». يعني قوله: «اذكرني عند ربّك». فقال له الله: يا يوسف، اتّخذت من دوني وكيلًا؟/ [٥٥آ] ثم بكَى الحسن وقال: نخشَى إذا نزل بنا أمرٌ تضرّعنا إلى النّاس[٣].

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: واعلم أنّ الاستعانة بالناس جائزة في الشريعة، إلّا أنّ حسنات الأبرار سيِّئات المقرّبين. فهذا وإن كان جائزًا لعامّة الخَلق، إلّا أنّ الأوْلَى بالصدّيقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلّية، ولا يشتغلوا إلاّ بمسبّب الأسباب. والذي جربته من أول عمري إلى آخره، أنّ الإنسان كلّما عوَّل على أمرٍ من الأُمور على غير الله تعالى، صار ذلك سبيلًا إلى البلاء والمحنة والشدَّة والرزيّة، وإذا عوّل العبد على الله تعالى، ولم يرجع إلى أحد من

(١) هو الرصاص الأسود، وقيل الأبيض، وقيل: الخالص. راجع لسان العرب (أنك).
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٤٢.
(٣) قصص الأنبياء للثعلبي ٩٥.

الخَلق، حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه. فهذه التجربة قد استمرّت بي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابعة والخمسين. فعند هذا استقرّ في قلبي أنه لا مصلحة لأحدٍ في التعويل على شيء سوى الله تعالى.

واعلم أنّ الله تعالى إذا أراد شيئًا هيّأ أسبابه، بدليل أنه لمّا دنا فرج يوسف عليه السلام، رأى ملك مصر في النوم سبع بقرات سِمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عِجاف، فابتلعت العجافُ السِّمانَ. ورأى سبع سنبلات خضرٍ قد انعقد حَبُّها، وسبعًا أُخَر يابساتٍ، فالتَوَت اليابساتُ على الخُضر حتى غلبن عليهن. فجمع الكهنة، وذكرها لهم. وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ﴾[1]. قال القوم: هذا أضغاثُ أحلامٍ، وهذه الرُّؤيا مختلطة فلا نقدر على تأويلها وتعبيرها. فكان ذلك سببًا لخلاص يوسف عليه السلام. لأنّ الملك لمّا شاهد الناقص الضعيف استولى على الكامل القويّ، شهدت فطرته/ بأنّ هذا ليس [٥٥ب] تخيُّلًا، وأنه مقدَّر بنوع من أنواع الشرّ. إلّا أنّه ما علم كيفية الحال فيه، والشيء إذا كان معلومًا من وجه، وبقي مجهولًا من وجه آخر، عظُم تَوقُ النفس إليه لتكمل تلك المعرفة، وقويت الرغبة في إتمام الناقص، لا سيّما إذا كان الإنسان عظيمَ الشأن واسع المملكة.

وكان ذلك الشيء دالًّا على الشرّ من بعض الوجوه. فبهذا الطريق قوي عزم الملك في تحصيل العلم بتعبير هذه الرؤيا، وأنّ الله تعالى أعجز المفسّرين الذين حضروا عنده عن الجواب، وعمّاه عليهم ليكون سببًا في خلاص يوسف عليه السلام من تلك المحنة. فقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾[2].

(١) سورة يوسف ١٢/ ٤٣.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٤٤.

قال الشرابي: إنّ في السّجن رجلًا صالحًا فاضلًا كثير العلم، كثير الطاعة، قصصت أنا والخبّاز عليه منامين، فذكر تأويلهما فصدق في الكلّ، وما أخطأ في حرف، فإن أذنتَ مضيتُ إليه وجئتك بالخبر. فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1] أي تذكّر بعد حين: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ - أصحاب الملك وأهل مصر - ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ - فضلك وعلمك - ﴿[2].

فقال يوسف: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ - أي ازرعوا - ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ - أي متتابعًا كعادتكم في الزراعة - ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ - لئلاّ يفسُدَ، فهذه السبع بقرات السِّمان - ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ - فادرسوه - ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ - أي قحط، جدبة - ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ - أي يؤكل فيهنّ ما أعددتم لهن من الطعام في السنين السبع الخصبة - ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ - أي تدّخرون للحرث - ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
[١٥٦آ] عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ - أي يُمطرون من الغَيْث - ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ - / من العنب خمرًا، ومن الزيتون زيتًا، ومن السمسم دهنًا في قول الأكثرين ﴾[3].

فلمّا رجع الساقي وأخبر الملك بما أفتاه يوسف قال: ائتوني بهذا الرجل الذي فسّر هذه الرُّؤيا. فقالوا: إنه في السجن منذ سبع سنين. فقال: ائتوني به على كلّ حال. فلمّا جاء الرسول إلى يوسف وقال له: أجِب الملك. فأبَى أن يخرجَ معه، وثبتَ في الإجابة لتظهر براءةُ ساحته ممّا حُبس لأجله، وقال للرسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ - أي إلى سيّدك الملك - ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

(١) سورة يوسف ١٢/ ٤٥.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٤٥- ٤٦.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٤٧- ٤٩.

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ﴾[1].

فرجع إليه وأخبره بما قال يوسف. فأمر الملك بإحضار النسوة اللاتي قطّعن أيديَهنّ، وسألهنّ عن القصّة. فعند ذلك قالت امرأة العزيز: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ - أي ظهر وتبيّن - أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2] في قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾[3]. فعند ذلك ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[4] أي أجعله خالصًا.

فلمّا خرج يوسف من السجن، دعا لأهله بدعوةٍ تُعرَف بركتُها إلى يومنا هذا الذي هو سنة سبع وخمسين وسبع مائة، فقال:

اللهمّ اعطِف عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار، فهم أعلمُ الناس بالأخبار في كلّ بلد. وكتب على باب السجن: هذا قبر الأحياء، ومنزل البلاء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء.

ثم اغتسل وتنظَّفَ من دَرَن السِّجْن، ولبس ثيابًا جُدُدًا حِسانًا، وحُمل على عجلة الملك، وهي عجلة تجرّها الفِيَلة. فلمّا وصل إلى باب الملك قال: حسبي ربّي من دنياي، وحسبي ربّي من خَلقه، عزّ جاره وجلَّ ثناؤه، ولا إله غيره.

فلمّا دخل على الملك قال: اللهم إنّي أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شرّه وشرّ غيره. ثم سلّم على الملك بالعربية./ فقال له الملك: ما هذا [٥٦ب] اللسان؟ فقال: لسان عمّي إسماعيل. ثم دعا له بالعبرانية. فقال له [الملك][5]: ما

(١) سورة يوسف ١٢/ ٥٠- ٥١.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٥١.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٢٦.
(٤) سورة يوسف ١٢/ ٥٤.
(٥) الزيادة من آ.

هذا اللسان؟ فقال: لسان آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب.

قال وهْب[١]: وكان الملك يعرف سبعين لسانًا، فكلّما كلّم يوسف بلسانٍ أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك أمره.

وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأجلسه الملك على سريره وقال له: أحبّ أن أسمعَ تأويل رؤياي من لفظك. فأعاد عليه ما تقدّم ذكره، وقال: أرى أن ترفع الزرعَ بقصبه وسنبله، وتبني له المخازن العظام، فيكون القصب والسنبل علفًا للدوابّ، وحَبّه للناس. وتأمر الناس في السنين الخصبة يرفعون إلى أهرائك الخُمْس من طعامهم، فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومَن حولها. ويأتيك الخَلق من النواحي يمتارون منك، فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع عند أحد قبلك.

فقال الملك: ومن لي بتدبير هذه الأمور؟ ولو جمعت أهل مصر جميعًا ما أطاقوا، ولم يكونوا فيه أمناء. فقال يوسف عند ذلك: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[٢]، أي حفيظ بما يصل إليّ من الطعام، عليم بجباية المال.

فوصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طِلبَةُ الملوك ممّن يولّونه. وإنما قال ذلك ليتوصّل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحقّ وبسط العدل، والتمكّن ممّا لأجله تُبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك[٣].

فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى، لا لحبّ المُلك والدنيا. فولّاه الملك ذلك

(١) هو وهْب بن منبّه الصنعاني، العالِم الحَبر، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/ ٢٢ رقم ١٩.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٥٥.
(٣) قصص الأنبياء للثعلبي ٩٧.

وقال: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[١] أي ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

ثم إنّ الملك توَّجَه وألبَسَه خاتَمه، وقلَّده/ بسيفه، ووضع له سريرًا من ذهب [١٥٧آ] مكلّلًا بالدرّ والجوهر والياقوت. وروي أنه قال: أمّا السرير فأشيّد به ملكَكَ، وأمّا الخاتَم فأدبّر به أمرك، وأمّا التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي. فقال: قد وضعته عليك إجلالًا لك وإقرارًا بفضلك. فجلس على السرير، وفوّض إليه الأمرَ جميعَه. وكان طول السرير ثلاثون[٢] ذراعًا، وعرضه عشرة أذرع، وعليه ثلاثون فِراشًا، وستون نمرقة[٣].

وكان الملك قد عزل قِطْفير، فهلك بعد عزله بأيام، فزوَّج يوسفَ امرأتَه. فلما دخل عليها قال: أليس هذا خير مما كنتِ تريدين؟ فقالت: أيها الصدِّيق، إن زوجي كان عِنِّينًا لا يأتي النساء، وكنت أنت من الجمال والحُسْن بما لا يوصف، تعتذر إليه بذلك عن شِدّة كلَفها به وحبها له، فوجدها عذراء، فولدت له ولدين. وروي أنه أحبها أضعاف ما كانت تحبه في أول مرة. فقال لها: ما شأنك ما تحبيني كما كنت أول مرة؟ فقالت له: لما ذقت محبةَ الله شغلتني عن كل شيء. وكانت قد أسلمت على يده هي [والملك][٤] وخلق كثير.

فعدل يوسف عليه السلام في الأحكام، وأحبّه الخاص والعام.

وكان يركب في كل سبعة أيام في مائة ألفٍ من عظماء قوم فرعون. فدانت له الملوك، وخضعت له الرقاب. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٥] أي أرض مصر.

(١) سورة يوسف ١٢/ ٥٤.
(٢) كذا في ب، وصوابه: ثلاثين.
(٣) في آ: مِقْرَمة، وهي ستر فيه رُقُم ونقوش.
(٤) ما بين الحاصرتين من آ.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٥٦.

قال البحتري[١]: [من الطويل]

أمـا في رسـول[٢] الله يوسـفَ أسـوةٌ لمثلك محبوسًا على الظلم والإفكِ
أقام جميلَ الصبر في الحبس[٣] برهةً فآل به الصبرُ الجميلُ إلى المُلكِ

وكتب بعضهم إلى صديقٍ له: [من الطويل]

وراءَ مضيقِ الخوفِ متَّسعُ الأمنِ وأولُ مفروحٍ به آخرُ الحُزْنِ
[٥٧ب] فلا تيأسَنْ فاللهُ ملَّكَ يوسفًا خزائنَهُ بعد الخلاص من السجنِ/

فلما استقر حال يوسف، دخلت السنون السبع المخصبة، فأمر بإصلاح المزارع والفلاحة والزراعة، وأمرهم أن يتوسَّعوا فيها فوق العادة. فلما أدركت الغلَّة، أمرهم فجمعت، فجمعها. ثم بنى [لها الحواصل و][٤] الأهراء فجمعت فيها، فضاقت عنها في أول سنة المخازنُ. فلم يزل يفعل ذلك في كل سنة، إلى أن انقضت السبع سنين المخصبة، ودخلت السبع سنين المجدبة. فوقع الغلاء، واشتد البلاء بالناس، وحصل عندهم من الجوع ما منع الهجوع.

قال بعض الحكماء: للجوع والقحط سببان، أحدهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة. والثاني: أن يفقدَ الطعام فلا يوجد [فتجوع النفس]. واجتمع هذان الشيئان في عهد يوسف عليه السلام، فأتته النساء والصبيان ينادون: الجوع، الجوع، فيأكلون فلا يشبعون.

(١) ديوان البحتري ٣/١٥٦٨، وهما السابع والثامن من قصيدة تبلغ سبعة أبيات في مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري.
(٢) ديوان البحتري: نبي الله.
(٣) نفسه: السجن.
(٤) الزيادة من آ.

وفي القصة أنه لما دخلت السنون المجدبة، كان أول ما حصل له الجوع الملك. فانتبه نصف الليل ينادي: يا يوسف الجوع، الجوع. فقال يوسف: هذا أوان القحط. فدعا له فأبرأه الله[١].

ففي السنة الأولى من السنين السبع المجدبة، نفد كل شيء أعدوه في السنين السبع المخصبة، لأنَّهم كانوا يأكلون فلا يشبعون. فجعلوا يبتاعون من يوسف الطعام، فباعهم في أول سنة بالنقود، حتى لم يبقَ بمصر درهمًا ولا دينارًا إلّا قبضه. وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر. وفي السنة الثالثة بالمواشي، وفي السنة الرابعة بالعبيد والإماء. وفي السنة الخامسة بالعقار، وفي السنة السادسة بنسائهم وأولادهم، وفي السنة السابعة برقابهم، حتى لم يبقَ في مصر حرّ ولا حُرَّة، إلا صار عبدًا ليوسف. فقال الناس: ما رأينا ملكًا كاليوم أجلّ / ولا أعظم من هذا. فقال [١٥٨آ] يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي في ما خَوّلني فيما ترى؟ فقال الملك: الرأي رأيك، وأنا مع ذلك تبع لك ومن رعيتك ومماليكك. فقال يوسف: إني أُشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم وأموالهم.

وروي أن يوسف عليه السلام، كان لا يشبَع في تلك السنين من الطعام، فقيل له: أتجوع وفي يدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأَنسَى الجياع. وكان يأمر طبّاخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار، [حتى يذوقَ الملكُ طعمَ الجوع فلا ينسى الجياع، فمن ثم جعل الملوك غداءهم وسط النهار][٢].

وقد نزل بالشام وأرض كنعان التي هي أرض يعقوب عليه السلام، من القحط ما نزل بأرض مصر. فأرسل يعقوب عليه السلام بنيه للميرة. فحين دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون. لأنه كان بين رميهم له في الجبّ، وبين قدومهم عليه

(١) قصص الأنبياء للثعلبي ٩٨.
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من آ.

سبعون سنة، وقيل ثمانون. فلما سألهم قال: من أنتم، فإني أنكر حالكم؟ فقالوا: نحن قوم من أرض الشام، أصابنا الجهد، فجئنا نمتار. فقال: لعلكم عيون جئتم تنظرون عَوْرةَ بلادنا. فقالوا: والله ما نحن عيون، وإنما نحن إخوة بنو[١] نبيٍّ واحدٍ صِدِّيقٍ يقال له يعقوب. فقال: كم أنتم؟ فقالوا: كنا اثني عشر، فهلك منا أخٌ ذهب معنا إلى البرية، فأكله الذئب. وكان له أخ آخر من أمه، فأبونا يتسلَّى به عن أخينا الهالك. قال: فمن يعلم أن الذي تقولونه حق؟ قالوا: نحن ببلاد لا يعرفنا فيه أحد. قال: ﴿ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾[٢] إن كنتم صادقين، فإني أرضى بذلك. [٥٨ب] قالوا: ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ/ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾[٣].

فعند ذلك جهّزهم بجهازهم، يعني حمَّل لكل واحدٍ منهم بعيرًا من الطعام. وقال لفتيانه، أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام: ﴿ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤]. قيل إنما فعل يوسف ذلك لأنه علم أَنّ أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة، ولا يستحلّون إمساكها فيرجعون لأجلها. وقيل إنه رأى أخذ ثمن الطعام من إخوته وأبيه مع حاجتهم إليه لؤمًا، فردّه إليهم: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ﴾[٥] إِنّا قَدِمْنا عَلَى خير رجل، ما رأينا أشبه به منك ولا بك منه، أنزلنا وأكرمنا وأحسن إلينا ووفَى لنا الكيل. وأخبروه بالقصة، وقالوا: يا أبانا، ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ إنْ لم نذهب بأخينا، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٦] نحفظه أشد الحفظ حتى نرده إليك.

(١) في الأصل: بنوا.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٥٩.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٦١.
(٤) سورة يوسف ١٢/ ٦٢.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٦٣.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ٦٣.

فقال يعقوب: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾[1] قالوا: يا أبانا أيْ أيَّ شيءٍ نطلب، وهذا وفَى لنا الكيل ورد علينا الثمن؟ أرادوا بذلك أن يطيبوا قلب أبيهم، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: أي نشتري لهم طعامًا ونحفظ أخانا بنيامين، إذا أنفذته معنا، ونزداد كَيلَ بعيرٍ على أحمالنا، ذلك كيلٌ يسيرٌ على من يكتاله لنا لسخائه لا مشقّة فيه.

فقال لهم أبوهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] أي تحلفون لي بحق محمد خاتم النبيين ﷺ إنْ ختنموني في ولدي فأنتم منه برءاء[3] يوم القيامة، وهو منكم بريء. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، أي شاهد. فلما أرادوا الخروج، قال لهم: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ - خاف عليهم من العين، لأنهم كانوا ذوي[4] جمال وصور حِسانٍ / [٥٩آ] وقامات ممتدّة، ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ - يعني الحذر لا ينفع من القدر - ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ - أي الأمر والقضاء والتدبير - ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ - أي اعتمدت - ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[5]. وقيل إنما أراد بدخولهم من أبواب متفرقة، لأنه بلغه أن يوسف بمصر، فأراد أن يتفرقوا، لعل أحدًا منهم يراه فيخبره به.

فحين دخلوا على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، فأمر بأحسن المنازل، فزين بأحسن الزينة، وجعلت فيه صواني الذهب مملوءة بالطيب

(١) سورة يوسف ١٢/ ٦٤-٦٥.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٦٦.
(٣) كذا في ب، وفي آ: بَراء.
(٤) في ب: ذوو، وهو خطأ من الناسخ.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٦٧.

يمينًا وشمالًا، وأقام عن يمينه ألف وصيفٍ، وعن يساره كذلك. ثم جلس وأمرهم فدخلوا عليه، فأجلسهم فأمر لهم بأنواع الأطعمة، فحضرت على موائد الذهب. فأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وتذكّر في نفسه أن لو كان أخي يوسف حيًّا لأكلتُ أنا وهو. فقال يوسف: لقد بقي أخوكم هذا وحيدًا فأجلسَه معه على مائدته، ثم أنزل كل اثنين منهم في بيت. وقال: هذا، يعني أخاه بنيامين لا ثاني له فيكون معي، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته، حتى أصبح. ثم قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَـِٔيسۡ﴾[1]، أي لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، ولا تعلمهم بشيء مما أعلمتك به.

فلما تعارفا وتعانقا، ضجّت الملائكة في السماء ثم قال: يا أخي لا تخف، فإني أريد أن آخذك منهم، وتبقى عندي حتى نبعث إلى أبينا. فسأحتال بحيلةٍ في أخذك، فلا تحزن ولا يشقّ عليك. قال: افعل ما بدا لك. قال: فإني أدسّ صاعي هذا في رَحْلك، ثم أنادي عليك بالسرقة ليعينني ذلك على أخذك عندي. قال: فافعل، فذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ / أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[2] [٥٩ب]، أي في حكمه، لأن الملك كان إذا أتى بسارق كشف الجلد عن قرنيه، وسمل عينيه، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. يعني أن يوسف لم يمكنه من أخذ أخيه في حكم الملك، لولا ما أجراه الله على ألسنة أخوته، أن جزاء السارق الاسترقاق حيث قالوا: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾[3]، أي جزاء الموجود في رحله أن يسلّم إلى المسروق منه. وكان ذلك سُنَّة آل يعقوب في

(١) سورة يوسف ١٢/ ٦٩.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٧٦.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٧٥.

السارق، فحين أمر بتجهيزهم وجعل السقاية في رحل أخيه وهي مشربة كان يشرب منها الملك من ذهب مرصعة بالجواهر...، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾، [فلما رأى إخوته ذلك نكسوا] رؤوسَهم حياءً منه، واعتذروا إليه وقالوا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾[١].

وأصل هذا أن يوسف كان قد جاءه سائلٌ فسرق بيضةً من البيت وأعطاها السائلَ، فعيّروه بذلك [وليس هذا بسرقة][٢]. ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾، أي أضمرها، ثم إنهم راودوه وترفقوا له وقالوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا - متعلّق القلب به - فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ - إن فعلت ذلك ﴾[٣].

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾[٤]، ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ ﴾، أي أَيِسوا من أخذ أحدهم عوضًا عن بنيامين. رجعوا إلى أبيهم وقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا - من سرقته وتيقناه، لأن الصواعَ استخرج من وعائه - وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾[٥] أي عالمين، أي للأمر الخفي، أسرق بالصحة أو دُسَّ الصواعُ في رحله ولم يشعر به. فقال أبوهم عند ذلك: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا - أردتموه -، أي حمّلتم بنيامين رجاء منفعة فعاد من ذلك شر - فَصَبْرٌ جَمِيلٌ - لا جزع فيه و- عَسَى ٱللَّهُ/ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[٦]. ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ [١٦٠]

(١) سورة يوسف ١٢/ ٧٧.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٧٨، وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ١٠١.
(٤) سورة يوسف ١٢/ ٧٩.
(٥) سورة يوسف ١٢/ ٨١.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ٨٣.

﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ أي تتبعوا الخبر من يوسف وأخيه.

يقال: تحسس في الخير وتجسَّس في الشر، و(لا تيأسوا من رَوْح الله) أي لا تقنطوا من فرج الله. ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١] يريد أن المؤمن يرجو فرج الله في الشدائد، والكافر يقنط في الشدّة. «**فلما دخلوا عليه**»، أي على يوسف وشكوا إليه حالهم وما حصل عند أبيهم من فراق بنيامين ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾. رقّ لهم وقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[٢] ثم رفع التاج عن رأسه وكان فيه علامة مثل الشامة، لأبيه مثلها. فحين رأوها قالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بأن جمع شملنا بعدما فرّق بيننا. إنه من يتّق ويصبر على الغربة والسجن والمصائب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] الصابرين القائمين بطاعته.

وفي القصة، أن يعقوب عليه السلام لما قيل له إن بنيامين سرق وأُخذ في سرقته، فقال لِرُدْبيل[٤]: اكتب: بسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، أما بعد:

فإنا أهلُ بيتٍ موكّلٌ بنا البلاءُ. فأما جدي إبراهيم، فشُدَّت يداه ورجلاه، وألقي في النار [نار النمروذ][٥]. فجعلها الله بردًا وسلامًا. وأما أبي فشدّت يداه ورجلاه، ووضع السكين على قفاه ليذبح، ففداه الله بذِبْحٍ عظيمٍ. وأما أنا فكان لي

(١) سورة يوسف ١٢/ ٨٧.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٨٩.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٩٠.
(٤) في آ: لِرُوبيل.
(٥) الزيادة من آ.

ولد، وكان أحبَّ أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرية/ وأتوني بقميصه ملطخًا [٦٠ب] بالدم، وقالوا إن الذئب أكله، فبكيت عليه حتى ذهبت عيناي. وكان لي ابن هو أخوه من أمه، وكنتُ أتسلَّى به، فقالوا إنه سرق، وإنك حبسته لذلك. وإنا أهل بيتٍ لا نسرق ولا نَلِدُ سارقًا، فارحم تُرْحَم، واردُدْ عليَّ ولدي. فإن فعلت فاللهُ يجزيك، وإن لم تفعل دعوتُ عليك دعوة تدرك السابع من ولدك[١].

فلما وصل الكتاب إلى يوسف، وقرأه، بَكى وعِيل صبرُه، وعرّفَ إخوته بنفسه، فاستحيوا منه، واعتذروا إليه مما وقع منهم في حقه. فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي لا تغيير، ﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢]. ثم قال لهم: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه من البكاء. فقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣]. فقال يهوذا: أنا ذهبت إليه بالقميص وهو ملطخ بالدم، وأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب إليه بالقميص فأخبره أنه حيّ فأُفرحه كما أحزنته.

فسار ثمانين فرسخًا في سبعة أيام، وكان معه سبعة أرغفة زوّادة، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾، يعني فارقت عريش مصر إلى أرض كنعان. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لولد ولده: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[٤] أي تسفِّهونِ في قول مجاهد.

وفي القصة، أن الريح استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها، فأتته. ويروَى أن يعقوب سأل البشير: كيف تركت يوسف؟

(١) هناك فروق واضحة في الرواية بين المخطوطين آ و ب.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٩٢.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٩٣.
(٤) سورة يوسف ١٢/ ٩٤.

فقال: ملكَ مصر [فقال يعقوب][(١)]: ما أصنع بملك مصر، على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمت النعمة، ما لي ما أكافئك به على بشارتك إلا بالدعاء. هوّنَ اللهُ عليك سكرات الموت، ولا جعل لك إلى بخيل حاجة.

[٦١آ] فلما ألقى القميص على وجهه وارتد بصيرًا/ بعدما عَمِيَ، وقويَ بعدما كان ضعيفًا، وقال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٢)] من حياة يوسف وأن الله يجمعنا. فقالوا عند ذلك: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾[(٣)] قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[(٤)]، قيل إنه أخّر الدعاء إلى وقت السحر، لأن الدعاء بالأسحار لا يحجَب.

فلما دنا يعقوب من مصر، كلّم يوسف الملك في خروجه إليه. فخرج يوسف والملك في أربع مائة ألفٍ من الجند، وركب معهما أهل مصر. فلما نظر يعقوب إلى الخيل والناس، قال: يا يهوذا، أهذا فرعون مصر؟ قال: هذا ابنك. فلما دنا كل واحدٍ منهما من صاحبه، نزل يوسف وذهب ليبدأ أباه بالسلام. فمنعه [من ذلك]، لأن القادم يسلّم أولًا. فقال يعقوب: السلام عليك يا مُذهِبَ الأحزان.

وقال سفيان: لما التقيا، عانق كل واحدٍ منهما صاحبه، وبكى يعقوب ويوسف، وقال: يا أبتِ بكيتَ عليّ حتى ذهب بصرُك، ألم تدرِ أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خفت أن تسلب دينك، فيحال بيني وبينك.

قال وهب: دخل يعقوب إلى مصر وولده وهم اثنان وسبعون إنسانًا من رجل وامرأة، وخرجوا منها مع موسى عليه السلام وهم ست مائة ألف وخمس مائة

(١) الزيادة من آ.
(٢) سورة يوسف ٩٦/١٢.
(٣) سورة يوسف ٩٧/١٢.
(٤) سورة يوسف ٩٨/١٢.

وبضع وسبعون رجلًا سوى الذرية والهرماء والزَّمْنَى. وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف سوى المقاتلة.

فلما دخل يوسف بأبيه وأهله إلى مصر. قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[١] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي السرير ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾[٢] يعني أباه وخالته وإخوته، وكانت تحية الناس يومئذٍ السجود، ولم يُرَدْ بالسجود وضع الجبهة على الأرض، لأن ذلك لا يجوز إلا لله تعالى، وإنما ذلك التواضع والانحناء على طريق التحية والسلام لا على جهة الصلاة والعبادة. فعند ذلك قال يوسف: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾(٣)، وهي الأحد عشر/ كوكبًا [٦١ب] والشمس والقمر التي رآهم ساجدين له. ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾، ولم يقل من الجبّ، مع كونه أول ما ابتلي به، لئلا يذكرّ إخوته بما فعلوا به، فيكون في ذلك توبيخًا لهم. ولما جمع الله تعالى شمل يوسف [بأبيه] وأقر عينيه [بأخيه][٤] وأتم له رؤياه، وكان موسعًا عليه في دنياه[٥]. علم أن ذلك لا يدوم ولا بدّ من فراقه. فأراد نعيمًا هو أفضل من ذلك. فتاقت نفسه إلى الجنة، فتمنّى الموت ودعا، ولم يتمنَّ نبيٌّ بعده ولا قبله الموت، فقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٦].

(١) سورة يوسف ١٢/ ٩٩.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ١٠٠.
(٣) سورة يوسف ١٢/ ٩٩-١٠٠.
(٤) الزيادة من آ.
(٥) قصص الأنبياء للثعلبي ١٠٦.
(٦) سورة يوسف ١٢/ ١٠١.

خاتمةُ الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: حكى الثعلبي وغيرُه من المفسّرين، أن إخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئبًا ولطّخوه بالدم وأوثقوه بالحبال. فلما جاؤوا به إلى أبيهم، قالوا: يا أبانا، هذا الذئب الذي يحل بأغنامنا ويفترسُها، ولعله الذي فجعنا بأخينا، لا نشك فيه، وهذا دمه عليه. فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه. فبصبص له بذنبه، وأقبل يدنوا[١] منه، فقال له يعقوب: ادنُ ادنُ، فدنا حتى ألصق خده بفخذه، فقال له: أيها الذئب، لِمَ فجعتني بولدي وأورثتني بعده حزنًا طويلًا؟ ثم قال: اللهم أنطقه[٢].

قال: فأنطقه الله فقال: والذي اصطفاك نبيًا ما أكلت لحمه ولا مزّقت جلده، ولا نتفت شعرةً من شعره، ووالله مالي بولدك عهد، و[إنما][٣] أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ فقدته، فلا أدري أَحيّ هو أم ميِّت، فاصطادني ولدُك وأوثقوني [وأحضروني]، وإن لحوم الأنبياء حُرِّمت علينا وعلى جميع الوحوش/. وتالله لا أقمت في بلاد تفعل فيها أولاد الأنبياء بالوحوش هكذا. [٦٢آ] فأطلقه يعقوب عليه السلام، وقال لبنيه: والله لقد أتيتم بالحُجّة على أنفسكم، هذا ذئب مَهِين خرج في تَتَبُّع ذمام أخيه، وأنتم ضيَّعتم أخاكم، وعلمتم أن الذئب بريء مما جئتم به، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٤].

(١) كذا في ب.
(٢) قصص الأنبياء للثعلبي ٨٨.
(٣) الزيادات من آ.
(٤) سورة يوسف ١٨/١٢.

ثانيها: ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بينما راعٍ في غنمه عَدا عليه الذئبُ فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السَّبْع، يوم ليس لها راعٍ غيري؟. وبينما رجل يسوق بقرةً قد حمل عليها، التفتت إليه فكلمته فقالت: إنّي لم أُخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر. رواه البخاري ومسلم[(١)].

قوله: يوم السبْع: هو بسكون الباء.

قال ابنُ الأعرابي: السبْع: أرض المحشر.

ثالثها: ثبت أيضًا في صحيح الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما راعٍ يرعى غنمًا له، إذ جاءه ذئب فأخذ منها شاةً، فحال الراعي بينه وبين الشاة، فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال: يا راعي، اتق الله، تحول بيني وبين رزقٍ رزقني الله ﷻ إياه؟ فقال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك، رسول الله ﷺ بالحرّة، يحدّث الناس أخبار ما قد سبق، فساق الأعرابي غنمه حتى أتى المدينة، فزواها ناحيةً ثم أتى النبي ﷺ، فحدّثه، فقال رسول الله ﷺ: صدقت، ثم قال: من أشراط الساعة أن تكلمَ السباعُ الإنس. والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عَذَبة سوطه وشراك نعله/ [٦٢ب]، ويخبره فخذه بما أحدث أهله[(٢)].

أورد أبو عيسى الترمذي بعض هذا الحديث في جامعه عن سفيان بن الربيع

---

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١١/ ٣٨٢، والجزء ١٠/ ١٨٤ مادة [راعي]، و١٢٣ مادة [ذئب]؛ وراجع صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة ج٥/ ص٦؛ وانظر فضائل الصحابة لابن حنبل ١/ ١٧٨- ١٧٩ رقم ٨٣.

(٢) انظر كنز العمال رقم ٣٨٤٣٧.

عن أبيه عن القاسم بن الفضل وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أقول: قال القاضي عِياض في كتاب «الشفا في تعريف حقوق المصطفى ﷺ» عند ذكر هذا الحديث ما نصُّه[١]: وروى حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقال الذئب: أنت أعجب واقف على غنمك، وتركت نبيًّا لم يبعث الله في الأنبياء قط أعظم منه عنده قدرًا، قد فتحت له أبواب الجنة الثمانية، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم[٢]، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعب فتصير في جنود الله. قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجعَ. فأسلم الرجل إليه الغنم ومضى. وذكر قصة إسلامه، ووجود النبي ﷺ يقاتل. فقال له النبي ﷺ: عد إلى غنمك تجدها بوفرها. فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.

رابعها: قال القاضي عياض في «الشفا» أيضًا[٣]، وقد روى ابن وهب مثل هذا، أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئبٍ وجداه أخذ ظبيًا. فدخل الظبي الحرم، فانصرف الذئب. فتعجبا من ذلك. فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله في المدينة يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان واللات والعُزَّى لئن ذكرتَ هذا بمكَّة لنتركنها خُلوًا.

أقول: [من المتقارب]

فواعجبًا كيف يُعصَى الإلٰـ ـهُ وكيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدُ
ولله في كلِّ تحريكةٍ وتسـ ـكينةٍ أبدًا شاهدُ[٤]

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٥٩٥- ٥٩٧.
(٢) نفسه: فعالهم.
(٣) نفسه ١/ ٥٩٧- ٥٩٨.
(٤) الشفا للقاضي عياض ١/ ١٩٢.

غيره: [من الطويل]

وفي الأرض آيـــاتٌ فلاتـــكُ منـــ ـكرًا فعجائبُ الأشياءِ من آياته[١]

إي والله.

خامسها: روي عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيّدون، [٦٣آ] فاصطادوا/ حمارَ وحشٍ وغزالًا وأرنبًا. فقال الأسد للذئب: اقسِمْ. فقال: حمارُ الوحش للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب. قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربةً، فإذا هو مجدول بين يديه. ثم قال للثعلب: اقسِمْ هذه بيننا. فقال: الحمار يتغدّى به الملك، والغزال يتعشّى به، والأرنب بين ذلك.

فقال الأسد: ويحك، ما أقضاك، من الذي علَّمك هذا القضاء؟ فقال: القضاء الذي نزل برأس الذئب.

سادسها: حُكِيَ عن العرب أن الذئب إذا أراد النوم راوح بإحدى[٢] عينيه، فينام بإحدى عينيه، ويفتح الأخرى لتكون حارسة له من شرِّ من يؤذيه. وفي ذلك يقول شاعرهم وهو حميد بن هلال: [من الطويل]

ينـــام بإحـــدَى مقلتيـــه ويتقـــي بالاخرى الأعادي فهو يقظانُ نائمُ[٣]

وحُكِيَ أيضًا أن الأرنبَ ينام وعيناه مفتوحتان، وفي ذلك يقول المتنبي[٤]: [من الوافر]

أرانـــبُ غيـــر أنهـــم ملـــوكٌ مفتَّحـــةٌ عيـــونهمُ نيـــامُ

وهذا من العجائب.

(١) سقط البيت من آ.
(٢) في آ: بين عينيه، وهو الأدنى إلى الصواب.
(٣) في آ: بأُخرى.
(٤) شرح الإمام الواحدي لديوان المتنبي ١٦١.

سابعها: حكى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني[١]، أن أسدًا كان يلازمه ويحضر مجلسه ذئب وثعلب، وأن الأسد وجد عِلَّةً فمرض بها، وتأخّر الثعلب أيامًا، فتفقّده الأسدُ وسأل عنه الذئبَ فقال: ما فعل الثعلب، فإني لم أره منذ أيام مع ما عرض لي من المرض. فانتهزها الذئب ليغري به الأسد، ويفسدَ حاله عنده، ويحمله على مكروه بالثعلب، فقال: أيها الملك، إن الثعلبَ شامتٌ بك، وبما نالك[٢]. فلما حضر الثعلب بين يدي الأسد، فقال له: أين كنت في هذه الأيام، وأنا على ما ترى من هذه الحال؟ فقال الثعلب: أيها الملك، لما وقفت على العِلّة العارضة لك، لم يستقر بي قرار، وجعلت أجوب البلاد وأجول في الآفاق إلى أن وقفت على ما يشفي الملك من مرضه. فقال: قد علمت أنك لا تفارق نصيحتي ولا تخرج عن طاعتي، فما الذي وقفت عليه مما أستشفي به؟ قال: تناولك خصيتي الذئب فإنه يبريك حين يستقرا[٣] في جوفك. فقال: أنا عامل هذا / . [٦٣ب]

وخرج الثعلب وجلس في دهليز الأسد. ووافى الذئب، ووقف بين يدي الأسد، فوثب عليه والتقم خصيتيه. فخرج الذئب والدم يسيل على فخذيه. فلما مر بالثعلب قال له: يا صاحب السراويل الحمر، إذا جالست الملوك، فانظر كيف تذكر حاشيتهم عندهم.

أقول: من غريب ما اتفق لأبي الفرج المعافى راوي هذه الحكاية أنه قال: حججت سنة، وكنت بمِنى أيام التشريق، فسمعت مناديًا ينادي: يا أبا الفرج. فقلت: لعله يريدني. ثم قلت: في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج، ولعله

(١) هو المعروف بابن طَرارا، انظر ترجمته مستوفاة في الوافي للصفدي ٢٥/٧١٨- ٧٢٤ رقم ٤٧٥.
(٢) السياق مختلف في رواية آ.
(٣) في ب: تستقر.

ينادي غيري، فلم أجبه. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد، نادى: يا أبا الفرج المعافى فهممت أن أجيبه، ثم قلت: قد يتفق أن يكون أحد اسمه المعافى ويكنّى أبا الفرج، فلم أجبه. فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني. فقلت: لم يبقَ شك في مناداته إياي، لقد ذكر اسمي وكنيتي وبلدي الذي أنتسب إليه. فقلت: ها أنا فماذا تريد؟ فقال: لعلك من نهروان الشرق؟ فقلت: نعم. فقال: نحن نريد نهروان الغرب.

فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب وما انتسب إليه، وعلمت أن بالغرب موضعًا يسمى النهروان غير النهروان الذي بالعراق. حكى هذه الحكاية عنه أبو عبد الله الحميدي. وهذه الحكاية من العجائب[1].

(١) قارن برواية الحكاية كما جاءت في الوافي بالوفيات ٢٥/ ٧٢٢ – ٧٢٣.

الباب الثاني
في بَسْط الكلام على ما وقع من ذلك
في قصة موسى وفرعون

أقول: وقد تقدم في المقدمة أن آخر مناجاة موسى عليه السلام: يا رب أَوصِني، فقال: أُوصيك بأمّك. قاله سبع مرات. ولما استأجر شُعيب موسى عليه السلام ليرعَى له الغنم. قال له: ادخل هذا البيت/ [لبيت عنده][1]، فيه عصيّ الأنبياء عليهم السلام، فخذ منه عصا [٦٤آ] تطرد [بها] السباع عن غنمك، وكان ليلًا. فدخل وأخذ عصا كان قد هبط بها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شُعيب. فقال لموسى: ردّها وخذ غيرها، ففعل ذلك مرات، فما يقع في يده غيرها، سبع مرات، فعلم أن لها شأنًا.

وقيل إن ملَكًا جاء شُعيبًا في صورة إنسان، فأودعه هذه العصا، فأمر شعيب ابنته أن تدفع إلى موسى عصا، فلم تقع في يدها إلا هذه العصا سبع مرات، فدفعتها إلى موسى. ثم ندم على ذلك لأنها كانت وديعةً عنده. فخرج بها موسى، فتبعه شعيب فقال: ردّ العصا. فقال: هي عصاي. فاختصما إلى أول قادم يقدم عليهما. فقدم عليهما ملَك في صورة إنسان، فقال لموسى: ألقِ العصا فمن أخذها منكما فهي له. فألقاها، فعالجها شعيب فلم يطقها، فأخذها موسى. فعلم شعيب أنها له، ثم قال له: إذا بلغت مفرق الطرق، فلا تأخذ عن يمينك، فإن ثمّ تنّينًا أخافه عليك وعلى غنمك. فأخذت الغنم في ذلك الموضع بغير اختيار موسى. فجاء فرآه كثير الكلأ فنام.

---

(١) الزيادة من آ.

فجاء التنين، فقاتلته العصا حتى قتلته، ثم عادت مكانها. فاستيقظ موسى فرأى العصا داميةً والتنين مقتولًا، فارتاح لذلك، وعلم أن للعصا شأنًا عظيمًا. فمن آياتها العظيمة: ما أخبر الله تعالى به في قوله تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[١]، أي حية صفراء شقراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعًا.

قيل: وارتفعت من الأرض قدر ميل، وقامت على ذنبها واضعةً لحيها[٢] الأسفل في الأرض، والأعلى/ على سطح القصر الذي فيه فرعون. فوثب فرعون [٦٤ب] هاربًا وأحدث، وقيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربع مائة مرَّة. وحملت على الناس فانهزموا، ومات منهم مائة وخمسة وعشرون ألفًا قتلى، قتل بعضُهم بعضًا. فدخل فرعونُ البيت وصاح: يا موسى، خذها وأنا أؤمن بك، وأُرسل معك بني إسرائيل.

فأخذها موسى فعادت عصى. فنكث فرعون بعد ذلك: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾[٣]، هم الشرط الذين يحشرون الناس، أي يجمعون السحرة من مدائن الصعيد، إذ كانت بها أئمة السحرة. وهذه المدائن التي أرسل فيها من يحشر السحرة، كانت سبع مدائن. حكاه[٤] المهدوي في تفسيره، وهي شطا وأبوصير وبيا وطنان وأرمنت وأُتريب وأَنِصْنا[٥].

(١) سورة الأعراف ٧/ ١٠٦- ١٠٧.
(٢) في آ: حنكها.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ١١١.
(٤) في آ: حكاها.
(٥) راجع كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ١٥٩، ١٦١، ١٧٥، ١٧٧، وكذلك معجم البلدان لياقوت.

قال الكواشي في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾[١]، كانوا سبعين ألف ساحر، مع كل ساحر منهم حبلًا[٢] وعصى، كل ألفٍ صف.

أقول: فعلى هذا كانوا سبعين صفًا. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ - أي صرفوا أعينهم عن حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل. وهذا هو السحر - وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ - أي أفزعوهم - وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[٣] لأنهم ألقوا حبالًا وعصيًا. فإذا هي حيّات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي، وركب بعضُها بعضًا. وكانت الأرض الملقَى فيها ميلًا في ميل. فحين ألقى موسى العصا سَدّت الأَرض.

وكان اجتماعهم بالإسكندرية، فيقال إن ذنب الحية بلغ من وراء البحيرة. ثم فتحت فاها ثمانين ذراعًا ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٤]، أي يكذبون ويزوّرون على الناس، فابتلعت جميع ما ألقوه، وقصدت القوم، فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفًا. ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت/ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ [٦٥] وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥] فلما آمن من السحرة مَن آمن، كما أخبر الله تعالى، وقال الباقون: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٦]. فأرسل الله عليهم الطوفان، وفيه سبعة أقوال:

قيل: الطوفان الماء، دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس منهم غرق. وكانت بيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة،

(١) سورة طه ٢٠/ ٦٤.
(٢) في آ: حبلٌ، وهو الصواب.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ١١٦.
(٤) سورة الأعراف ٧/ ١١٧.
(٥) سورة الأعراف ٧/ ١١٨.
(٦) سورة الأعراف ٧/ ١٣٢.

فامتلأت بيوت القبط، ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة واحدة. ودام ذلك عليهم سبعة أيام. ذكره البغوي. وقيل: الطوفان الموت، وقيل: الطاعون، بلغة اليمن. وقيل: أمْر الله تعالى طاف بهم، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[١]. يكشف عنا ما نحنُ فيه، ونحن نؤمن بك. فدعا الله فرفع عنهم، فما آمنوا. فبعث الله عليهم الجراد، فأكلت جميع ما يؤكل، حتى أكلت الأبواب والسقوف والأخشاب وشبابيك الحديد ومساميره، ولم يدخل بيوتَ بني إسرائيل منها شيء، فاستغاثت القِبطُ بموسَى ووعدوه التوبة.

قال الزمخشري في الكشاف[٢]: فكشف عنهم بعد سبعة أيام. وكان موسى قد خرج إلى الصحراء وأشار بعصاه شرقًا وغربًا، فرجعت الجراد حيث جاءت. فلما نكثوا ولم يرجعوا عما كانوا عليه، أرسل الله عليهم القمل، وفيه سبعة أقوال للمفسرين. قيل: القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل الذي يخرج من جميع الحبوب، وقيل هو ضربٌ من القراد، وقيل: هو ما لم يطر من الجراد، والجراد ما طار. وقيل: هو الدبّان، وهو أولاد الجراد قبل نباتِ أجنحتها، وقيل: هو البراغيث، وقيل القَمْل - بفتح القاف وسكون الميم - وقرئ بها[٣]. فأكل كل ما بقي من زرعهم. وكان يدخل/ [من] بين ثوب أحدهم وجلده [فيمصه][٤]. [٦٥ب] وكان يأكل أحدهم طعامًا فيمتلئ فمه قملًا. ودام ذلك عليهم سبعة أيام. فاستغاثوا بموسى عليه السلام. فدعا لهم فرفع عنهم، فلم يزدادوا إلا تكذيبًا. وقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر، وعِزّة فرعون، لا نصدّقك أبدًا.

(١) سورة الأعراف ٧/ ١٣٤.
(٢) الكشاف للزمخشري ٢/ ١٤٧.
(٣) في آ: بهما.
(٤) الزيادات من آ.

فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت بيوتهم، ووقعت في أطعمتهم. فكانوا يجلسون في الضفادع إلى رقابهم، فإذا تكلم أحدهم، وثبت الضفدعة في فيه. وكذلك إن أكل أو شرب. وخبثت عليهم جميع عيشتهم، فبكوا وشكوا ذلك إلى موسى عليه السلام، وقالوا: هذه المرّة نتوب ولا نعود. فأخذ مواثيقهم على ذلك، ثم دعا لهم، فكشف عنهم بعد أن أقام عليهم سبعة أيام.

فنقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل دمًا في تلك السنة، وصارت كل مائهم دماء، فلا يجدون ماءً إلا دمًا عبيطًا أحمر. وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد. فما يلي الإسرائيلي يكون ماءً، وما يلي القبطي يكون دمًا، حتى لو أن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية: اجعلي الماء في فيك ثم مُجِّيه في فيّ، فيصير الماء في فيها دمًا. وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك، فكان يمص الأشجار الرطبة، فإذا مصّها صارت دمًا.

فقالوا: يا موسى: ادعُ لنا ربَّك، فدعا، فكشف عنهم بعد أن أقام سبعة أيام، فعادوا إلى عنادهم وكفرهم وفسادهم، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾، أي يتبع بعضها بعضًا. وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد سبعة أيام من السبت إلى السبت، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[1]. ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾، أي الطاعون، وهو العذاب السادس/، بعد الآيات الخمس، حتى مات منهم في يوم واحد سبعون [٦٦آ] ألفًا. فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من إجابة الدعوة ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ وهو الطاعون ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ - أي الغرق - إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ - أي ينقضون ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ - أي البحر -

(١) سورة الأعراف ٧/ ١٣٣.
(٢) سورة الأعراف ٧/ ١٣٤.

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[١].

أقول: وقبل ذكر قصة فرعون وغرقه، نذكر نبذةً من سيرته ومبدأ ولايته وصفته

قال وَهْب: كان فرعون قصيرًا ولحيته سبعة أشبار، وقيل: كان[٢] طوله قدر ذراع. قال ابن المبارك: كان فرعون عطّارًا بإصبهان، فانكسر[٣] ورَكِبَه الدَّيْن، فخرج منها هاربًا من الدَّيْن، فأتى الشام، فلم يستقم له فيها حال، فأتى مصر فرأى على الباب الذي للمدينة حِملَ بطّيخ، فسأل عن سعره، فقيل له: هذا بدرهم، فدخل المدينة، فسأل عنه، فقيل له: كل بطيخة بدرهم، فقال: من ها هنا أقضي ديني.

فاشترى حِمْلًا بدرهم، وأتى باب المدينة، فنهبه البوّابون، حتى بقيت بطيخة واحدة، فباعها بدرهم، وقال: ما هذا؟ أما ها هنا أحد ينظر في مصالح الناس؟ فقالوا له: ملكها مشغول بلذته، وقد فوّض الأمر إلى الوزير، وهو لا ينظر في شيء. فخرج فرعون إلى المقابر، فجعل لا يمكّن أحدًا من الدفن إلا بخمسة دراهم. فأقام على ذلك مدةً لم يتعرّض له أحد. فماتت بنت الملك. فقال: هاتوا عشرة دراهم. فلم يزل يضعّفها عليهم حتى بلغت المائة. فأخبروا الملك بحديثه فقال: ومن هذا؟ فقالوا: عامل الموتى. فأرسل إلى الوزير/ فسأله عنه فقال: [٦٦ب] لا علم لي، وأنكر حاله. فأرسل إليه الملك فقال له: من أنت؟ فأخبره بخبر البطيخ، وقال: ما صِرتُ عامل الموتى إلا حتى يصل إليكَ خبري وتحضرني فأنصحك. فاستيقظ لنفسك واحفظ ملكك. فاستوزره وقتل الوزير، وفوّض إليه الأمر. فسار في الناس سيرة حسنة.

(١) سورة الأعراف ٧/ ١٣٥ - ١٣٦؛ والكشاف ٢/ ١٣٤ - ١٣٦.
(٢) في ب: كان طوله قدر ذراع، وربما كانت: طولها، أي اللحية.
(٣) في آ: فأفلس.

وكان عادلًا سخيًّا، يقضي بالحق ولو على نفسه. فأحبه الناس، وتوفي الملك، فولّوه عليهم. فعاش زمانًا طويلًا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باقٍ. فطغى وتجبّر وبغا، وقال: أنا ربكم الأعلى[١].

قال قتادة: الفراعنة ثلاثة، أولهم سِنان الأشَلّ [صاحب سارة][٢]. كان في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام بمصر. الثاني الريّان ابن الوليد، وهو فرعون يوسف عليه السلام. الثالث الوليد ابن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام.

قال الجوهري: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكل عاتٍ فرعون، والعُتاةُ الفراعنة.

وفي الحديث: أحدُنا فرعون هذه الأمة، يعني أبا جهل. وكانت الكهنة قد أخبرت فرعون وقالت له: يولد مولود في بني إسرائيل يكون هلاكُكَ على يديه. فأمر فرعون بذبح كل مولودٍ يولد في بني إسرائيل. ووكّل الشُرطَ مع القوابل، كلما ولد مولود ذبحوه. وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل. فقال رؤساء القبط لفرعون: قد أمرت بذبح الأبناء، وقد أسرع الموت في المشايخ، فإن دمت على هذا، لم يبقَ لنا من يخدمنا. فأمر فرعون بأن يذبحوا سنة ويتركوا سنة. فولد موسى في سنة الذبح. فلما تلقّته القابلة، لاح من بين عينيه نور فهالها وغيَّبته[٣]، وقالت لأمه: احفظي ابنكِ فهذا هو المطلوب، الذي أخبرنا[٤] بأنه عدونا، لأنها كانت قبطية. وكانت مصافيةً لأم موسى./ فلما دخل عليها الشُّرَطُ وكان التنور [٦٧آ] يُسْجَرُ، فلفته في خِرقةٍ وألقته فيه. فلما خرجوا، قامت إلى التنور، فرأته سالمًا. فألهمها الله أن صنعت له تابوتًا وقذفته في البحر.

(١) حول فرعون، انظر تاريخ اليعقوبي ١/١٨٦.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) في آ: وهابته.
(٤) في آ: أخبرتنا الكهنة.

فألقاه القدرُ إلى نهر يأخذ من النيل إلى دار فرعون، ووافق جلوس فرعون في ذلك الوقت على البركة، فأمر فرعون بإخراجه، فرآه. فقال: عبراني؟! كيف أخطأه الذبح؟ وأمر بذبحه. فقالت له آسية: إنما أمرت بذبح أبناء السنة، وهذا أكبر من سنة، فدعه عسى أن يكون ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾[1]، لا تقتله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[2]. وكان لا يولد لفرعون إلا البنات، فأحبّه حبًّا شديدًا بحيث لا يصبر عنه لحظة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: فذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[3]. فجمعت آسية له المراضع، فلم يقبل منها ثديًا، فقالت مريم أخته، وكانت قد خرجت في طلبه والفحص عن أمره، كما أخبر الله تعالى. ودخلت دار فرعون فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾[4] أي يرضعه ويضمّه؟ فقالت آسية: نعم. فأرسلت إلى أمه فجاءته، فأعطته ثديها فقبله. وجعل يشرب فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[5].

وروي أنه أقام سبعة أيام. وقال الكواشي: ثمانية أيام بلياليهن، لا يقبل ثدي مرضعة، وأخته تعلم بذلك. فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ على من يكفله أي يرضعه؟ فمكث عند أمه إلى أن فطمته. ثم ردّت به فتبنّاه فرعون وآسية واتخذاه ولدًا. فلما بلغ أشدّه واستوى وقتل القبطي، وخرج من مدينة مصر خائفًا يترقّب. قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6].

(١) سورة القصص ٢٨/ ٩.
(٢) سورة يوسف ١٢/ ٢١.
(٣) سورة طه ٢٠/ ٣٩.
(٤) سورة طه ٢٠/ ٤٠.
(٥) سورة القصص ٢٨/ ١٣.
(٦) سورة القصص ٢٨/ ٢١.

ولما توجّه تلقاء مدْينَ[١] واستأجره شعيب لرعي الغنم ثماني حجج أي سنين، وقصته مشهورة/ . كما أخبر الله تعالى في قوله ﴿ ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ [٦٧ب] عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾[٢] الآية. ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ - نحو مصر يومين - ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾[٣] أي أَبْصَرَ.

قال مجاهد: إنما رأى نورًا. ولكن وقع الإخبار عما كان في ظنه. ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾[٤] فلما أتاها، نودي من شاطئ الوادي الأيمن، أي من جانب الوادي الأيمن في البقعة المباركة التي بورك فيها لموسى، وبُعث منها نبيًّا، من الشجرة، أي ناحيتها، وكانت عُنّابًا، ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥]، الذي جميع الخلائق تحت طَوْعي[٦]، ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ - أي حية تسير بسرعة - وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ - أي لم يلتفت. ثم قيل له: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾[٧] فلا ينالك مكروه، ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ - أي من غير برص - وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ - أي ضع يدك على صدرك ليذهب عنك الرعب من معاينة الحيّة. قال مجاهد: من فزع، فرد جناحه إليه، ذهب عنه الرّوع، فذلك - أي العصا واليد - بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[٨].

(١) مدين: على بحر القلزم محاذية لتبوك وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب. راجع معجم البلدان لياقوت ٥/ ٧٧ (مدين).
(٢) سورة القصص ٢٨/ ٢٧.
(٣) سورة القصص ٢٨/ ٢٩.
(٤) سورة القصص ٢٨/ ٣٠.
(٥) سورة القصص ٢٨/ ٣٠.
(٦) في آ: تحت طاعتي وقهري.
(٧) سورة القصص ٢٨/ ٣١.
(٨) سورة القصص ٢٨/ ٣٢.

وفي الحديث مما رواه وهب بن منبه قال: دخل موسى على فرعون فقال له: آمِنْ بالله ولك الجنة ولك ملكُكَ، فقال: حتى أشاور هامان. فشاوره في ذلك فقال له: بينما أنت إله تُعبَدُ، إِذْ صِرْتَ تعبُد. فَأَنِفَ واستكبرَ. وكان في مبدأ ولايته قد سلك العَدْل والإنصاف. وإنما أهلكه الله تعالى، حيث اتخذ بِطانةَ سَوْءٍ فاسقين مثل هامان وقارون ومن ضارعهما.

ومعلوم أن الله تعالى إذا أراد بملكٍ سوءًا قيّض له بِطانةَ سَوْءٍ، ولله درّ القائل / : [من الطويل] [٦٨آ]

عن المرءِ لا تسأل وسَلْ عن قرينه فكلّ قرينٍ[١] بالمقارَن يقتدي
إذا كنتَ في قومٍ فلازمْ خِيارَهم ولا تصحَب الأردا فتردَى مع الردي[٢]

قال ابن جُبير[٣]: كانت مدةُ مُلكِ فرعونَ أربعَ مائة سنة، وعاش ستَّ مائة سنة وعشرين سنة لا يرى فيها مكروهًا. ولو كان ناله في تلك المدة جوعُ يومٍ أو حُمَّى يومٍ أو وجَع ساعةٍ لما ادّعى الربوبية. ولم يزل مخوَّلًا في هذه النعمة حتى أخذه ﴿ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾[٤].

قال ابن عباس: الأُولى قولُه: ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري. والثانية قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[٥]. قيل: كان بين الكلمتين أربعون سنة، وقيل: نكال الآخرة

(١) كذا في الإضافة، وفي الأصل: فإن القرين، وهو الصواب كما ورد في آ.
(٢) في آ: تضلُّ وترتدي.
(٣) ابن جبير: هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحّالة أندلسي، وُلد في بلنسية، وأولع بالترحّل والتنقّل، فزار المشرق ثلاث مرات، إحداها بين العامين ٥٧٨ - ٥٨١، وهي التي ألّف فيها رحلته الشهيرة. ترجمته في نفح الطيب والإحاطة وطبقات القراء لابن الجزري.
(٤) سورة النازعات ٧٩/ ٢٥.
(٥) سورة النازعات ٧٩/ ٢٤.

تعذيبه في أول النهار بالماء، وفي آخر النهار بالنار. وقال ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه، وقد ذكر قوله تعالى فيما حكاه عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] يفتخر فرعون بنهر الماء أجراه ماء سبعًا أجراه[2]. ما أحسن هذا الكلام وأوقعه في النفس.

قال المهدوي في تفسيره عن هذه الأنهار أنها كانت سبعة خلجان، خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج مَنْف، وخليج الفَيّوم، وخليج بَنْها، وخليج سَخا، متصلة لا تنقطع. وبين الجنات زرع من أول أرض مصر إلى آخرها. وقد دمّر الله تعالى تلك المعالم، وطمسَ على تلك الأموال، فقال - وهو أصدق القائلين-: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[4].

قال بعض المفسّرين: المقام الكريم الفَيّوم، وقيل: المقام الكريم، ما كان لهم من المجالس والمنابر الحسنة.

وكان فرعون إذا/ جلس على سريره، وضع بين يديه ثلاث مائة كرسي من [٦٨ب] ذهب، تجلس عليها الأشراف من قومه، عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب. وكان قد استعبد بني إسرائيل واتخذهم خدمًا في الأشغال، فطائفة يبنون، وطائفة يزرعون، وطائفة ينحتون السواري، وطائفة يضربون اللبن، وطائفة ينقلون الحجارة، والنساء يغزلن الكتّان وينسِجْن، والضعفاء جعل عليهم ضريبة يؤدونها كل يوم. فمن غَرُبَت

(١) سورة الزخرف ٤٣/ ٥١.
(٢) كذا ورد التكرار في ب.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ١٣٧.
(٤) سورة الشعراء ٢٦/ ٥٧- ٥٨.

عليه الشمس قبل أن يودي ضريبتَه، غُلَّت يمينُه إلى عنقه شهرًا.

فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون، وخلاص بني إسرائيل من هذه الشدّة، أمر موسى أن يسريَ بهم من مصر ليلًا. فأمر موسى قومه أن لا يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح. فأخرج الله تعالى كل ولدِ زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط، حتى رجع كل ابنٍ إلى أبيه. وأَلقَى الله تعالى الموت في القبط، فمات كل بكرٍ لهم[١]. واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا. وخرج موسى في ست مائة ألف وسبعين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره. وكانوا يوم دخلوا إلى مصرَ مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانًا، ما بين رجلٍ وامرأة.

قال ابن عطية[٢]: فتناسلوا حتى بلغوا وقت موسى العدد المذكور. فساروا وموسى على ساقتهم، وهرون على مقدمتهم. وبَدر فيهم فرعون، فجمع قومه وأمرهم أن [لا] يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك. فلم يصحْ في تلك الليلة ديك. فخرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في ألف ألفٍ وسبع مائة ألف [سوى سائر الشباب][٣]، وكان فيهم سبعون ألفًا من دُهْم الخيل، سوى [٦٩آ] سائر الألوان/ . وقيل: كان في عسكر فرعون مائةُ ألفِ حصانٍ أدهم سوى غيرها. وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف. وكان بين يديه مائةُ ألف ناشِبٍ، ومائة ألفٍ أصحاب حِراب، ومائة ألفٍ أصحاب الأعمدة.

(١) عن يوسف وقصته مع أبيه وإخوته، راجع: الثعلبي ٨٢.

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الغرناطي أبو محمد، مفسر وفقيه أندلسي، عارف بالأحكام والأحاديث. وأشهر كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وفاته بين ٥٤١ و٥٤٦هـ. ترجمته في نفح الطيب ٥٩٣/١؛ والوافي للصفدي ٦٦/٨ رقم ٦١.

(٣) الزيادة من آ.

وأوحى الله تعالى إلى البحر: إذا ضرَبكَ موسى بعصاه فانفلق له، فبات يضرب بعضه بعضًا خوفًا من الله تعالى، وانتظارًا [لأمره]. فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقيوا[١] متحيّرين، وقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ هذا فرعون خلفنا، إن أدركنا قتلنا، وإن دخلنا البحر غرقنا. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[٢]. فأَوحَى الله تعالى إليه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾[٣] فضربه فلم يُطِعْهُ. فأَوحى الله تعالى أن كُنْه، فضربه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى. فانفلق، وكان كل فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم. فظهر فيه اثني عشرة طريق[٤] لكل سِبْط طريق. وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل. وأرسل الله تعالى الريح على قعر البحر حتى صارت يبَسًا. فخاضت بنو إسرائيل البحر، كل سِبْط في طريق، ولا يرى بعضُهم بعضًا. فخافوا، فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء «أن تَشَبّكي»، فصار الماء شباكات، يرى بعضُهم بعضًا، ويسمع بعضُهم كلامَ بعض، حتى عبروا سالمين.

فلما وصل فرعونُ إلى البحر رآه منفلقًا، قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي، حتى أُدرِكَ عبيدي الذين أَبقوا. ادخلوا البحر. فهاب قومه أن يدخلوه، وقالوا: إِنْ كنت ربًا فادخل البحر/ كما دخل موسى. وكان فرعون على حصانٍ [٦٩ب] أدهَم، ولم يكن في خيل فرعون أنثى. فجاء جبريل في صورة هامان على فرسٍ

(١) كذا في ب، والصواب: فبقوا.
(٢) سورة الشعراء ٢٦/ ٦١- ٦٢.
(٣) سورة الشعراء ٢٦/ ٦٣.
(٤) كذا في ب، وصوابه: اثنا عشر طريقًا، وهو ما ورد في آ

أنثى وديق [أي حائل][(١)]، فتقدمه وخاض البحر. فلما شم أدهمُ فرعون ريحَها، اقتحم البحر في أثرها، فلم يملك فرعونُ من أمره شيئًا، واقتحمت الخيول خلفه البحر. فلما صار آخرهم في البحر وهَمَّ أولُهم بالخروج انطبق عليهم طرفا البحر، وكمكم[(٢)] الماء، واسودّ، وعلا ضجيجُه ومَوجُه، وغرقوا أجمعين. فلما ألجمَ فرعونَ الغَرقُ قال: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[(٣)]. فجعل جبريل يدس في فيه من طين البحر ويقول: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[(٤)].

وفي القصة أن نيل مصر أمسك عن الجَرْي في زمن فرعون، فقالت القبط لفرعون: إن كنتَ ربًّا فأجْرِ لنا الماء. فركب وأمر بجنوده قائدًا قائدًا، وجعلوا يقفون على درجاتهم، وتقدم هو حيث لا يرونه، ونزل عن فرسه، ولبس ثيابًا له أخرى وَسِخَة، وتضرَّعَ إلى الله تعالى، فأجرى الله تعالى له الماء.

فأتاه جبريل وهو وحده بفتيا: ما يقول الأمير في عبدٍ لرجلٍ نشأ في نعمته ولا سيّد له غيره، فكفر بنعمته وادّعى السيادة؟. فكتب فرعون [فيها]: يقول أبو العباس[(٥)] الوليد بن مصعب بن الريّان: جزاء العبد الخارج على[(٦)] سيده أن يُغَرّقَ في البحر. فأخذه جبريل ومَرَّ. فلما ألجمه البحر، ناوله جبريل خطه فعرفه. وأغرقَهُ الله، وذلك في بحر قُلزُم من بحار فارس[(٧)]، وقيل من بحار مصر، والله تعالى أعلم.

(١) ودقت ذات الحافر: إذا أرادت الفحل. (لسان العرب)، وقد وردت كذا في ب، والزيادة من آ.
(٢) وكمكم الماء: كذا في ب، وفي رواية أخرى: لملم
(٣) سورة يونس ١٠/ ٩٠.
(٤) سورة يونس ١٠/ ٩١.
(٥) في رواية آ: أبو مُرَّة، والزيادة من آ.
(٦) في ب: عن.
(٧) كذا في ب.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: قيل إن مؤمن آل فرعون، كان ابن عم فرعون، وهو الذي قال لموسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ - أي يتشاورون في قتلك - لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1].

رُوِيَ أن رجلين سمعاه فسعيا به إلى فرعون وقالا/ له إنه آمن بموسى. فأمر [١٧٠آ] فرعون بإحضاره. فلما أحضراه قال لهما فرعون: من ربّكما؟ فقالا له: أنت. فقال للمؤمن: من رَبُّكَ؟ فقال: ربي وربهما، فتوهّم فرعون أنه قصده بهذا القول. فقال للساعيين: سعيتما إليّ برجلٍ هو على ديني لا أقتله ولأقتلنكما مكانه. فصلبهما وسَلِمَ الرجل [المؤمن][2]. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[3]. فقوبِل منهما كل أحدٍ بسوءِ فِعْلِهِ. وانعكَست عليه حيلته، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[4].

ثانيها: أقول: وفي معنى هذه الحكاية، ما حكي أنه كان لبعض الملوك وزيرًا، إذا صحبه[5] كل يوم يسلّم عليه ثم يقول بعد السلام: سيُجزَى المحسنُ بإحسانه وسيكفيك شَرَّ المسيء إساءته. لا يترك هذا القول كل يوم. وكان مقربًا عند الملك، فحسده حاسد، فسعى في هلاكه بأن أضافه وأطعمه طعامًا فيه ثوم كثير. ثم جاء إلى الملك وقال: إن هذا الوزير الذي قدمته على كل أصحابك قد

(١) سورة القصص ٢٨/ ٢٠.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) سورة غافر ٤٠/ ٤٥.
(٤) سورة فاطر ٣٥/ ٤٣.
(٥) كذا في ب، وفي آ: صبَّحه.

فضحك بين الناس وأشاع عنك البَخَر. فلما أصبح الصباح، جاء الوزير على عادته للسلام على الملك، فغطى فمه، لئلا يشمَّ الملكُ منه رائحةَ الثوم. فظن الملك أنه غطَّى فَمه لأجل البخر الذي أشاعه عنه.

فكتب الملك رقعة إلى بعض نوّابه، وقال فيها: إذا وصلتْ إليك الرقعة فاقطع رأس حاملها واسلخه واملأ جلده تبنًا، ثم ختم الورقة. وكانت عادة الملك ألّا يكتب بيده إلا رقعة الجائزة العظيمة. وأعطاها للوزير وأوهمه أنها صلة وجائزة، وقال له: ادفع هذه الرقعة إلى فلان. فظن الوزير أنها جائزة. فخرج فوجد الحاسدَ الذي وشَى به عند الملك واقفًا على الباب. فقال للوزير: ما هذه الرقعة؟/ قال: جائزة كتبها لي[1] الملك. فقال: ادفعها إليّ حتى أذهب فأحصلها [٧٠ب] وأحملها إليك. فدفعها إليه، فذهب بها ففُعِلَ به ما كان مكتوبًا فيها.

فلما جاء الوزير في اليوم الثاني على عادته للسلام على الملك، تعجّب الملك منه وسأله عن القصة، فذكرها له. فقال: هل كان بينك وبينه شيء؟ قال: لا، إلا أنه أضافني وأطعمني طعامًا فيه ثوم كثير، ولذلك غطّيت فمي أمسِ عند السلام عليك، ولا أعلم بيني وبينه غير هذا. قال له الملك: صدقت في قولك كل يوم، إن المحسن سيُجزَى بإحسانه، وسيكفيك شرَّ المسيء إساءتُه.

أقول: وعلى ذكر هذه الصلة ذكرت ما حكي عن المتلمِّس وطرفة بن العبد، وذلك أنهما كانا ينادمان الملك عمرو بن هند، فهجواه هجوًا قبيحًا، فبلغه فلم يظهر لهما شيئًا من التغيُّر. ثم مدحاه بعد ذلك، فكتب لهما إلى عامله بالحيرة[2] -وقيل بالبحرين[3] - كتابين، وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه، وأوهمهما أنه كتب

(١) كذا في ب، وفي آ: كتبها لي.
(٢) كذا في ب، وهو خطأ من الناسخ، لأن الحيرة كانت قاعدة مُلكه هو.
(٣) كذا في ب، والمقصود بذلك البحرين كما هو مشهور في روايات القصة في جميع مصادرها، عد إلى تفاصيل ذلك في الشعر والشعراء ١/ ١١٧- ١٢٦.

لهما بصلة وجائزة. فخرجا حتى مرا في بعض الطريق بشيخٍ وهو يُحْدِثُ ويأكل خبزًا ويتناول القمل من ثيابه.

فقال المتلمّس: ما رأيت شيخًا كاليوم أحمق من هذا. فقال له الشيخ: وما رأيت من حمقي؟ أُخرج داءً وأُدخلُ دواءً، وأقتل عدوًا. ولكن أحمق مني الذي يحمل حتفه في يده. فاستراب المتلمّس وقال لطرفة: كل واحد منا قد هجا الملك، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى أحد، فهلمّ لندفع كتبنا لمن يقرأهما، لأنهما كانا لا يحسنان الخط[1]. فقال طرفة: ما كنت لأفتح كتاب الملك. فقال المتلمس: والله لأفتحنّه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده.

ثم نظر فإذا غلام قد خرج من الحِيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟/ قال: نعم، [٧١آ] فدفع إليه الكتاب. فلما نظر إليه قال: ثكلتِ المتلمّسَ أُمُّه، وإذا في الكتاب: إذا أتاكَ المتلمّس فاقطع يديه ورجليه وأذنيه، وادفنه حيًا. فقال لطرفة: افتح كتابك، فما فيه إلا مثل [ما في][2] كتابي. فقال: إن كان اجترأ عليك، فلم يكن ليجترئ عليّ، ويوغر صدور قومي.

فألقى المتلمِّس صحيفته في نهر الحيرة وفرّ هاربًا إلى الشام. ودخل طرفةُ الحيرة[3]، ودفع الكتاب إلى العامل، وأخبره بما كان من المتلمّس. فحنّ عليه لصدقه، ودسّ عليه من أشار عليه بالهروب فلم ينتصح. وجاء إلى العامل وقال له: أظنك ثقلت عليك جائزتي، وبخلتَ عليَّ بها، فقال: أما إذا كان الأمر هكذا، فأنا أجيزك. وأخذه وفعل به ما كان في الكتاب. فقطع يديه ورجليه وأذنيه ودفنه حيًّا.

(١) في آ: القراءة، وهو الأدنى إلى الصواب.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) كذا في كل الأصول، وهو خطأ، وصوابه: البحرين.

وطرفة بن العبد هذا، هو أحد أصحاب القصائد المعلّقات السبع وأول قصيدته المعلقة قوله:[١] [من الطويل]

لِخَولــةَ أطــلالٌ ببُرقــةِ ثَهْمَــدِ تلـوحُ كبـاقي الوَشْـمِ في ظـاهر اليـدِ
وُقوفًـا بهـا صَـحْبي علـيَّ مَطِـيَّهم يقولـون: «لا تهلِـكْ أَسـىً وتجلَّـدِ»

وقد ضمَّنتُ أنا عجزَ هذا البيت فقلت من مقامةٍ عملتها في الأهرام:[من الطويل]

لقـد بـتُّ في الأهـرام حَـولَ أَحبّـةٍ جُفـوني ببْـردٍ يـابسٍ وتسَـهُّدِ
يقـول بهـا صَـحْبي لـبردِ جليـدِها وهَجْـريَ: لا تهلِـك أسـىً وتجلَّـدِ

ومن قصيدة طرفة المذكورة[٢]:

سَتُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيـكَ بالأخبـارِ مـن لـم تـزوِّدِ
ويأتيـكَ بالأخبـار مـن لـم تَـوَدُّه[٣] بقلبٍ ولـم تضربْ لـه وقتَ مَوْعِـدِ

ثالثها: أقول: وعلى ذكر سَلامة الوزير وهَلاكِ الذي وشَى عليه[٤]، ذكرت ما [٧١ب] حكي عن/ أحمد بن طولون[٥]، وذلك أنه دخل على أبيه يومًا وهو صغير، فقال:

(١) البيتان هما مطلع معلّقة طرفة بن العبد البكري، والتي تبلغ مائة بيت وبيتين، حسب رواية البطليوسي؛ وعن طرفة راجع الشعر والشعراء لابن قتبة ١/ ١١٧- ١٢٦ رقم ٧؛ وخزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٤١٩، و٦/ ٣٤٥.

(٢) هما البيتان الأخيران من المعلّقة.

(٣) في شرح البطليوسي ٢/ ٤٣٠: ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتًا...

(٤) كذا في ب و آ، والأصح أن يقال: وشى به.

(٥) أحمد بن طولون التركي أبو العباس أمير الشام والثغور ومصر، ولّاه الخليفة المعتز على مصر، راجع ترجمته في الوافي للصفدي ٦/ ٤٣٠ رقم ٢٩٤٥؛ ووفيات الأعيان ١/ ١٥٥؛ والنجوم الزاهرة ٣/ ١.

بالباب قوم ضعفاء، فلو كتبت لهم بشيء. فقال: ائتني بدواة وقرطاس. فذهب فرأى في الدهليز حَظيةً من حظايا أبيه قد خلا بها خادم. فأخذ الدواة ولم يتكلم بشيء. وخَشِيت الجارية أن يسبقها إلى [أبيه][1] طولون، فجاءت إليه وقالت له: إن أحمد راودني الساعة في الدهليز، فصدَّقها. وكتب كتابًا إلى بعض خدمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مَشورة. وقال لأحمد: اذهب بهذا الكتاب إلى فلان. فأخذه ومر على الجارية فقالت: إلى أين؟ فقال: في حاجة مهمة للأمير، ولم يعلم ما في الكتاب. فقالت: أنا أُرسلُه إليه، ولي بك حاجة. فدفع إليها الكتاب، فدفعته إلى الخادم الذي كان معها، وقالت: اذهب به. وإنما قصَدتْ أن يزداد طولون حنقًا على أحمد. فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم وبعث به إلى طولون. فلما رآه عجب، واستدعى أحمد وقال: اصدقني، ما الذي رأيت، وإلا قتلتك. فأخبره قصة الجارية، فطلب الجارية وقال: اصدقيني. فحدثته بقصة الخادم فقتلها[2].

وحَظِيَ أحمدُ عنده. ونشأ على سيرة حسنة، وطلب العلم، وسمع الحديث. وتقلّبت به الأحوال حتى وَلِيَ مصرَ والشام. وكان حكمه من الفرات إلى المغرب. وغرم على الجامع المعروف به مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار[3]. ورتب للعلماء والقُرّاء وأرباب البيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار، وللصدقة في كل يوم مائة دينار. وكانت فيه خِلال جميلة، إلا أنه كان سَفَّاكًا للدماء. ومات في حبسه ثمانية عشر ألفًا، وتوفي سنة ثمان وستين ومائتين./ وقيل له في المنام: [٧٢آ] ما فعل الله بك؟ فقال: إنما البلاء على من ظلم من لا ناصر له إلا الله تعالى، وما على رؤساء الدنيا أشدّ من الحجاب لطلب الإنصاف.

(١) الزيادة من آ.
(٢) المقفى الكبير للمقريزي ١/ ٤١٧ رقم ٤٥٨؛ والنجوم الزاهرة ٣/ ٢.
(٣) النجوم الزاهرة ٣/ ٨.

وقال بعضهم: كنتُ أرى شيخًا يقرأ على قبره ثم تركه، فسألته فقال: كان له علينا بعض العدل، فأحببت أن أصله بالقرآن. ثم رأيته في المنام فقال: لا تقرأ عليّ شيئًا، فإنه ما تمرّ بي آية إلا قيل لي: أما سمعت هذه؟ وخلّف ثلاثة وثلاثين ولدًا، سبعة عشر ذكور[١]، وخلّف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار، ومن المماليك سبعة آلاف، ومن الغلمان أربعة وعشرين ألفًا، ومن الخيل سبعة آلاف فرس، ومن البغال والحمير ستة آلاف رأس، ومن الجمال عشرة آلاف، ومن الدوابّ الخاصة به ثلاث مائة، ومن المراكب الشواني الحربية [والأغربة][٢] مائة مركب. وكان خاصُّه في كل سنة أربعة آلاف ألف دينار[٣].

رابعها: أقول: ومثل جواب مؤمن آل فرعون المتقدم ما اتفق لابن الجوزي[٤] رحمه الله، وذلك أنه وقع نزاع بين السنة والشيعة ببغداد في المفاضلة بين أبي بكرٍ وعلي رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي. فأقاموا شخصًا فسأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه فقال: أفضلهما من كانت ابنتُه تحته، ثم نزل في الحال لئلا يعاوَدُ في ذلك. فقالت السّنة: هو أبو بكر، لأن ابنته عائشة رضي الله عنها كانت تحت رسول الله ﷺ. وقالت الشيعة: هو علي لأن فاطمة كانت/ تحته. وهذا من لطيف الأجوبة. ولو حصل [٧٢ب] بعد الفِكْر التام كان في غاية الحُسْن فضلًا عن البديهة.

خامسها: وسأله إنسان أيضًا فقال: ما لنا نرى الكوزَ الجديد إذا صُبَّ فيه الماء ينش ويخرج منه صوت. فما معنى ذلك؟ فقال له: يا ولدي، ذلك صوت

(١) في آ: ذكرًا.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/٨-٢١.
(٤) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي القرشي علّامة عصره، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٨/١٨٦ رقم ٢٣٥.

شكواه، فإنه يشكو إلى برد الماء ما لاقاه من حر النار. فقال السائل: فما لنا نراه إذا ملأناه لا يبرد، فإذا نقص برد؟ فقال الشيخ: حتى تعلموا أن الهوَى[١] لا يدخل إلا على ناقص.

سادسها: أنشد أيضًا رحمه الله في بعض مجالس وعظه:[من البسيط]

أصبحتُ أَلطفَ من مرّ النسيم سَرَى ... على الرياضِ يكادُ الوهمُ يؤلمني
مِنْ كل معنىً لطيفٍ أجتلي قَدحًا ... وكلُّ ناطقةٍ في الكون تُطربني

فقام إليه إنسان وقصد العبث، فقال له: يا مولانا، قولك: وكل ناطقةٍ في الكون تطربني، فإن كان الناطق حمارًا؟ فقال له الشيخ: أقول له: اسكت يا حمار.

سابعها: قال رحمه الله في بعض مجالس وعظه: ما خلق الله رئيسًا في الخير، إلّا وله مقابل من أهل الشرّ، خلق آدم وإبليس، والخليل والنمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا ﷺ وأبا جهل، وهكذا أبدًا. فقام إليه سائل فقال: بالله أنت من يجاذبك؟[٢] فقال: لا حدّ، وهذه كلمة بغدادية معناها أن الذي يجاذبني ليس بشيء.

وسأله إنسان عن الحسين الحلّاج[٣] فقال: ما يسأل عن الحلّاج إلا حائك. وقال له إنسان: تركتُ الدنيا وحبُّ الرئاسة ما يخرج من قلبي. فقال له: المكاتب عبدٌ ما بقي عليه درهم.

ومن لطيف أجوبته أن إنسانًا سأله: كيف نسب قتل الحسين إلى يزيد، والحسين/ بكربلاء ويزيد بدمشق؟ فأنشده:[من البسيط] [١٧٣آ]

(١) كذا في ب، وهو الهواء.
(٢) في آ: يجاريك.
(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٣/ ٧٠ رقم ٦٢.

سَـهمٌ أصـابَ وراميـه بـذي سَـلِمٍ مَـنْ بـالعراق، لقـد أبعـدتِ مرمـاكِ

سبحان من أعطاه سرعةَ الجواب مع إصابة الصواب.

ومن غريب ما حكي عنه رحمه الله، أنه حسبت الكراريس التي كتبها مدة عمره. فكان ما يخص كل يوم منها سبع كراريس[1]، وهذا من العجائب التي لا يكاد يقبلها العقل. وجمعت برايات الأقلام التي كتب بها حديث النبي ﷺ، فحصل منها شيء كثير. وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل، فكفت وفضل منها.

(١) في آ: سبعة كراريس.

الباب الثالث
في ذكر نبذةٍ يسيرةٍ من أخبار الملوك السالفة بمصر وما كان لبعضهم من السِّحْر والأعمال العجيبة

أقول: ذكر صاحب كتاب «البستان في تاريخ الزمان»، أنه كان للترك ملوك يقال لهم الخاقانية، وللديلم ملوك يقال لهم الكاسانية، وللفرس ملوك يقال لهم الأكاسرة، وللروم ملوك يقال لهم القياصرة، وللأنباط ملوك يقال لهم النماردة، وللعرب ملوك يقال لهم التبابعة، وللقبط ملوك يقال لهم الفراعنة، بادوا جميعًا وانقرضوا سريعًا، فنسيت أخبارهم ودَرَسَتْ آثارهم فلم يبق لهم حديث يُروى ولا تاريخ يُتلَى.

قال صاعد في «طبقات الأمم»[1]: أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم [وعز قديم] في الدهور الخالية والأزمان السالفة الماضية، وكانوا أخلاطًا من الأمم ما بين قبطي ويوناني [وروومي] وعمليقي، إلا أن أكثرهم [جمهرتهم][2] قبط، وأكثر من ملك مصر الغرباء. وصار بعد طوفان نوح بمصر علماء بضروب من العلوم ولاسيما علم الطِّلْسْمات والنارنجيات/ والكيمياء، وطلسماتهم إلى الآن باقية لم [٧٣ب] تتغير، وحكمتهم باهرة، وعجائبهم ظاهرة. وكانت مصر خمسة وثمانين كورة، في كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة، وكان الذي يعبد منهم الكواكب السبعة سبع سنين سموه[3] «ماهرًا»، والذي يعبدها تسعًا وأربعين سنة، لكل كوكب سبع

(١) الزيادات من طبقات الأمم لصاعد ١٠٤- ١٠٥.

(٢) هذا كلام إنشائي، لأن هذه الأقوام هي التي اندرست وليس تواريخهم التي تدرسها الأجيال اللاحقة. راجع كتاب طبقات الأمم للقاضي صاعد ١٠٤- ١١٠.

(٣) في آ: يسمونه.

سنين يسمونه «فاطرًا». وهذا يقوم الملك إجلالًا له ويجلسه إلى جانبه، ولا يتصرّف إلا برأيه، ويدخل على الملك في صبيحة كل يوم ومعه سبعة من الكهنة، وجماعة من أرباب الصناعات، فيقفون أمامه.

وكل واحد من الكهنة السبعة منفرد بخدمة كوكب لا يتعداه إلى سواه، ويسمّى بعبد ذلك الكوكب. أما الذي هو عبد الشمس أو عبد القمر أو عبد زحل فيقول «الفاطر» لأحدهم: أين صاحبك؟ يعني الكوكب الذي هو مكفل بخدمته. فيقول له: في البرج الفلاني، في الدرجة الفلانية، في الدقيقة الفلانية. ويسأل الآخر كذلك، فيجيبه، حتى إذا عرف مستقرّ الكواكب السبعة، قال للملك: ينبغي أن تفعل اليوم كذا وكذا، وتأكل كذا وكذا، وتجامع كذا وكذا، وتركب في وقت كذا وكذا. فيقول له: جميع ما فيه من المصالح، والكاتب واقف بين يديه يكتب جميع ما يقول، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات، ويأمرهم بوضع أيديهم في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك الوقت، ويؤرخ جميع ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة، وتطوى وتودع في خزائن الملك[١].

وكان الملك إذا عزم على أمرٍ مهم أمر بجمعهم خارج الأسواق، فتصطف [١٧٤آ] لهم الناس في شوارع المدينة، فيأتون ركبانًا، وبين أيديهم الطبول/ وأنواع الملاهي، ويدخل كل واحد منهم بأعجوبة. فمنهم من يعلو[٢] عليه نور كنور الشمس لا يقدر أحد على النظر إليه، [ومنهم من يكون على يديه جوهر أحمر أو أصفر أو أخضر أو أزرق][٣]، ومنهم من عليه ثوب منسوج بالذهب، ومنهم من يكون عليه قبة عظيمة من نور، وكل واحد يصنع ما يدل على كوكبه الذي يخدمه،

(١) الفضائل الباهرة لابن ظهيرة ١٢.
(٢) في ب: يعلوا.
(٣) الزيادة من آ.

ومنهم من يكون راكبًا أسدًا متوشحًا بحيات عظيمة. فإذا قص عليهم الملك أمره، ضربوا له من الأمر ما يتفق وملك مصر[١].

وملَك مصرَ سبعةٌ من الكهنة. وكانت لهم الأعمال العجيبة والأمور الغريبة.

الكاهن الأول: اسمه صيلم[٢]. وكان كاهنًا يعمل الأعمال العجيبة، وهو أول من عمل مقياسًا لزيادة النيل، وعمل بركة من نحاس عليها عُقابان، ذكر وأنثى، وفيها قليل من الماء، فإذا كان أول شهر يزيد فيه النيل، اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام، فيصفر أحد العقابين. فإن كان الذكر كان الماء عاليًا، وإن كانت الأنثى، كان الماءُ ناقصًا فيعتدّون لذلك.

الكاهن الثاني: أسمه: أعشامشر، من أعماله العجيبة أنه عمل ميزانًا في هيكل الشمس، وكتب على الكفة الأولى «حقًّا» وعلى الأخرى «باطلًا»، وعمل تحتها فصوصًا، فإذا حضر الظالم والمظلوم، أخذ فصَّين وسَمَّى عليهما ما يريد، وجعل كلّ فصٍّ منهما في كفة، فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم[٣].

الكاهن الثالث: عمل مرآة من المعادن السبعة، فينظر فيها إلى الأقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب، وما حدث فيها من الحوادث. وعمل في وسط المدينة صورة/ امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه، فأي امرأة [٧٤ب] أصابها وجع في جسمها، مسحت ذلك الموضع من جسد تلك المرأة فتبرأ من ساعتها. وهذا من العجائب.

الكاهن الرابع: عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف، إذا تقرّب[٤] منها ظالم خطفته تلك الخطاطيف وتعلّقت به، ولا تفارقه حتى يقرّ بظلمه. وعمل

(١) الفضائل الباهرة ١٤٨.
(٢) في خطط المقريزي: الكاهن خصليم؛ وفي الفصائل الباهرة: صبيلم.
(٣) الفضائل الباهرة ١٤٨.
(٤) في آ: اقترب.

صنمًا من كدّان[١] أسود، وسمّاه عبد زحل يتحاكمون إليه، فمن زاغ عن الحق ثُبِّت في مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينصف من نفسه، [ولو أقام سبع سنين][٢].

الكاهن الخامس: عمل شجرة من نحاس، فكل وحش يصل إليها، لم يستطع الحركة حتى يؤخذ، فشبعت الناس لحم الصيد والوحش في أيامه. وعمل أيضًا على باب المدينة صورة صنمين عن يمين الباب ويساره، فإذا دخل أحد من أهل الخير، ضحك الصنم الذي عن يمين الباب، وإن كان من أهل الشر، بكى الصنم الذي على يساره وقيل غيره عمل ذلك[٣].

الكاهن السادس: صنع درهمًا إذا ابتاع صاحبه به شيئًا، اشترط أن يزن له بزنته من النوع الذي يشتريه، فإذا وضع في الميزان ووضع في مقابله كل ما وجد من الصنف الذي يريد شراءه لم يعدله، ووجد هذا الدرهم في كنوز مصر في أيام بني أمية.

الكاهن السابع: كان يعمل أعمالًا عظيمة، من جملتها أنه كان يجلس في السحاب في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة ثم غاب عنهم، فأقاموا بلا ملك إلى أن رأوه في صورة الشمس، وهو في برج الحمل، فأعلمهم أنه لم يعد إليهم بعدها، وأنهم يملّكوا فلانًا بعده.

أقول: وعلى ذكر هذه الكهنة السبعة وأعمالهم العجيبة، حكى الزمخشري [١٧٥آ] في كتابه «ربيع الأبرار» أنه كان في أرض بابل سبع مدائن في كل/ مدينة أعجوبة[٤].

(١) كدّان، أو كذّان: حجارة رخوة كالمدَر أو الطين.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) الفضائل الباهرة ١٤٩.
(٤) راجع ربيع الأبرار للزمخشري ٣/ ١١٤- ١٥٥؛ وانظر الرواية مع اختلافات في معجم البلدان كياقوت ١/ ٣١٠- ٣١١ (بابل).

في **إحداها** صورة تمثال الأرض، فإذا قصّر بعض رعيّة الملك في حمل الخراج، خرق أنهار بلدهم عليهم في التمثال، فلا يستطيعون سَدّ الخَرْق حتى يؤدوا ما وجب عليهم، وما لم يسدّ في التمثال لم يسدّ عليهم في ذلك البلد.

وفي **الثانية** حَوض، فإذا أراد الملك أن يجمعَهم إلى طعامه وشرابه، أتى كل واحد بما أحب من الشراب فيصبه في ذلك الحوض، فتختلط الأشربة، ثم تقف السقاة وتسقي، فلا يطلع لكل إنسان في قدحه إلا من الشراب الذي جاء به.

وفي **الثالثة** طبل، إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله، قرعوه. فإن كان [الغائب][(١)] حيًّا، سمع صَوْت الطبل، وإذا كان ميتًا لم يسمع له صوت.

أقول: وعلى ذكر هذا الطبل، حكى الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»[(٢)]، أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استعرض حواصل القصرين، بعد وفاة العاضد وانقراض الدولة العبيدية الزاعمة بأنها فاطمية، وجد فيها من الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والثياب شيئًا باهرًا وأمرًا هائلًا، فمن ذلك طبل [للقولنج][(٣)] إذا ضرب عليه أحد فقد حصل له خروج ريح من دبره يتصرف بما يجده من القولنج[(٤)]. فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده ولم يدرِ ما شأنه، فلما ضرب عليه حبق – أي ضرط – فألقاه من يده على الأرض فكسره، فبطل أمره.

قال ابن خلكان[(٥)]: كان عبد المجيد بن المستنصر[(٦)] الملقّب بالحافظ

(١) الزيادات من آ.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ١٢/ ٢٦٦، وقد ذكر أنه ينقل عن تاريخ ابن أبي طي.

(٣) الزيادات من البداية والنهاية، سقطت أثناء النقل، ومنعًا لتشويه المعنى.

(٤) في البداية والنهاية: إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة... خرج منه ذلك الريح من دبره، وينصرف عنه ما يجده من القولنج.

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢٣٥ رقم ٤٠٧.

(٦) المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور. ترجمته في اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٨٤.

الفاطمي كثير المرض بالقولنج، فعمل له شبرمة[١] الديلمي، وقيل موسى النصراني، طبل القولنج الذي كان في خزائنهم، لما ملك صلاح الدين كسره، وقصته مشهورة. وأخبرني حفيد شبرمة المذكور أن جده ركّب هذا الطبل من المعادن السبعة على[٢] الكواكب السبعة في إشرافها، كل واحد في وقته. وكان من خاصته إذا ضربه الإنسان خرج الريح من مخرجه. فلذلك كان ينفع القولنج[٣].

وفي **الرابعة** مرآة، إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أي حالة هو، كأنهم شاهدوه حاضرًا.

وفي **الخامسة**، إوزّة من نحاس، فإذا دخل المدينة غريب، صوّتت الإوزّة صوتًا يسمعه أهل المدينة/ . [٧٥ب]

وفي **السادسة** قاضيان من خشب جالسان على الماء، فيأتي إليهما الخصمان، فيمشي المحقّ على الماء، ويرسب المبطل فيه.

وفي **السابعة** شجرة عظيمة لا تظلّ إلاّ ساقها[٤]، فإن جلس تحتها أحد أظلّته، إلى ألف رجل، فإن زاد عن الألف واحد، زال الظلّ عن الكلّ، وعادت إليهم الشمس، [وجلسوا كلهم في الشمس][٥].

أقول: وبابل التي كانت فيها هذه المدن هي بابل العراق، وقيل بأرض الكوفة. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَرُوتَ﴾[٦] أنّ الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام،

(١) وفيات الأعيان: شيرماه.
(٢) نفسه: والكواكب السبعة في إشراقها.
(٣) نفسه: ولهذه الخاصية كان ينفخ من القولنج.
(٤) في آ: لا تظل ساقها.
(٥) الزيادة من آ.
(٦) سورة البقرة ٢/ ١٠٢.

فعيَّروهم وقالوا: هؤلاء الذين اخترتهم في الأرض، إنهم يعصونك. فقال الله تعالى: «لو أَنْزَلتُكم إلى الأرض وركّبت فيكم ما ركّبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا». فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي أن نعصيك. قال الله تعالى: «فاختاروا ملَكين من خياركم يهبطون إلى الأرض». فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم. فركّب الله تعالى فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحقّ، ونهاهما عن الشِّرك والقتل بغير حقّ، والزنا وشرب الخمر. فكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، ثم صعدا. فما مرّ عليهما شهر حتى افتتنا جميعًا، وذلك أنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة – وكانت من أجمل الناس، وكانت من أهل فارس– وكانت ملكة.

فلمّا رأياها أخذت بقلوبهما[1]، فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت، ثم عادت / في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك، فأبت وقالت: لا إلاّ أن تعبدا ما أعبد، [٧٦آ] وتصلّيا لهذا الصنم وتقتلا النفس، وتشربا الخمر. فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء، فإنّ الله تعالى قد نهانا عنها.

فانصرفت، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها. فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت لهما بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا، فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها، فلمّا فرغا، رآهما إنسان فقتلاه.

قال الربيع بن أنس[2]: وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكبًا، وخيَّر هاروت وماروت بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، لأنه

(١) كذا في ب.

(٢) الربيع بن أنس البكري الحنفي، ترجمته في الوافي بالوفيات ١٤/ ٨٠ رقم ٩٣؛ وطبقات ابن سعد ٧/ ٢/ ١٠٢؛ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٣٨ رقم ٤٦١.

ينقطع. فهما معلّقان بشعورهما إلى يوم القيامة. وقيل: رؤوسهما معصوبة تحت أجنحتهما، وقيل: كبّلا مِن أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقيل: جعلا في جُبّ ملئت نارًا، وقيل: منكوسان يضربان بسياط من حديد.

ورُوي أنّ رجلًا قصدهما ليتعلّم السحر، فوجدهما متعلّقين بأرجلهما مزرَقّةً أعينهما، مسودّةً جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلاّ أربع أصابع، وهما يعذّبان بالعطش. فلمّا رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلاّ الله، فلما سمعا كلامه قالا له: مَن أنت؟ قال: رجل من الناس، فقالا: مِن أيّ الأمم؟ قال: مِن أمّة محمّد ﷺ. قالا: وقد بعث محمّد ﷺ؟ قال: نعم، قالا: الحمد لله، وأظهرا البشارة والاستبشار، فقال الرجل: وبِمَ استبشاركما؟ قالا له: إنه نبيّ الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا.

[٧٦ب] **أقول**: وكان اصطلاح/ ملوك القبط بمصر في النيروز أن يأتي الملك رجل من الليل قد أرصد لما يفعله، ويكون مليح الوجه، حسن الثياب، طيّب الرائحة، فيقف على الباب حتى يصبح، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان، ويقف بحيث يراه الملك، فيقول له الملك: مَن أنت؟ وما اسمك؟ ولأيّ شيء وردت، وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، واسمي المبارك، ومِن قِبَل الله تعالى أقبلت، وللملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة[1] وردت، ومعي السنة الجديدة، ثم يجلس.

ويدخل بعده رجل معه طبق من فضّة وفيه حنطة وشعير وجُلُّبان وذرة وحمّص وسمسم وأرز، من كلّ واحد سبع سنابل، وسبع حبّات، وقطعة سكّر، ودينار ودرهم جديدان. فيضع الطبق بين يدَي الملك، ثم تدخل عليه الهدايا،

(١) في آ: والسعادة.

ويكون أوّل مَن يدخل عليه وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المعونة، ثم الناس على قدْر مراتبهم. ثم يقدّم الملك رغيف كسر[١] مصنوع من تلك الحبوب، وموضوع في سَلَّة، فيأكل منه ويطعم مَن حضر، ثم يقول: هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد، يحتاج أن نجدّد فيه ما أخلق الزمان، وأحقّ الناس بالإحسان [والفضل][٢] الرأسُ لفضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته، ويصلهم ويفرّق عليهم ما حمل إليه من الهدايا.

(١) كذا في ب، وفي آ: ثم يقدم للملك رغيف...
(٢) الزيادة من آ.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: كان من عادة الفُرس في عيدهم أن يدّهن الملك بدُهن البان تبرُّكًا، ويلبس القصب والوشي، ويضع على رأسه تاجًا فيه صورة الشمس، ويكون أول من يدخل عليه المَوْبذان[١] بطبق فيه أُترُجَّة / وقطعة سكّر ونَبْق وسَفَرْجَل وتفّاح [١٧٧أ] وعُنّاب وعنقود عنب أبيض وسبع طاقات آس قد زمزم عليها. ثم تدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك.

أقول: ومن عادة العجم أنهم في أول يوم من سنتهم يجمعون سبع سينات ويأكلونها وهي: السمسم والسكّر والسَّمْن[٢] والسَميد والسنبوسك والسمّاق والسّذاب.

ثانيها: كان أزدشير وأنوشروان يأمرون بإخراج ما في خزائنهما في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفُرش، ويفرَّق على الناس على قدْر مراتبهم، ويقولان: أنّ الملوك تستغني عن كسوة الشتاء في الصيف وعن كسوة الصيف في الشتاء، وليس من أخلاقهم أن تخبَّىء كسوتهما في خزائنهم[٣]، وتساوي العامّة في فعلهم.

ثالثها: كتب ملك الهند إلى أنوشروان: من ملك الهند وعظيم ملوك المشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدُّرّ، إلى أخيه كِسْرَى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية، المحمود السيرة، ملك المملكة المتوسّطة الأقاليم السبعة أنوشروان، وأُهدي إليه ألف متر[٤] مِن عُودٍ يذوب على النار كما يذوب

(١) المَوْبَذ والمَوْبَذان: لفظة فارسية تعني حاكم المجوس وكاهنهم وفيلسوفهم الحاذق والنحرير.
(٢) في آ: السفرجل.
(٣) كذا في الأصول، في آ: أن تدخر كسوتهم.
(٤) في آ: رطل.

الشمع، ويختم عليه كما يختم على الشمع، وجامًا من الياقوت الأحمر فتحته شبر مملوءًا دُرًّا[١]، وعشرة أمنان كافور كالفستق، وأكبر من ذلك، وجارية طولها سبعة أذرُع تضرب أهدابُ[٢] عينيها خدَّها، وكأنّ بين أجفانها لمعان البرق، مع اتّفاق شكلها، مقرونة الحواجب، لها ظفاير تجرّها، وفراشًا من جلود الحيات أنعم من الحرير وأحسن من الوشي. وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكادي، مكتوبًا بالذهب الأحمر. وهذا الكادي يكون / بأرض الهند والصين، [٧٧ب] وهو لون عجيب من النبات له رائحة طيّبة تتكاتب فيه الملوك من الهند والصين.

رابعها: كتب أيضًا ملك الصين إلى أنوشروان: من يعصور[٣] ملك الصين صاحب قصرّ الدُرّ والجوهر، وهو الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور، الذي توجد رائحته على فرسخين، والذي بخدمته بنات ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنوشروان، وأهدي إليه فارسًا من دُرّ منضَّد، عينا الفرس والفارس من ياقوت أحمر، وقائم سيفه منضّدة بالجوهر، وثوب صيني فيه صورة الملك في إيوانه، وعليه حُلَّته وتاجه، وعلى رأسه الخدم بأيديهم المرازب[٤]. والصورة منسوجة بالذهب، وأرض الثوب لازَوَرْد في سفط من ذهب، تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالًا، وغير ذلك مما تُهديه الملوك إلى أمثالها.

خامسها: قوله تعالى في قصة بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[٥]. نقل المفسّرون في وصف هذه الهدية أقوالًا، منها: أنها كانت خمس مائة لبنة من

(١) كذا في ب، وفي آ: مملوءٌ.
(٢) في الهامش: أشفار، كما في آ.
(٣) مروج الذهب للمسعودي ١/ ٢٦٥ «فغفور»، وهو لقب ملك الصين.
(٤) في آ: المذابّ.
(٥) سورة النمل ٢٧/ ٣٥.

ذهب، وخمس مائة لبنة من فضة، كلّ لبنة مائة رطل، وتاجًا مكلّلًا بالجواهر، ومِسْكًا وعنبرًا، وحُقَّةً فيها دُرّة [ثمينة][1] وخرزة جزعية معوجَّة النقب، وخمس مائة جارية وخمس مائة غلام، وألبستهم لباسًا واحدًا. وقيل: ألبست الغلمان لباس الجواري و[ألبس] الجواري لباس الغلمان، وعمدت إلى رجل من قومها يقال له المنذر بن عمرو ذي لُبّ، وكتبت معه كتابًا فيه نسخة الهدية وقالت فيه:

إِنْ كنتَ نبيًّا، مَيّز لنا بين الوصفاء والوصايف، وأخبر بما في/ الحقّة قبل أن [١٧٨آ] تفتحها، واثقب الدُرّة ثقبًا مستويًا من غير علاج إنسٍ ولا جِنّ. وأمرت الغلمان أن يكلّموا سليمان بكلام ليّن يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن تكلّمه بكلام فيه غِلْظة يشبه كلام الرجال، وقالت للرسول: انظر إليه فإن نظر إليك نظر مغضب، فاعلم بأنه ملك، فلا يهوُلنَّك أمرُه ومنظرُه، وإنْ رأيته هشًّا لطيفًا فاعلم أنه نبيّ مرسل، فتفهّم قوله ورُدّ الجواب كما سمعت.

فانطلق الرّسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعًا نحو سليمان فخبّره الخبر. فأمر سليمان أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، وأن يبسطوها في موضعه الذي هو فيه إلى سبعة فراسخ، وقيل: ثمانية أميال في مثلها ميدانًا [واحدًا]، وأن يجعلوا حول الميدان حائطًا مشرفًا من الذهب والفضّة، ثم أمر الجنّ فجاؤوا بأحسن دوابّ البحر والبرّ فجعلوها عن يمين الميدان وشماله، وأمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعًا خاليًا على قدْر اللَّبِنات التي هي معهم، وجلس هو في الميدان وحوله الجنّ والإنس والشياطين والطير والوحش.

قال: فلمّا رأى الرسول ذلك الموضع الخالي من اللبنات الذهب والفضة، خافوا أن يُتَّهموا، فتركوا ما معهم من اللّبنات فيه، فجعلوا يمرّون على كراديس

(١) الزيادات من آ.

الجنّ والإنس والشياطين وسائر الحيوانات، حتى وصلوا إلى سليمان عليه السلام، فنظر إليهم بوجه حسن طَلق وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم الخبر، وأعطاه كتاب الملكة. فنظر فيه فقال: أين الحُقّة؟ فجيء بها، فقال له جبريل عليه السلام: إنَّ فيها دُرَّة/ ثمينة غير مثقوبة، وجزعيّة معوجّة الثقب. فقال ذلك الرسول: [٧٨ب]

صدقتَ، فأمر سليمان عليه السلام الأرَضة، فأخذت شعرة في فيها، ودخلت في الدُرّة حتى خرجت منها من الجانب الآخر. وجاءت دودة أخرى بيضاء فأخذت خيطًا بفيها، ودخلت بثقب الخرزة المثقوبة، وخرجت من الجانب الآخر، ثم جمع بين طرفي الخيط وختمه ودفعه إليهم. ثم ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا أيديهم ووجوههم، فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها وتجعله في اليد الأخرى، ثم تضرب به وجهها، والغلام كان يأخذ من الآنية يضرب به وجهه. وقيل: كانت الجارية تصبّ الماء على باطن يديها، والغلام على ظاهرهما، فميّز بين الجواري والغلمان وردّ الهدية.

فلمّا رجع الرسول إلى بلقيس وأخبرها الخبر، فعرفت أنه ليس بملك، وما لنا به طاقة. وأرسلت إليه، إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما تدعوا[١] إليه من دينك.

قال الكواشي في تفسيره: ثم جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها. وكان قصرها داخل سبعة[٢] قصور. ثم أغلقت الأبواب كلّها، وجعلت عليها حرسًا ووصَّتهم بحفظه. ثم ارْتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف، وقيل: في ألوفٍ كثيرة. فلمّا نزلت على فرسخ من سليمان، أراد أخْذ عرشها قبل أن تصل إليه مسلمةً، فتحرم عليه إذ ذاك. وقيل: ليريها قدْرة الله تعالى، وما أعطاه لأنبيائه من المعجزات.

(١) كذا في ب، وفي آ: تدعونا.
(٢) في ب: سبع، والتصويب من آ.

وأقبل على جنوده ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[1] أي مؤمنين طائعين؟ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو «صخر» [٧٩آ] الجنّي، وكان يضع قدمه عند منتهَى طرْفه: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[2] أي مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس. وكان سليمان يقضي بين الناس من طلوع الشمس إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ أي قويّ على حمْله، أمين على ما فيه من الجواهر.

فقال سليمان: أريد أسرعَ من ذلك: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3]، قيل: هو جبريل، وقيل: هو الخِضْر، وقيل: آصف بن برخيا[4]، وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئلَ به أُعطي[5]، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي بمقدار ما تفتح عينَك ثم تطرفها، وقيل: بمقدار ما ينتهي طرْفك إذا مدَدْتَه إلى مداه.

والمعنى: آتيكَ به في أسرع وقت. فقال آصف لسليمان: مُدّ عينك حتى ينتهي طرْفك، فمدّ سليمانُ عينيه نحو اليمن، فدعا آصف، فغار عرشُ بلقيس ونبع من تحت كرسيّ سليمان، وكانت المسافة بينهما شهرين، وكان الدعاء الذي دعا به آصف:

«يا ذا الجلال والإكرام»، وقيل: «يا حَيُّ يا قَيُّومُ»، وقيل: «يا إلَهنا وإلَه كلّ شيء، إلهًا واحدًا، لا إله إلاّ أنت، ائتني بعرشها». فلمّا رآه مستقرّا عنده ثابتًا لديه، قد حُمِلَ مِن مأْربَ إلى الشام في أيْسَر مدّة، قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾[6].

(١) سورة النمل ٢٧/ ٣٨.
(٢) سورة النمل ٢٧/ ٣٩.
(٣) سورة النمل ٢٧/ ٤٠.
(٤) زيادة من م.
(٥) كذا في ب، ولعله: إذا دَعا به أُجيب، وأُعطيَ.
(٦) سورة النمل ٢٧/ ٤٠.

فلمّا جاءت قيل: أهكذا عرشُكِ؟ قالت: كأنه هو، عرفته ولكن شبّهت عليهم كما شبّهوا عليها. فعرف سليمانُ عقلَها حيث لم تقرّ ولم تنكر. قيل لها: [٧٩ب] ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ أي ماءً عظيمًا،/ ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾ وقرئ[١]: عن رجليها، فرآها سليمان أحسن الناس ساقين، لكنه رأى عليهما شعرًا، فصرف وجهه عنها، ثم ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾[٢]، أي مملَّس مستوي من قوارير، أي من زجاج وليس بها[٣] حقيقة. ثم دعاها إلى الإسلام فأجابت وأسلمت، وأراد تزويجها[٤]، لكنه كره شعر ساقيها. فعملت لها الشياطين «النُّورة»[٥]، فلمّا استعملتها أزالت شعر ساقيها. فهي أوّل مَن اتّخذ «النُّورة». فلمّا تزوَّجها أحبَّها حبًّا شديدًا، وأقرّها على مُلكها. وأمر الجنّ فبنَوا لها باليمن ثلاثة قصورٍ لم يُرَ مِثلُها حُسْنًا وارتفاعًا. وكان يزورها في ملكها كلّ شهرين[٦] مرَّةً.

سادسها: قال الكواشي في تفسيره بعد ذكر هذه القصة عند قوله تعالى، حتى: ﴿إِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[٧] أي وقع القول على الكفّار. وقيل: جميع الناس[٨]. والمراد بالقول: العذاب. قال: ورُوي أنّ الدابّة لها رأسُ ثورٍ، وعينُ خنزيرٍ، وأُذن فيلٍ،

(١) كذا في آ و ب، وهي: كشفت.
(٢) سورة النمل ٢٧/ ٤٤؛ وانظر تفاصيل قصة سليمان وبلقيس في الثعلبي ٢٣٩- ٢٤٤.
(٣) في آ: ماء حقيقةً.
(٤) كذا في ب، وهي: تزوُّجها كما في آ.
(٥) النُّورة: الهِناء: وهي الحجر الذي يحرق ويسوَّى منه الكِلْس، ويحلق به العانة، راجع لسان العرب (نَوَر).
(٦) في آ: كلَّ شهرٍ.
(٧) سورة النمل ٢٧/ ٨٢.
(٨) في آ: وقيل: على جميع أهل النار.

ولون نَمِر، وصدرُ أسدٍ، وخاصرةُ هِرّةٍ، وقرنُ أيْلٍ، وذنَبُ كبشٍ[١]، وقوائم بعير، بين كلّ مفصلين اثني عشر ذراعًا. وقيل: إنّ لها وجه[٢] كوجه رجل وسائرها طير. وقيل: لها زغب وريش وجناحان، رأسها يمسّ السحاب، ورجلاها في الأرض. وعن النبيّ ﷺ: «بَيْنَمَا عِيسَى عليه السلام يَطُوفُ بِالنَّاسِ بِالبَيْتِ فَتَضْطَرِبُ الأَرْضُ وَتَنْشَقُّ الصَّفا مِمَّا يَلِي المَسْعَى فَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مُلَمَّعةً، أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْهَا رَأْسُهَا ذاتُ وَبَرٍ وَرِيشٍ، لاَ يُدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلاَ يَفُوتُهَا هَارِبٌ،/ مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ [١٨٠آ] سُلَيْمَانَ».

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لَوْ أَشَاءُ أن أَضَعَ قَدَمِي مَكَانَها اليَوْمَ لَفَعَلتْ». وجاء أنها تختم أنف الكافر بالخاتم، وتجلوا[٣] وجه المؤمن بالعصى، حتى أن أهل البيت ليجتمعون فيقولون لهذا: يا مؤمن، ولهذا: يا كافر.

وعنه ﷺ أنّها تَسِمُ الكافر بين عينيه «كافر»، والمؤمن بين عينيه «مؤمن».

سابعها: ذكر أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤] وأنهم ثلاثة أصناف: صنف كأمثال الأَرْز، وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعًا، وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعًا. وهذا الصنف لا تثبت له الجبال ولا الحديد، وصنفٌ يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرّون بفيل ولا خنزير ولا وحش إلاّ أكلوه. ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، على أنّ منهم مَن طوله شِبْر، ومنهم مَن هو مفرط في الطول.

(١) في آ: وذنب أَيل وقرن كبس.
(٢) في آ: لها وجه رجل، وسائرها طير.
(٣) كذا في ب.
(٤) سورة الكهف ١٨/ ٩٤، وعن يأجوج ومأجوج، راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ١٩/ ٥٨٢.

وعن ابن عباس ﵄ أنّ يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وبنو آدم كلّهم جزء واحد.

وعن حُذيفة [ابن اليمان][(١)] مرفوعًا: أنّ يأجوج أمّة ومأجوج أمّة، وكلّ أمّة أربع مائة أمّة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكرٍ من صُلبه، قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا، وخروجهم بعد عيسى ﵇ وقتْله الدجّال، [٨٠ب] فيتحصّن عيسى ﵇ ومَن معه من المؤمنين، ولا يقدرون أن يأتوا / مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، وهلاكهم أن يرسل الله تعالى عليهم الدود في أعناقهم فيهلكون. ثم تحملهم طير كأعناق البُخْت[(٢)] فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يرسل الله عليهم مطرًا فيغسل آثارهم. وجاء أنّ التُّرك سريّة منهم خرجت من يأجوج ومأجوج للمفازة، فسدَّ ذو القرنين دونهما، فجميع الترك منهم.

وقال قتادة: هم اثنان وعشرون قبيلة سَدَّ ذو القرنين عن إحدى وعشرين قبيلة وترك واحدة، فلذلك سُمُّوا تُرْكًا، وفسادهم في الأرض أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، وقيل: كانوا يأكلون الناس، فشكوا [ذلك] إلى ذي القرنين، فبنَى عليهم سدًّا كما أخبر الله تعالى. قيل: عرضه خمسون ذراعًا، وارتفاعه مائتا ذراع، وطوله فرسخ، وقيل: إنّ ما بين السدّين مائة فرسخ.

وعن النبيّ ﷺ أنّ رجلًا أخبره أنه رآه فقال: كيف رأيته: فقال: رأيته كالبُرْد المحبَّر[(٣)] طريقة سوداء وطريقة حمراء. فقال: رأيته، وكان الواثق[(٤)] قد رأى [أنَّ]

(١) الزيادة من آ.
(٢) البُخْت هي الإبل الخُراسانية، انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (ب خ ت).
(٣) في آ: كالبرود المحبّرة.
(٤) هو أبو جعفر هارون بن محمد بن المعتصم العبّاسي. استنفدت ترجمته معظم مادّة الجزء السادس من الكامل في التاريخ لابن الأثير الشيباني، وراجع ترجمته في الوافي للصفدي ١٧/ ٢٠٤ رقم ١٧٠.

السدّ قد فُتح فهالَه ذلك، وأرسل سلامة الترجمان فسار من سامرّاء إلى أن وصل إلى السدّ، وجاء فأخبره بخبره، وحكايته طريفة صحيحة، وقد ذكرتها في كتابي «غرائب العجائب وعجائب الغرائب».

الباب الرابع
في بسْط الكلام على ما وقع من ذلك في سِيرة الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين بمصر[1] وذِكْر طرَف يسير من أُموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشريعة

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

«كان - يعني الحاكم - جَبَّارًا عنيدًا وشيطانًا فريدًا. ولنذكر شيئًا من صفاته القبيحة وسِيرته/ الملعونة - أخزاه الله - ولا وقاه شرًّا. كان - قبَّحه الله - كثير [١٨١آ] التلوُّن في أقواله وأفعاله، وكان يروم أن يدّعي الإلهية كما ادّعاها فرعون في زمن موسى. وكان أَمَر الرعيّة إذا ذكره الخطيب على المنبر، أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه. فكان يفعل هذا في سائر مملكته حتى في الحرمين الشريفين. وكان أهلُ مصر على الخصوص إذا رأَوْه خرُّوا سُجَّدًا، حتى أنه يسجد لسجودهم مَن في الأسواق من الرعاع وغيرهم». انتهى كلامه[2].

وقال شيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي في «تاريخ الإسلام»[3]:

«ثم ازداد ظلمُ الحاكم، وعَنَّ له أن يدَّعي الربوبيةَ كما فعل فرعون، فصار قومٌ من الجهّال إذا رأوه يقولون: يا واحدُ، يا أحدُ، يا فَرْدُ، يا صَمَدُ، يا مُحيي، يا مُميت». وادَّعى عِلمَ الغَيب في وقت. وكان يقول: فلان قال في بيته كذا وكذا،

(١) ترجمته في اتّعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١- ١٢٣؛ وبدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ١٩٧- ٢١١؛ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٧٦؛ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٣٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الذهبي (حوادث ووفيات ٤٠١- ٤٢٠/ ٢٨٣-٢٩٠. «وفيات سنة ٤١١هـ».

وفعل كذا وكذا، وأكل كذا وكذا. وكان ذلك باتّفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الأمراء وغيرهم، ويعرفونه ذلك، فرفعت إليه في أثناء ذلك رقعة فيها: [من مخلّع البسيط]

بِـــالجَوْرِ وَالظُّلْـــمِ قَـــدْ رَضِـــينا ... وَلَـــيْسَ بِـــالكُفْرِ وَالحَماقَـــهْ
إنْ كُنْـــتَ أُوْتِيـــتَ عِلـــمَ غَيْـــبٍ ... بَـــيِّنْ لَنـــا كَاتِـــبَ البِطاقَـــهْ

فحين قرأها سكت عن الكلام في المغيَّبات[١].

وكان هو وأسلافه الخلفاء بمصر يدَّعون الشرف والسيادة، ويقولون: نحن من ولَد فاطمة بنت رسول ﷺ، يريدون بذلك الافتخار على بني العبَّاس خلفاء بغداد، فيقولون: أبونا عليّ وأمّنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وكان الحاكم منهم في [٨١ب] كلّ سبعة أيام يقول ذلك على/ المنبر. وكانت الرقاع تُرفع إليه، وهو على المنبر في أشغال الناس. فرُفعت إليه رقعة فيها: [من السريع]

إنَّـــا سَـــمِعْنَا نَسَـــبًا مُنْكَـــرًا ... يُتْلَـــى عَلَـــى المَنبَـــرِ في الجَـــامِعِ
إنْ كُنْـــتَ في مَـــا قُلتَـــهُ صـــادِقًا ... فَانْسُـــبْ لَنَـــا نَفْسَـــكَ كَالطَّـــائِعِ[٢]
أَوْ كَـــانَ حَقًّـــا كُـــلّ مَـــا تَـــدَّعِي[٣] ... فَاعْـــدُدْ لَنَـــا بَعْـــدَ الأبِ السَّـــابِعِ
أَوْ فَـــدَعِ الأشْـــيَاءَ مَسْـــتُورَةً[٤] ... وَادْخُـــل بِنَـــا في النَّسَـــبِ الوَاسِـــعِ
[فـــإن أنســـابَ بنـــي هاشـــمٍ ... يقصـــرُ عنهـــا طمـــعُ الطـــامعِ][٥]

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٣٧٣؛ وبدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٢٠٨.
(٢) هو الطائع لله عبد الكريم بن المطيع بن المقتدر، انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٤٠٥. وانظر بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٢٠٩
(٣) في تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/ ٤٠٢: وإنْ تَرُمْ تحقيقَ ما قُلتَه، وكذلك في بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٠٨- ٢٠٩.
(٤) في بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٠٨: دع الأنساب مستورة.
(٥) الزيادة من رواية بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٢٠٨.

فرماها من يده ولم ينتسب بعدها.

وحكى سِبْط ابن الجوزي في مرآة الزمان[١]: «إنّ المحضر الذي برز من ديوان القادر[٢] بالقَدْح في الحاكم وفي انتسابه، كان منه يشهد من ثبّت اسمه ونسبه في هذا الكتاب من الأشراف والقضاة والعلماء والعُدول والأكابر والأماثل بما يعرفونه من نسب الديصانية الكفّار نُطَف الشياطين المنسوبين إلى دَيصان بن سعد الخُرَّمي[٣] شهادةً يتقرّبون بها إلى الله تعالى، معتقدين ما أوجب الله على العلماء أن يبيِّنوه للناس ولا يكتمونه. شهدوا جميعًا أنّ الناجمَ بمصر، وهو منصور بن نزار الملقّب بالحاكم[٤] - حكم الله عليه بالبَوار والدمار والخِزْي والنكال والاستئصال - ابن مَعَدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله -. وأنه لمّا صار إلى الغرب تسمّى بعبد[٥] الله، ولقّب نفسه بالمهدي، ومَن تقدّمه من سلفه الأنجاس الأرجاس الروافض - عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدْعياء خوارج/ [١٨٢آ] لا نسب لهم في ولد عليّ بن أبي طالب ﷺ، ولا يتعلّقون منه بسبب، وأنّهم كفّار زنادقة معطّلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوس معتقدون، وقد عطّلوا الحدود وأباحوا الفروج، وحلّلوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، وادّعوا الربوبية[٦].

(١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (السنوات ٣٩٥- ٤١١هـ) ٤٧- ٦٩.
(٢) هو القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر، ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١.
(٣) راجع مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٣٢- ٣٥٠.
(٤) راجع ترجمته في اتّعاظ الحنفا للمقريزي ٣/٢؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٢/٥؛ والكامل لابن الأثير ٦٥٨/٧؛ وتاريخ الأنطاكي ٣٥٩- ٣٦٣.
(٥) كذا في ب، وصوابه: عبيد الله، لذا لقّب الفاطميون بالعبيديين في جميع الأُصول وكتب التاريخ التي ذكرتهم.
(٦) راجع نصّ المحضر وتفاصيل وافية عن الحدث في المنتظم لابن الجوزي ٢٥٥/٧- ٢٥٦، والكامل لابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي.

وكتب فيه من الأعيان الرضِيّ والمرتضَى وأبو حامد الإسفراييني والشيخ أبو الحسن القُدوري، وجماعة من علماء بغداد وأعيانهم[١].

أقول: وكانت أمور الحاكم متضادّة، لأنه كان عنده شجاعة وإقدام وجُبن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل للصلاح وقتْل للصلحاء، والغالب عليه السخاء ويبخل بالقليل، ولبس الصوف سبع سنين، وأقام سنتين يوقد الشمع ليلًا ونهارًا، ثم جلس في الظلام مدّة، وقتل من العلماء ما لا يحصى، وأمر بسبّ الصحابة، وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد وعلى الشوارع، ثم محاه بعد مدّة وأمر بقتل الكلاب، ثم نهى عنه، ونهى عن النجوم - وكان يرصدها - وبنى جامعًا بالقاهرة وجامع راشدة، ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها، وهدم قمامة وبنَى مكانها مسجدًا، ثم أعادها كما كانت. وبنَى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها.

وكانت أحكامه على هذه النسبة، فمنها: أنه كان يعمل الحسبة بنفسه، فيدور في الأسواق على حمارٍ له، فمن وجده غشّ في معيشته أمر عبدًا أسودَ معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العُظمَى. وهذا أمر منكر لم يُسبَق إليه - قبَّحه الله تعالى[٢].

ومنها: أنه منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلًا ونهارًا. قال القاضي شمس الدين ابن خلكان[٣]: وكانت مدّة منعهنّ سبع سنين وسبعة أشهُر.

[٨٢ب] **ومنها**: أنه أمر الناس بغلق الأسواق[٤] / نهارًا وفتحها ليلًا، فامتثلوا ذلك

(١) بدائع الزهور لابن إياس الحنفي ١/ ١/ ٢٠٨.
(٢) بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٠١.
(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٢- ٢٩٨.
(٤) في هوامش الصفحتين ٨٢ أ- ٨٢ ب من المخطوط ب، نقول من كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (سنة خمسين وأربعمئة)، ولم نتمكن من الاستفادة منها بسبب طمس الكثير من مادتها إضافة إلى سوء التصوير.

زمانًا طويلًا، حتى اجتاز مرّة بشيخ يعمل النجارة بعد العصر، فوقف عليه وقال: ألم ننهكم عن هذا؟ فقال: يا سيدي، أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيّشون بالنهار؟ فهذا من جملة السهر. فتبسَّم وتركه، وأعاد الناس إلى حالهم الأول[١].

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير[٢]: هذا من أحكامه الشنيعة وأوامره المخالفة للشريعة، وكلّ هذا تغيير للرسوم واختبار لطاعة العامّة ليرتقي إلى ما هو أهمّ وأعمّ من ذلك، لعنه الله.

ومنها: أنه نهى عن أكل الملوخية والجرجير، وعلّل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها، وعلّل تحريم الجرجير بكونه منسوبًا إلى عائشة، وعذره - عثّره الله - أنحس من ذنبه. ثم إنه اطّلع على جماعة أكلوا الملوخية فضربهم بالسياط وطاف بهم القاهرة، ثم ضرب أعناقهم في باب زويلة[٣].

ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئًا كثيرًا وأحرقه. وكان مقدار النفقة على إحراقه خمس مائة دينار.

ونهى عن بيع العنب، وأنفذ شهودًا إلى الجيزة حتى قطعوا شيئًا كثيرًا من كرومها ورموه إلى الأرض وداسوها بالبقر، وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل، وحملت إلى شاطئ النيل وكُسرت وقُلبت في البحر، وكانت خمسة آلاف جرّة.

ونهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف ألوانه وأنواعه. ونهى التجّار عن حمله إلى مصر. ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرقها.

ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، وظفر بمن باعه فقتله[٤].

---

(١) بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ١٩٩- ٢٠٠.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٣٤٥.
(٣) بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ١٩٩؛ واتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ٥٣.
(٤) بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ١٩٩.

ومنها أنه أمر النصارى أن تعمل[١] في أعناقهم الصُّلبان، وأن يكون طُول الصليب ذراعًا، وزنته خمسة أرطال، وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي خشب في زنة الصُّلبان/ وأن يلبسوا العمائم السُّود، ولا يكتروا من مسلم بهيمة. [١٨٣آ] ثم أفرد لهم حمّامات، وأمرهم أن يدخلوا إليها والصُّلبان في أعناقهم، وأمرهم بالدخول في الإسلام كَرْهًا، ثم أذن لهم في العَوْد إلى أديانهم، فارتدّ منهم في سبعة أيام ستة آلاف نفر، وخرّب كنائسهم ثم أعادها[٢].

ومنها: أنه كان يعاقب بسلب الألقاب، حتى إنه إذا غضب على الإنسان يبقى مدّة طويلة لا يدعَى إلّا باسمه. وهو مع ذلك في حُزن حتى يردّ عليه لقبه فتكون عنده البشارة العظيمة[٣].

ومنها: أنه ادّعى الربوبية وكتب له «باسم الحاكم الرحمن الرحيم». واجتمع له كثير من الجهّال وبذل لهم المال، ونادَوه باسم الإله. قال ابن الجوزي[٤]:

«فصار قومٌ من الجهّال إذا رأوه يقولون: يا واحدُ، يا أحدُ، يا مُحيي، يا مُميت».

وصنَّف له بعض الباطنية كتابًا وكتب له فيه: «إنّ روح آدم انتقلت إلى علي، وإنّ روح عليّ انتقلت إلى الحاكم». وقرئ هذا الكتاب بجامع القاهرة، فقصد الناس قتل مصنّفه، فسيّره الحاكم إلى جبال الشام فنزل بوادي التيم وناحية بانياس، فاستمال الناس وأعطاهم المال وأباح لهم الخمر والزنا، وأقام عندهم مدّة يدعو إلى معتقد الحاكم، فأضلّ خلقًا. وفي وادي التيم إلى يومنا هذا قرى

(١) في آ: أن يحملوا في أعناقهم.
(٢) بدائع الزهور ١/ ١/ ١٩٨؛ واتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ٩١- ٩٥.
(٣) مرآة الزمان (السنوات ٣٩٥- ٤١١هـ) ٤٧- ٦٩.
(٤) المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٩٨.

كثيرة يعتقدون برجوع الحاكم، وأنه لا بدّ أن يعود ويمهّد الأرض، وتلك خيالات فاسدة وظنون كاذبة، نعوذ بالله منها. وكانت الإسماعيلية يعتقدون أنّ أفعاله لأغراض صحيحة استأثر بعملها وتفرّد بمعرفتها[١].

وحُكي عنه أنه كان لا يتكتّم من القتل حتى إنه ركب حماره وجاء إلى باب الجامع بمصر، ونزل عن حماره وأخذ بيد بعض ركبداريته، / وأرقده وشقّ بطنه [٨٣ب] وأخرج مصارينه، وغسل يديه وتركه ومضى. وأكثر في وقت من قتل الركبدارية، حتى رغبوا أن يخرج لهم من الخزانة سيفًا ماضيًا، فإن السيوف النابية تعذبهم. وأحرق جماعة من خواصه بالنار.

وكان يأمر بتكفين من يقتله وَدفنه، ويلزم أهله بملازمة قبره والمبيت عنده. وهو مع هذا القتل العظيم والأذى، يركب حماره لقصده، ويشق في القاهرة تارة وفي البرية تارة عند الجبل المقطم وغيره، والجند على اختلاف طبقاتهم وتباين أجناسهم، وهم ترك وديلم ومصامدة وسودان وخدام وصقالبة وروم وغير ذلك، وهو فيهم كالأسد الضاري بين البقر.

وأقام على ذلك مدة إلى أن ادّعى الإلهية، وصرَّح بالحُلول والتناسخ. وعنّ له أن يحمل الناس على ذلك. وكان أهلُ بيته من قبله يعتقدون ذلك ويكتمونه خوفًا من تفرُّق الكلمة. وكان السبب في هلاك الحاكم أنه أراد قتل أخته سَيّدة الملك[٢]، وهمّ أن يرسل إليها القوابل لتحقق بكارتها[٣]، وقال لبعض قهارمتها: سمعت أنكم تجمعون الجموع وتدخل إليكم الرجال، ولا بد لي من قتلكم أجمعين.

(١) المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٩٨.

(٢) هي ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور، ترجمتها في مهذب الروضة الفيحاء للعمري ٢٨٠.

(٣) في الهامش: وتهمة أخته بالفاحشة.

وتكرّر هذا القول منه [مرارًا][(١)]. فعلمت أخته أنه يقتلها لا محالة، لِما تحقّقته من خبث طويته ومؤاخذته بالصغائر، وإصراره على الكبائر، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه. وكانت من النساء المدبِّرات، فأخذت في تدبير الحيلة، والعمل على قتل أخيها الحاكم. وخرجت ليلًا وأتت إلى دار الأمير سيف الدولة ابن دَوَّاس[(٢)]، وكان الحاكم قد أقبل [وعزم] على قتله. فدخلت عليه خِفيةً واختلَت به، وعرّفته أنها أخت الحاكم، فعظَّمها وأكرمها. فقالت له: أنت تعلم ما يجري من أخي في سفك الدماء وخراب البلاد/ وقتل وجوه الدولة، وقد صمّم [١٨٤آ] على قتلك وقتلي. فقال لها: كيف الحيلة في أمره؟ قالت له: الرأي عندي أن نجهِّزَ له رجالًا يقتلونه عند خروجه إلى حلوان، فإنه ينفرد بنفسه، وأنت تكون المدبّر لدولة ولده والوزير له. فاتفقا على ذلك، ومضت إلى قصرها.

ولما كانت صبيحة النهار، خرج الحاكم على عادته، وانفرد بنفسه في المقطّم. وكان ابن دَوَّاس قد أحضر عشرةً من العبيد، وأعطاهم كل واحدٍ خمس مائة دينار، وعرَّفهم كيف يقتلونه. فسبقوه إلى الجبل، فلما انفرد، خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان. فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب والنجائب، ففعلوا ذلك سبعة أيام.

ثم خرج مظفّر صاحب المظلّة ومعه جماعة، فبلغوا دير القصر، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل. فبينما هم كذلك، إذ أبصروا حماره الأشهب المدعوّ بالقمر، وقد قطعت يداه، وعليه سرجه ولجامه. فتتبعوا أثره إلى أن انتهوا إلى المقصَبة التي في شرقي حلوان. فنزل رجل إليها فوجده بثيابه وهي: سبع جباب مزرورة لم

(١) الزيادة من آ.

(٢) هو حسين بن دواس الكتامي، من شيوخ كتامة، ومن كبار قوّاد الدولة العبيدية، انظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٥ – ١٩٢؛ والكامل لابن الأثير ٧/ ٦٥٨.

تحل أزرارها، وفيها آثار السكاكين، فلم يشكوا في قتله، وذلك في شوال سنة إحدَى عشرة وأربع مائة.

وفي جبال الشام خلق كثير من المتغالين في حبه من الحمقى يعتقدون حياته، وأنه لا بد أن يظهر، ويحلفون بغيبة الحاكم لعنه الله تعالى ولعن تابعيه[١].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٤٧؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٩٧؛ والمنتظم في التاريخ لابن الجوزي ٧/ ٢٩٧- ٣٠٠ رقم ٤٦٧.

خاتمةُ الباب وسَجْعُ طائره المُسْتطاب

أولها: من جملة من قتلهم الحاكم من أهل العلم أبو أسامة جُنادة اللغوي الهَروي من أهل هراة لما قدم مصر[١]. وكان من الفضلاء النبلاء. حكى عنه المُسَبّحي في «تاريخ مصر»[٢]، أنه أراد في وقتٍ الدخول على الصاحب بن عباد، فمنع لشعث زيّه ودناءة أطماره ووسخ ثيابه. قال: فلم أَزلْ أترصَّد الفرصةَ إلى أن وجدتُ غفلةً من الحُجّاب / فدخلت فجلست بحضرته بقرب الدواة، وكان [٨٤ب] مشغولًا يكتب.

فلما فرغ من كتابته التفت إليّ فرآني فقطّب، وقال: قم يا كلب من هاهنا. فقلت: الكلب الذي لا يعرف للكلب ثلاث مائة اسم. قال: فمدّ يده وأخذ بيدي وقال: قم إلى هاهنا، فما يجب أن تكون حيث جلست ورفعني إلى جانبه[٣].

ثانيها: قدم رجل من سِجلْماسَة يريد الحج، فأودع عند رجل من أهل السوق أحسَنَ به الظنّ، ألفَ دينار. فلما عاد من الحج، طلب ماله فأنكره وجحده. فشكا أمره إلى الحاكم سرًّا، فقال له: اقعد في السوق بمرأى من الرجل، فإذا مررتُ عليك[٤]، فأظهر أني أعرفك، فإني سأقف معك، وأطيل السؤال عنك وعن حالك. فلما فعل ذلك وانصرف الحاكم، جاء الرجل الذي عنده الوديعة،

(١) جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي، ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٣٧٢ رقم ١٤٣؛ ومعجم الأدباء لياقوت ٧/ ٢٠٩؛ وبغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٨٨؛ وفي رواية اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ٨٠، هناك تداخل أدى إلى التباس في الاسم.

(٢) لم أعثر على ذلك في القسم المطبوع من الكتاب.

(٣) بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٨٩.

(٤) في بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٠٣: مررت بك.

إليه وأكبَّ على قدميه يقبِّلها[١] ويسأله الصفْح، وأحضر له الذهب. فمضَى إلى الحاكم فعرّفه بالقضية، فأصبح الرجل مقتولًا معلقًا على باب دكانه برجليه[٢].

ثالثها: كان الحاكم جالسًا في بعض الأيام وفي مجلسه جماعة من أعيان دولته، فقرأ بعضُ الحاضرين قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[٣] الآية، وهو يشير بيده إلى الحاكم في أثناء ذلك. فلما فرغ، قام شخص يعرف بابن المُشَّجَر[٤]- بضم الميم وفتح الشين المعجمة المشددة والجيم وبعدها راء - وكان رجلًا صالحًا، وقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا ﴾ الآية[٥] فلما انتهى من قراءته وسكت، تغيَّر وجهُ الحاكم. ثم أمر له بمائة دينار، ولم يعطِ المقرئَ الأول شيئًا.

فلما خرج ابن المُشَّجَر، قال له بعضُ أصحابه: أنت تعلم خُلقَ الحاكم، وما نأمن أن يحقدَ عليك ويفعل بك شرًّا، فمن المصلحة أن تغيب عنه. فتجهّز للحج وركب البحر فغرق. فرآه بعض أصحابه في النوم فسأله/ عن حاله فقال: ما قَصَّرَ الربّان معنا، أَرسَى بنا على باب الجنة[٦]. [١٨٥آ]

رابعها: أقول: وعلى ذكر هذا المنام، روي أن أبا حنيفة ﷺ، أنه رأى رب العزة، تبارك وتعالى في المنام تسعة وتسعين مرة، ثم قال: لئن رأيته تمام المائة

(١) كذا في ب، والصواب: يقبلهما، وفي ب و آ: على يديه.
(٢) راجع الرواية في اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٢٢؛ وبدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٢٠٣
(٣) سورة النساء ٤/ ٦٥.
(٤) كذا في ب، وأعتقد أن ثمة خطأً في تحريك الاسم، وربما كانت: وفتح الشين والجيم المفتوحة المشدّدة.
(٥) سورة الحج ٢٣/ ٧٣.
(٦) يمكن مراجعة تفاصيل من حياة الحاكم في نهاية الأرب للنويري ٢٨/ ١٦٧- ٢٠٢؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٩٥.

لأسألنه بماذا تنجو الخلائق يوم القيامة. قال: فرأيته تمام المائة فقلت: أي ربِّ عزَّ شأنك وعظم سلطانك، بماذا تنجوا[١] الخلائق يوم القيامة؟ فقال سبحانه وتعالى: من قال عند الصباح والمساء: «سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من رفع السماءَ بغير عمد، ولم يتخذ صاحبةً ولا ولد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، نجا من عذابي[٢] يوم القيامة».

خامسها: كان أبو العلاء بن عبد الرحمن من أهل الظرف والأدب، وكَلِفتْ به جاريةٌ من أحسن النساء. وكان يظهر لها ما ليس في قلبه. وكانت الجاريةُ على غاية من العِشقِ له والميلِ إليه. فلم يزالا كذلك حتى ماتت الجارية كلفًا به ومحبةً فيه. فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من تقصيره في حقها وإعراضه عنها. فرآها ليلة في منامه فجعل يبكي ويتلافا[٣] قلبها، فأنشدته: [من الوافر]

أتبكي بعد قتلك لي عَليّا ... فهلّا كان ذا إذْ كنتُ حَيّا؟[٤]
أتسكبُ دمعَ عَينِكَ لي وفاءً ... ومن قبلِ المماتِ تُسي إليّا؟
أقِلَّ من البكاء عليَّ واعلمْ ... بأني ما أراك صنعتَ شيّا

قال: فاستيقظ، فزاد ما به من الهمِّ والأسف عليها. وصاح صيحةً فارق فيها روحه.

سادسها: حكى عبد الحق في العاقبة مما ابتُلِيَ به الهَادي من المحبة وعاقبه به، أنه كان مغرمًا بجارية له تسمّى غادرًا، وكانت من أحسن النساء وجهًا،

(١) كذا في ب وفي آ: ينجوا الخلائق، والصواب: تنجو.
(٢) كذا في ب؛ وفي آ: عذابِ.
(٣) في آ: ويتلافاها.
(٤) في ب: هلا كان، وبها يضطرب الوزن الشعري.

[٨٥ب] وأطيبهم غناءً، اشتراها / بعشرة آلاف دينار. فبينما هو يشرب مع ندمائه، فكّر ساعة وتغيّر لونه، وقطع الشراب. فقيل له: ما بال أمير المؤمنين؟ فقال: وقع في قلبي بأني أموت وأن أخي هرون يلي الخلافةَ ويتزوج غادرًا، فامضوا وأتوني برأسه.

ثم رجع عن ذلك، وأمر بإحضاره، وحكى له ما خطر بباله، فجعل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك، وقال: لا أرضَى حتى تحلفَ لي بكل ما أحلّفك به، أنني إذا متّ لا تتزوج بها. فرضي بذلك، وحلف أيمانًا عظيمة ثم قام ودخل إلى الجارية وحلَّفها أيضًا على مثل ذلك. فلم يلبث بعد ذلك شهرًا حتى مات. وولي الخلافةَ هرون الرشيد، فطلب الجارية، فقالت: يا أمير المؤمنين، كيف تصنع في الأيمان التي حلفت بها؟ فقال: قد كفَّرتُ عنكِ وعني، ثم تزوّج بها.

ووقعت من قلبه موقعًا عظيمًا، وافتتن بها أعظم من أخيه الهادي، حتى إنها كانت تسكر وتنام في حجره، فلا يتحرك ولا يتقلّب حتى تنتبه. فبينما هي في بعض الليالي في حجره نائمة، إذ انتبهت فزِعةً مذعورة، فقال لها: ما بالكِ فديتكِ؟ فقالت: رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم، فأنشدني هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

أخلفتِ عهدي[1] بعدما ... جاورتُ سُكّانَ المقابرْ
ونسيتني وحنثتِ في ... أَيمانكِ الزور الفواجرْ
ونكحتِ غادرةً أخي ... صدقَ الذي سمّاك غادرْ
لا يهنِك الإلفُ الجديـ ... ـدُ ولا تدُر عنك الدوائرْ
ولحقتِني قبل الصبا ... حِ وصِرتِ حيثُ غدوتُ صائرْ

(١) في آ: وعدي.

/ قالت: ثم ولّى عني، وكأن الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة. [١٨٦آ] فقال لها: هذه أحلام الشيطان. فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين. ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة. فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها[١].

وقد ذكرت لهذه الحكاية أشباهًا ونظائر في كتابي «ديوان الصبابة».

سابعها: حكى القاضي شمس الدين ابن خلكان[٢] وغيره من أرباب التاريخ عن دُلَف بن أبي دُلَف أنه قال: رأيتُ في المنام آتيًا أتاني وقال: أجب الأمير. فقمت معه، فأدخلني دارًا وحشةً وعرةً سوداء الحيطان مقلّعة السقوف والأبواب، وأصعدني على درجٍ منها، ثم أدخلني غرفةً في حيطانها آثار النار والرماد، وإذا بأبي وهو عُريان، واضع رأسه بين ركبتيه. فقال كالمستفهم: دُلَف؟ فقلت: دُلَف. فأنشأ يقول: [من الخفيف]

بَلِّغَنْ أَهلَنا ولا تُخفِ عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخَفّاقِ[٣]
قد سُئلنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد أُلاقي

ثم قال: أفهمت؟ فقلت: نعم فهمت، ثم أنشد: [من الوافر]

فلو كنا إذا متنا تُركنا[٤] ... لكان الموتُ راحةَ كُل حيٍّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا ... ونُسأل بعده عن كل شَيٍّ

[ثم قال: أفهمت؟ فقلت: نعم فهمت، ثم انتبهت وأنا مرعوب][٥].

(١) خلاصة الذهب المسبوك ١١٧ - ١١٨.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٧٣- ٧٩ رقم ٥٣٨.
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: أبلغن، الخنّاق.
(٤) نفسه: ولو أنّا إذا متنا.
(٥) الزيادة سقطت من ب وأضيفت من آ. وانظر الرواية والأبيات في وفيات الأعيان ٤/ ٧٨.

أقول: وكان أبو دُلَف من قواد المأمون ثم المعتصم من بعده، وكان جوادًا ممدّحًا شجاعًا.

حكي عنه أنه لَقِيَ أكرادًا قد قطعوا الطريق، فطعن منهم فارسًا فنفذت منه الطعنة إلى أن وصلت إلى فارسٍ آخر فقتلتهما معًا. وفي ذلك يقول بكر بن النطاح/[١] [٨٦ب]: [من الكامل]

قالوا: وينظم فارسين بطعنةٍ ... يومَ الهياجِ ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو انَّ طولَ قناته ... ميلٌ إذًا نظمَ الفوارسَ ميلا

وفيه يقول أيضًا: [من الكامل]

لا تعجبوا[٢] للكيمياء وعِلْمِهِ ... مدحُ ابنِ عيسى الكيمياء الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلا درهمٌ ... ومدَحته لأتاكَ ذاك الدرهمُ

وروي أنه أعطى على هذين البيتين عشرة آلاف درهم. وقد ألمّ بهذا المعنى أبو بكر محمد بن هاشم أحد الخالديين فقال[٣]: [من الكامل]

---

(١) بكر بن النطاح الحنفي الشاعر الصعلوك، ترجمته في الوافي للصفدي ٢١٨/١٠ رقم ٤٧٠٤، راجع البيتين وقد وردا رابعًا وخامسًا ضمن مقطعة من خمسة أبيات في شعراء مقلون ٢٥٧؛ والأغاني ١٥٣/١٧.

(٢) ورد البيتان ضمن مقطعة من ثلاثة أبيات مع اختلافات جوهرية في «شعراء مقلّون» ٢٦٣، في حين جاء البيت الأول:

يا من يريد بأن يكلمه الندى ... بلسان قاسمه الندَى يتكلّمُ

وفي ب ورد مطلع البيت: يا طالبًا للكيمياء...، وهي الرواية التي ذكرها الصفدي في الوافي بالوفيات.

(٣) ديوان الخالديين ٦٤؛ وهما البيتان الثالث والرابع من مقطعة تبلغ أربع أبيات؛ وفي وفيات الأعيان ورد البيت التالي أولًا:

وتيقن الشعراء أن رجاءهم ... في مأمنٍ بك من وقوع الناس

مـا صـح عِلـمُ الكيميـاء لغيـرهم فيمـا روينـا عـن جميـع النـاس[١]
يعطـيهم البِـدرَ النُضَـارَ إذا هُـمُ رفعـوا إليـه الشـعرَ في قِرطـاسِ[٢]

(١) وفيات الأعيان: فيمن عرفنا من جميع الناس، وكذلك في ديوان الخالديين.
(٢) في وفيات الأعيان:

تعطـيهم الأمـوال في بِـدَرٍ إذا حملوا الكلام إليك في قرطاسِ

وكذلك رواية الديوان.

الباب الخامس
في بَسْط الكلام على ما وقع من ذلك في الحوادث الواقعة بمصر، وما في معناها على سبيل الاختصار

أقول: سنة سبع مائة: فيها أُلبسَ النصارى الأزرق واليهودُ الأصفر والسامرة الأحمر[1]، ليقلّ أذاهم، ويعرف المجرمون بسيماهم. وسبب ذلك أن مغربيًّا كان جالسًا بباب القلعة عند الجاشنكير وسُلّار، فحضر بعض كُتّاب النصارى بعمامة بيضاء. فقام له المغربي وتوهّمه[2] أنه مسلم، ثم ظهر له أنه نصراني. فدخل إلى السلطان الملك الناصر، وفاوضه في تغيير زي الذّمّة ليمتاز المسلمون عنهم ويحترزوا منهم. فأجابه السلطان إلى ذلك. وفي ذلك يقول شمس الدين الطيبي، يصف اختلاف ألوان عمائمهم[3]: [من البسيط]

تعجبــوا للنصــارى واليهــود معًــا ... والســامريين لمّــا عُمِّمــوا الخِرَقــا
كأنمــا بــاتَ بالأَصــباغِ منســهِلًا ... نسْرُ السماءِ فأضحَى فوقهم ذرقا/[4] [١٨٧آ]

واستمر ذلك من سنة سبع مائة إلى يومنا هذا الذي هو سنة سبع وخمسين وسبع مائة.

---

(١) ألبسوا عمائم بهذه الألوان، راجع حول ذلك في عقد الجمان للعيني ٤/ ١٤٠-١٤١؛ وزبدة الفكرة ٣٥١؛ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٣٢؛ وأعيان العصر ٥/ ٨٣؛ وفي آ: لعنهم الله تعالى.

(٢) في آ: وتوهم أنه مسلم.

(٣) هو إبراهيم بن صادق الطيبي، راجع ترجمته في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي ٢/ ١٤٤- ١٦٧.

(٤) انظر الرواية في بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ٤٠٩.

وفي هذه السنة وقع ربع عقد جامع قوصون[١] على ثلاثين نفسًا من الفلاحين، فمات منهم ثلاثة وعشرين[٢] وسلم سبعة.

وسمعت بعض المصريين يقول إن السبعة الذين سلموا من الردم رجعوا إلى بلدهم في شختور[٣]، فهبّت ريح شديدة، فغرقت الشختور بالسبعة الذين سلموا من الردم، فلم يبقَ منهم أحد. وهذا اتفاق غريب وآجال متقاربة.

قيل: وأهدى أُزبك ملك الشرق[٤] إلى السلطان الملك الناصر هدية، من جملتها جلد دب أبيض طوله سبعة أذرع، وذلك سنة أربع وعشرين وسبع مائة. وأهدى إليه أيضًا أبو ثابت ملك الغرب هدية من جملتها سبع مائة دابة ما بين خيل وبغال وحمير وجمال، على يد رسوله أيدغدي الخوارزمي[٥] فخرجت عليه العرب في الطريق [عند المدية][٦] فأخذتها بمجموعها.

وكان سيف الدين بكتمر الجوكندار[٧] عزيزًا عنده [السلطان][٨]، بحيث أنه كان يقول له: يا عمي. فاتفق أنه أخرجه في وقتٍ إلى صفد نائبًا، فكان لا يحب

(١) هو الأمير الكبير سيف الدين الساقي الناصري، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ١٣٦/٤ - ١٤١.

(٢) كذا في ب، والصواب: وعشرون، كما ورد في آ.

(٣) الشختور والشختورة وجمعها شخاتير: زورق كبير وسفينة صغيرة بسارٍ واحد في الوسط. وفي محيط المحيط: الشخْوَرة: سفينة صغيرة بسارٍ واحد، وهو من اصطلاح النوتية. انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي ٦/ ٢٧٠.

(٤) هو القان أزبك بن طقطاي صاحب بلاد أزبك، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٤٨١/١.

(٥) هو الأمير الكبير علاء الدين الخوارزمي أمير حاجب بدمشق، ترجمته في أعيان العصر ٦٥٢/١.

(٦) كذا في آ، وهي غير واضحة.

(٧) هو الأمير سيف الدين المنصوري، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٧٠٦/١ رقم ٤٠٦؛ والمنهل الصافي لابن تغري بردي ٣/ ٣٩٨- ٤٠٠.

(٨) الزيادات من آ.

سفك الدماء، فإذا أحضر إليه القاتل، ضربه سبع مائة [عصا] وحبسه. فإذا قيل له: لأي شيء ما قتلته؟ قال: الحيّ خير من الميّت.

ولما قتل الملك المظفر بيبرس[١]، وجد في خزائنه ختمة مكتوبة بالذهب في سبعة أجزاء، في قطع البغدادي، كتبها له الشيخ شرف الدين ابن الوحيد[٢] بقلم الأشعار، أخذلها ليقة [ذهبًا] بألف وسبع[٣] مائة دينار، وأنفق عليها جملة من الأجرة.

وسرق في أيام عمله من خزانة سيف الدين بكتمر الحاجب[٤]/ سبع مائة [٨٧ب] ألف، فمات صاحبها المذكور من غبنه سنة سبع وثلاثين وسبع مائة، وقيل سنة ثمان.

وحصل للمظفر مرض شديد أشرف منه على الموت، فتصدّق صدقات كثيرة، وأطلق المحابيس: فحصل له البرء، ففرح الناس وزال البأس، وأقام المغاني في القلعة وبيوت الأمراء سبعة أيام.

ولما خلع من الملك وتولّى الملك العادل كِتْبغا[٥]، ووقع غلاء عظيم في مصر، فأبيع الفروج بعشرين درهمًا، والسفرجلة بثلاثين درهمًا، وأبيع اللحم

(١) هو الملك المظفر بيبرس ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري المعروف بالعثماني، ترجمته في أعيان العصر ٢/ ٧١ رقم ٤٨٨.

(٢) هو شرف الدين محمد بن يوسف الزرعي صاحب الخط الفائق، ترجمته في أعيان العصر للصفدي ٤/ ٤٦٦ رقم ١٥٩١.

(٣) أعيان العصر: ست مائة. والليقة: جمعها ليق، حبر سرّي يظل بلا لون حتى يخضع لتأثير مادّة يتعاطف معها، انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي ٩/ ٢٩٥.

(٤) هو الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب، ترجمته في أعيان العصر ١/ ٧٠٣ رقم ٤٠٥.

(٥) هو الملك العادل زين الدين المنصوري المغلي، ترجمته في أعيان العصر ٤/ ١٤٤ رقم ١٣٩٣؛ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٣١٨؛ وفوات الوفيات ٣/ ٢١٨؛ وتالي وفيات الأعيان ١٣١؛ وتحفة ذوي الألباب ٢/ ١٩٣؛ والبداية ١٤/ ٢٧؛ وانظر بدائع الزهور ١/ ١/ ٣٩١.

الرطل بسبعة دراهم، والبيض سبعة بدرهم، وبلغ الأردبّ من القمح إلى مائة وسبعين. ولقي الناس من الجهد ما لا يدخل تحت حدّ ولا يحصر بعد.

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة، حدث من الجراد والكمأة على جبل المقطم ما لم يعهد مثله. فأكلت منها الناس، وأبيع الجراد أربعة أرطال بدرهم، والكمأة سبعة أرطال بدرهم.

وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائة وقع حريق عظيم بمصر في سوق البزازين وقيسارية العَسل، ودخل الليل والنار على حالها لم تتغير. فباتت الناس على خطر عظيم. فركب كافور الإخشيدي صاحب مصر، وأمر بالنداء: من جاء بقربة أو جرّة أو كوز فله درهم، فكان مبلغ ما صرفَه عشرة آلاف درهم. وكان جملة ما احترق غير البضائع والأقمشة [ما قيمته ألف ألف وسبعة آلاف دينار][١] وسبع مائة دار. وكان وطيفة كافور[٢] المذكور في مطبخه كل يوم من اللحم ألفي رطل، وسبع مائة رطلٍ، ومائة دجاجة، وثلاث مائة فرخ حمام، وثلاث مائة فروج، وعشر إوزّات، وعشرون[٣] خروفًا، وثلاثين جديًا، وعشرة فراخ سمك [١٨٨آ] [سمك بياض][٤]، وثلاث مائة صحن حلوى، وألف كماجة[٥]/، وسبعة فرود بقل، وألف كوز فُقّاع، ومائة قرابة[٦] أشربة تفرّق في خاصته، وكان يعطي العطاء الجزيل[٧].

(١) الزيادة من آ، وهو ما يقتضيه السياق، وانظر بدائع الزهور ١/ ١/ ١٨٣.
(٢) كذا في ب، وفي آ: راتب كافور.
(٣) كذا في ب، وصوابه: وعشرين؛ وفي آ: عشرين رميسًا أي خروفًا.
(٤) الزيادة من آ: سمك بياض.
(٥) الكُماج، واحدتها كُماجة وهي كلمة فارسية تعني خبز مستدير أسمك من الخبز العادي.
(٦) كذا في ب: وصوابه: قربة كما ورد في آ.
(٧) انظر بدائع الزهور لابن إياس ١/ ١/ ١٨٤.

اتفق في أيامه زلزلة، فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر، فأنشده قصيدة منها[١]: [من البسيط]

ما زُلزلتْ مصرُ من خوفٍ يُراد بها لكنّها رقصَت من عَدله فرَحا

فأجازه كافور بألف دينار. وهذه الجائزة هي التي حثَّت المتنبي على المجيء إلى كافور. وكان يقف بين يديه بخفّين ومنطقة وعمامة خضراء، ويحضر سماطه، ويجيء صحبته غلام أسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام[٢].

وكان مع كثرة ماله وأخذ الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل.

حكي عنه أنه طلب ندّافًا ليعمل له جِبابًا لغلمانه ولُحفًا [وفرشًا،] فأقام عنده سبعة أيام، فأعطاه سبعة قراريط ذهبًا، فصعب عليه ذلك، فقال له: كم ظننت أني أعطيك؟ فقال: سبعة دنانير. فقال له المتنبي: والله لو وضعت رجلًا على طور سيناء ورجلًا على طور زيتا وتناولت قوس الغمام[٣] وقائمة العرش [بيدك][٤] وندفت قطن الغمام على جباب الملائكة، ما أعطيتك دينارًا، فضلًا على أن أعطيك سبعة دنانير.

وذكر المتنبي سبعة أشياء يفتخر بها في بيت واحد وهي[٥]: [من البسيط]

الليلُ والخيلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

(١) هو الشاعر المعروف بمحمد بن عاصم الموقفي نسبة إلى محلة في الفسطاط اسمها الموقف، وهو من شعراء اليتيمة، راجع يتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٣٣٩- ٣٤٢؛ ومعجم البلدان، مادة «دير».

(٢) انظر الرواية في بدائع الزهور ١/ ١/ ١٨١- ١٨٢.

(٣) كذا في ب، وفي المطبوع: قزح، وهو ما يتناسب مع سياق الكلام.

(٤) الزيادات من آ.

(٥) في ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، ص ٣٢٤: فالخيل؛ والبيت هو الثاني والعشرون من قصيدة تناهز ٣٧ بيتًا.

وعارضه أبو الحسَن[١] الجزّار من شعراء مصر فقال، وذكر سبعة[٢]: [من البسيط]

فـإن يكـنْ أحمـدُ الكنـديُّ متهَمًـا بـالفخر يومًـا فـإني فيـه مـتهَمُ[٣]
فـاللحمُ والعَظـمُ والسـكّينُ تعرفنـي والخَلْعُ والقَطْعُ والساطورُ والوَضَـمُ

وقال المتنبي أيضًا من قصيدة مدح بها سيف الدولة بن حمدان، منها بيت [٨٨ب] في كل نصف منه سبعة أفعال أمر وهم/[٤]: [من البسيط]

أَقِلْ أَنِلْ[٥] أَقطِعْ[٦] احْملْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هِـشِّ بِـشّ تفضَّـلْ أَدنِ سُـرَّ صِـلِ

حُكِيَ أن سيف الدولة وقَّع له تحت كل كلمة بما سأل، حتى أنه وقّع له تحت قوله: أقطِعْ، لأنه من أقطعت فلانًا أرض كذا، سبعين[٧] قرية على باب حلب، وفيها يقول المتنبي[٨]: [من البسيط]

أسـير إلـى إقطاعـه في ثيابـه علـى طرفـةٍ مـن داره بجنابـه

(١) كذا في ب، وهو يحيى بن عبد العظيم الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار الأديب المصري، ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/١٨٣ رقم ١٦٧.
(٢) انظر البيتين في الوافي بالوفيات ٢٨/١٩٩.
(٣) في رواية الوافي للصفدي: فإني لستُ أُتَّهمُ.
(٤) في شرح ديوان أبي الطيب لعبد الوهاب عزام ص ٣٣٢: ورد البيت على الصورة التالية:
أَقِلْ أَنِلْ أَنْ صُـنْ احمِلْ عَـلَّ سَـلَّ أَعِدْ زِدْ هَشّ بَشَّ هَبِ اغفرْ أَدنِ سُـرّ صِـل
أما الصيغة التي ورد فيها البيت في المخطوطين آ و ب، فهي مضطربة الوزن الشعري، وكذلك في شرح الواحدي النيسابوري ٤٩٣.
(٥) سقطت من المخطوط آ.
(٦) سقطت من المخطوط ب.
(٧) في شرح الواحدي: قد أقطعناك الضيعة الفلانية، ضيعة بباب حلب، وهو الأدنى إلى الصواب.
(٨) لم أعثر على هذا البيت في ديوان المتنبي بشرح عبد الوهاب عزام، ولا في نسخة الديوان بشرح الإمام الواحدي.

حكي لما وقّع له تحت كل كلمة بما سأل، قال له شيخ ظريف من ندمائه، يقال إنه المعقلي: فلِمَ لم تقل له عند «هشّ بشّ» هِئ هِئ هِئ، يعني بذلك تضحك. قال ذلك حسَدًا له وتنديدًا عليه.

وفي سنة إحدى وأربع مائة توفي بمصر الحافظ ميسَّر. وذكر المسبِّحي عن حفظه شيئًا كثيرًا. قال: وكان معه درج طويل طوله سبعة وثمانون ذراعًا مملوء الوجهين فيه أوائل ما يحفظه. وكان يحفظ سبعة عشر ألف خبر[١]، وعشرة آلاف بيت من الهجاء، ومثلها في الغزل، ومثلها في التشبيهات، ومثلها في التهاني وغير ذلك[٢].

وفي سنة ثمان وخمسين شنق الكوراني الذي ادّعى أنه المهدي ومن كان معه، وادّعت زوجته أنها حامل فحبست لتضع وتقتل، فأقامت محبوسة سبع سنين وهي تدَّعي أنها حامل، وأن الجنين يتكلم في بطنها ثم أطلقت بعد ذلك[٣].

أقول: ومن غريب الاتفاق العجيب أن الملك الظاهر أول جلوسه في مرتبة السلطنة يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة، وآخر جلوسه في تخت سلطنة آل سلجوق بقيسارية الروم سابع عشر ذي القعدة، وأول ما فتح قيسارية، وآخر ما فتحه قيسارية الروم، وأول ما بنيت أنطاكية بناها / سلطان اسمه بالعربية الملك [١٨٩آ] الظاهر، وآخر من خربها الملك الظاهر المذكور، وكان القائم بالدولة التركية السلجوقية السلطان الملك الظاهر ركن الدين. وهذا السلطان الملك الظاهر ركن الدين أقام الدولة التركية من حين المنصور، وركن الدين إذ ذاك هو الذي رد

(١) في رواية ابن إياس: سبعة عشر ألف أرجوزة.
(٢) يضم القسم المنشور من الكتاب الجزء الأربعين منه، وهو بقية سنة أربع عشرة وأربع مائة وسنة خمس عشرة وأربع مائة؛ وانظر الرواية في بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٠٧.
(٣) انظر بدائع الزهور ١/ ١/ ٢١٩.

الخلافة لبني العباس نوبة البساسيري، وركن الدين هذا هو الذي رد الخلافة لبني العباس، بإقامة الخليفتين المستنصر الأسود والإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، والخطبة في الدولة المصرية كانت للظاهر بعد الحاكم أمير المؤمنين. فالخطبة على المنابر لهذا الظاهر بعد الحاكم أمير المؤمنين، وهذا أمر غريب الاتفاق.

ولما جلس الملك الظاهر على سرير الملك في التاريخ المذكور لقّب نفسه الملك القاهر، فقال له الصاحب زين الدين ابن الزبير[١]: ما لُقِّب بهذا اللقب أحد وأفلح، لُقِّب به القاهر ابن المعتصم فلم تطل أيامه، فخلع ثم سُمِلَ، ولُقِّب به القاهر صاحب الموصل فسُمَّ ولم تزد أيامه على سبع سنين. فترك اللقب المذكور وتلقَّب بالظاهر.

واتفق أن ملوك مصر العبيديين قالوا في أول دولتهم لبعض العلماء بمصر: اكتب لنا في ورقة ألقابًا تصلح للخلافة، حتى إذا تولَّى منا أحد لقّبناه منها بلقب، فكتب لهم ألقابًا كثيرة آخرها العاضد. فاتفق أن آخر من ملك منهم العاضد[٢]، وزالت في أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[٣].

ومن غريب الاتفاق أيضًا أن أولهم المهدي وكان اسمه عبد الله[٤]، وآخرهم العاضد وكان اسمه عبد الله، ومثله في الغرابة أن أول ملوك الإسلام من بني أبي

(١) هو الصاحب زين الدين، أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع القرشي الزبيري، ترجمته في الوافي للصفدي ٢٨/ ٥٠٩ رقم ٣٩٨؛ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٧؛ والسلوك للمقريزي ١/ ٥٨٩؛ وذيل مرآة الزمان لليونيني ٢/ ٤٤١.

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١٧/ ٦٨٥؛ واتعاظ الحنفا للمقريزي ٣/ ٢٤٣.

(٣) ترجمته في الوافي للصفدي ٢٩/ ١٠٣ رقم ٦١.

(٤) الملفت أن المصادر القديمة والمراجع الحديثة تجمع على أن اسمه عبيد الله، وانظر ترجمته مستوفاةً في الوافي بالوفيات ١٩/ ٣٦٤- ٣٦٧ رقم ٣٤٠.

سفيان معاوية بن أبي سفيان ثم ابنه يزيد ثم معاوية بن يزيد، وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية/ والمختتم بمعاوية. [٨٩ب]

ثم ملك مروان بن الحكم من بني أمية، وكان آخر بني أمية مروان الملقب بالحمار. وهذا من غريب الاتفاق الذي قَلّ من تنبَّه له.

ومثله في الغرابة ما حكاه الصولي، أن الناس يرون كلّ سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يخلع. فالنبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن خلع، ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع وقتل، ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد ابن يزيد فخلع وقتل. ثم أتى الله بالدولة العباسية، وكان السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين فخلع وقتل. ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع [وقتل][(١)]، ثم المعتز بالله والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع في فتنة ابن المعتز ثم رد، انتهى قول الصولي.

قال صاحب **رأس مال النديم**[(٢)]: ثم القاهر ثم الراضي ثم المتقي[(٣)] ثم المستكفي ثم المطيع ثم الطائع فخلع، انتهى. ثم القادر[(٤)] والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع، ثم المقتفي والمستنجد والمستضيء والناصر والظاهر و[المستنصر] والمستعصم[(٥)] فخلع وقتل.

(١) الزيادة من آ.
(٢) كذا في ب: وهي غير واضحة في المطبوع كذلك. أما في كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٨٣٠، فقد ورد العنوان عاريًا عن أي إشارة إلى المؤلف ومضمون الكتاب.
(٣) في آ: المقتفي.
(٤) كذا في آ، وفي ب: القاهر «مكررًا» وهو سهو من الناسخ.
(٥) كذا في آ، وفي ب: المعتصم، خطأ من الناسخ، وهو المستنصر.

وكذلك العبيديون أولهم المهدي عبد الله[١] والقائم بأمر الله والمنصور صاحب أفريقية والمعزّ باني القاهرة والعزيز والحاكم فقتلته أخته ووَلَّت ابنه الظاهر والمنتصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر فخلع وقتل، ثم ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم. وكذلك بنو أيوب في ملك مصر، أولهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه/ الأفضل بن صلاح الدين والعادل الأكبر أخو صلاح الدين [١٩٠آ] والكامل ولده والعادل الصغير قبض عليه أمراء دولتهم وأحضروا أخاه الصالح نجم الدين أيوب. وكذلك دولة الأتراك أولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز، والظاهر وابنه السعيد وأخوه العادل سلامش فخلع.

أقول: ثم الملك المنصور قلاوون وولده الأشرف وأخوه الملك محمد الناصر بن قلاوون، والملك المنصور ابن الملك الناصر وأخوه الأشرف كجك وأخوه الناصر أحمد فخلع وقتل، ثم أخوه الصالح ثم أخوه الكامل شعبان ثم أخوه المظفر حاجي ثم أخوه مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين، جعله الله وارث الأعمار عالي المنار ما لاح صباح وَهَّبت رياح.

(١) في آ، عبد الله والقاهر بأمر الله، والصواب: عبيد الله وبه تسمّى العبيديون الفاطميون، وهو عبيد الله ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم الفاطمي العلوي، من ولد جعفر ابن محمد الصادق، مؤسس دولة العلويين في المغرب وجدّ العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، أحد الدهاة، في نسبه خلاف طويل.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: أقول: قد تقدّم أن الغلاء وقع في أيام العادل زين الدين كِتْبُغا، واتفق أنه وقع أيضًا في أيام العادل الكبير سنة سبع وتسعين وخمس مائة، وأكل الناس بعضهم بعضًا، وهلك خلق كثير من الأغنياء والفقراء[١]. ثم عقبه فناء عظيم حتى حكى أبو أسامة[٢] في الذيل أن السلطان الملك العادل كَفَّن من ماله في مدة يسيرة من هذه السنة نحو مائتي ألف وعشرين ألف ميت، [وقيل: ثلاث مائة ألف من الغرباء][٣]، وأَكلت الكلاب الأموات في هذه السنة. وأُكل من الصغار والأطفال خلق كثير، يشوي الصغيرَ والداه ويأكلانه. وكثر هذا في الناس حتى صار لا يُنْكَر بينهم.

ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضًا، فيأكلون من يقدرون عليه. وإذا غلب القويُ الضعيفَ ذبحه وأكله. وفقد خلق كثير من الأطباء والشهود في هذه السنة، يُستدعَون إلى المريض [فيذبحون] ويؤكلون.

واستدعى رجل طبيبًا، فخاف الطبيب على نفسه، وذهب معه وهو على وجل عظيم/ وخوف، وجعل الرجل يكثر من ذكر الله والصدقة على من يجده في [٩٠ب]

(١) عن أخبار الغلاء والفناء في مصر، راجع الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٧٠؛ وذيل الروضتين لأبي شامة ١٩؛ ومفرج الكروب ٣/ ١٢٧؛ ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٧٧؛ والتاريخ المنصوري ١٤؛ وتاريخ الإسلام للذهبي (٥٩١- ٦٠٠) ٣١؛ وتاريخ ابن الفرات ٤/ ٢/ ٢٠٧؛ والسلوك للمقريزي ١/ ١/ ١٥٧؛ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٣؛ والدر المطلوب ١٤٩؛ وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١٨؛ والعسجد المسبوك ٢٦٥؛ ودول الإسلام ٢/ ١٠٦.

(٢) كذا في ب، وهو: أبو شامة المقدسي في كتابه: الذيل على الروضتين؛ وانظر بدائع الزهور ١/ ١/ ٢٥٤.

(٣) الزيادات من آ.

الطريق، فسكنت نفس الطبيب بذلك. فحين وصلا إلى الدار، إذا هي خرابة، فارتاب الطبيب من ذلك. فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه: ومع هذا البطء جيت لنا بصيد.

فلما سمع الطبيب قوله فرَّ هاربًا، فما خلص إلا بعد جهد جهيد[١].

ووقع الغلاء أيضًا في زمن المستنصر العلوي أحد خلفاء مصر[٢]، وأكلت الناس بعضهم بعضًا، حتى أن الوزير ركب يومًا إلى دار الوزارة، فلما نزل عن البغلة أخذت من غلامه وأكلت في الحال. فمسك آكلوها وشنقوا فأكلوا على الخشب، ولم يصبح منهم غير العظام.

ولما رجع هولاكو من الشام وقتل الملك الكامل صاحب ميافارقين بعد محاصرتها مدة، بلغ ثمن مكوك القمح فيها بكيل ميافارقين خمسة وأربعين ألف درهم، ورطل الخبز وهو سبعمائة وعشرون[٣] درهمًا بست مائة درهم، واللحم بست مائة درهم الرطل، واللبن بسبع مائة الرطل، والعسل بستمائة الأوقية، والبصلة بثلاثة وخمسين درهمًا، وأبيع رأس كلب بستين درهمًا، وأبيعت بقرة لنجم الدين مختار بسبعين ألف درهم، فاشترى الملك الأشرف رأسها وكوارعها بستة آلاف درهم وخمس مائة درهم، ومن ذلك وأشباهه أشياء كثيرة[٤].

ثانيها: نقلت من خط علم الدين البرزالي في تاريخه ما نصه:

«وفي وسط شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع ماية، ورد كتاب من حماة يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد على صور

(١) في آ، وبدائع الزهور لابن إياس ١/ ٢/ ٢٥٤- ٢٥٥.
(٢) هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٨٤.
(٣) كذا في آ.
(٤) بدائع الزهور ١/ ١/ ٢١٦.

حيوانات مختلفة منها سباع وحيات وعقارب وطيور ومعز وبلشون[١]، ورجال في أوساطهم حوائص، وأن ذلك ثبت بمحضر شرعي عند/ قاضي الناحية، ثم نقل [٩١آ] ثبوته إلى قاضي حماة، انتهى[٢].

أقول: وفي أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة فيه: أن ببخارا وقت السحر سُمع قعقعةٌ عظيمة من السماء، ودويّ كالرعد القاصف أسقطت منه الحوامل، فنظروا فإذا هو قد انفرج من السماء فُرْجةٌ عظيمة، ونزل أشخاص عظيمة، رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض، وقائل يقول: يا أهل الأرض اعتبروا بأهل السماء، هذا صفوائيل الملك عصَى الله تعالى فعذِّب.

فلما طلع النهار أتى الناسُ إلى ذلك الموضع، فوجدوا خِسْفًا عظيمًا لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود. كل ذلك مثبوت على يد قاضي بخارا بأربعين عدلًا.

وفي سنة أربع وعشرين وخمس مائة، طلعت سحابة على بلد الموصل فأمطرت نارًا فأحرقت ما وقعت عليه. وظهر بالعراق عقارب طيارة قتلت خلقًا كثيرًا[٣].

وفي سنة أربع وأربعين وخمس مائة أمطرت باليمن مطرًا كله دم، فبقي أثره في الأرض وفي ثياب الناس.

وفي هذه السنة أيضًا نهبت العرب الحاج بمكة، ووقفوا لهم بين مكة والمدينة فقاتلوهم فظهروا على الحاج وأخذوا من خاتون أخت الملك مسعود

(١) لم ترد في آ، وهي غير واضحة.

(٢) في الطبعة المنشورة حديثًا للكتاب بتحقيق عمر تدمري، تنتهي مادة الكتاب في السنة ٨٢٧هـ.

(٣) راجع الخبر في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٥٢٤) ٢١؛ والمنتظم لابن الجوزي ١٤/١٠ (٢٥٦/١٧)؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٠/١٢؛ وتاريخ الخلفاء لابن العمراني ٤٣٥؛ وأخبار الدول للقرماني ٢/ ١٧٢؛ ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٣٣.

ما قيمته مائة ألف دينار، ومن الحاج ما قيمته تزيد على مائة ألف دينار ونهبوا الجمال. ومات الناس عطشًا وجوعًا[١].

ثالثها: سنة اثنين وخمسين وخمس مائة، وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشيزر وأنطاكية وطرابلس، وهلك خلق عظيم، حتى أن معلِّمًا بحماة قام من المكتب ثم عاد فوجد المكتب قد وقع على الصبيان فماتوا كلهم، ولم يأتِ أحد يسأل عن ولده لأن آباءهم ماتوا أيضًا / . وهلك كل من في شيزر إلا امرأة وخادم واحد. وانشقّ تل حرّان[٢] وظهر فيه بيوت وعمائر ونواويس. وانشقّ في اللاذقية موضع وظهر فيه صنم قائم في الماء، وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع قلاع الفرنج، وانفرق البحر إلى قبرص، وقذف بالمراكب إلى ساحله، وتعدّى إلى ناحية الشرق، ومات خلق عظيم. [٩١ب]

قال صاحب المرآة[٣]: مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان، [نسأل الله العافية في العاقبة][٤].

وفيها أيضًا وقع وباء عظيم بين الحجاز واليمن، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت ثمان عشرة قرية لم يبق فيها ديّار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا[٥] يأتي إليهم أحد، ولا يستطيع أحد يسكن تلك القرى، ولا يدخلها. ومن دخلها هلك من ساعته ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦].

(١) في آ: وحرًّا.
(٢) مرآة الزمان: جيرون.
(٣) مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٧٣٣.
(٤) الزيادة من آ.
(٥) في آ: لاقاني لها.
(٦) سورة يس ٣٦/ ٨٣.

وأما القريتان الباقيتان فإنه لم يمت فيهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم من القرى، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد.

رابعها: سنة ثمان وثلاثين وست مائة، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»[١]: ورد من ملك التتار تولي خان[٢] ابن جنكيز خان كتاب إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته، ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم، وعنوان كتابه:

من نائب ربّ السماء، ماسح الأرض، ملك الشرق والغرب قان قان[٣].

وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل إصبهان، لطيف الأخلاق. فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل [بميافارقين][٤]، فأخبره بعجائب في أرضهم غريبة، منها أن بالبلاد المتاخمة للسند أناسًا أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم، يأكلون السمك/ ، وإذا رأوا أحدًا من الناس هربوا. [٩٢آ]

ومنها أن عندهم بزرًا ينبت الغنم، يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ولا يتناسل.

ومنها أن بمازندران[٥] عينًا يطلع منها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة، فتقيم طول النهار، فإذا غربت الشمس غاصت في العين، فلا ترى إلا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٥٥- ١٥٦؛ والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٧٧؛ وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات سنة ٦٣٨/ ٤٠)؛ ودول الإسلام ٢/ ١٠٨؛ ومرأة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/ ٢/ ٧٣٣.

(٢) ليست في ب عند ابن كثير؛ وفي آ: نوكي؛ وفي المختار لابن الجزري: من ملكهم خاقان.

(٣) في آ: خاقان.

(٤) الزيادة يقتضيها السياق، وانظر ترجمة شهاب الدين غازي في الوافي للصفدي ٢٣/ ٥٦٨ رقم ٣٦١.

(٥) مازندران: اسم لولاية طبرستان، انظر معجم البلدان لياقوت ٥/ ٤١.

لمثل ذلك الوقت، وأن بعض الملوك احتال على سلبها[١] وربطها بالسلاسل الحديد، فغارت وقطعت تلك السلاسل. ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل، وهي إلى الآن كذلك، وهذا أمر عجيب جدًا.

خامسها: سنة ثمان عشرة وأربع مائة، فيها ورد كتاب من السلطان محمود بن سبكتكين[٢] إلى الخليفة يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند، وأنه كسر الصنم المشهور بسومنات، وأن أصناف الهند افتتنوا به، وكانوا يعتقدون أنه يُحيي ويُميت، ويقصدونه للحج من كل فجٍّ عميق، فيتقرّبون إليه بالأموال حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة. وامتلأت خزائنه بالأموال، ورتب له ألف رجل للخدمة، وثلاث مائة يحلقون رؤوسهم[٣] وحواجبهم ولحاهم عند القدوم، وثلاث مائة رجل وخمس مائة امرأة يغنون عند بابه ويرقصون[٤].

ولقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم، ويتعرف الأحوال، إلى أن وصف له المفاوز إليه وكثرة الرمال. فاستخار العبد الله تعالى في الانتداب لهذا الواجب طلبًا للأجور. ونهض في شعبان سنة ست عشرة [وأربع مائة] في ثلاثين ألف فارس، سوى المطَّوِّعة، ففرّق في المطَّوِّعة خمسين ألف دينار معونة، وقضى الله تعالى بالوصول إلى بلد الصنم المذكور/ [٩٢ب] . وأعان الله تعالى حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقد عليه النار حتى تقطع، وقتل خمسين ألفًا من هذا البلد.

---

(١) كذا في ب، وفي آ: احتال عليها ليمسكها فسلسلها بسلاسل من الحديد. وفي البداية والنهاية لابن كثير: ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٧٣٣؛ وانظر الرواية في تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث سنة ٦٣٨هـ.

(٢) وفي آ: يحلقون رؤوس حجيجه وحواجبهم.

(٣) انظر الرواية مع اختلاف في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٥/ ١٩٨.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي (سنة ٤١٨) ٢٦٠؛ والكامل لابن الأثير ٩/ ٣٦١؛ ونهاية الأرب للنويري ٢٦/ ٢٥١؛ والمنتظم لابن الجوزي ٨/ ٢٩.

قال الشيخ شمس الدين في تاريخه[١]: ووجدوا حوله أصنامًا كثيرة من الذهب والفضة مرصّعة بالجواهر محيطة بعرشه يزعمون أنها ملائكة. ووجدوا في أذنيه نيِّفًا وثلاثين حلقة. فسألهم محمود عن ذلك فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة. وورد منه أيضًا كتاب آخر فيه أنه وافى مدينة لم يعاين مثلها، فيها زهاء ألف قصر مشيد، وألف بيت للأصنام، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال من الذهب. وقلع من أصنام الفضة ما يزيد على ألف صنم. ولهم صنم معظّم عندهم يؤرخون مدته بجهالتهم العظيمة بثلاث مائة ألف عام. وقد بنوا حول تلك الأصنام المكتوبة[٢] زهاء عشرة آلاف بيت، فعني العبد بتخريب تلك المنطقة اغتنامًا [للأجر][٣]، وعمّها المجاهدون بالإحراق، فلم يبقَ منها إلا الرسوم، وأفرد خمس الرقيق فبلغ خمسةً وخمسين ألفًا، واستعرض ثلاث مائة وخمسين فيلًا[٤].

سادسها[٥]: سنة أربع وخمسين وست مائة في خامس[٦] جمادى الآخرة، فيها ظهرت النار بأرض الحجاز. قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين الملقّب بأبي شامة في تاريخه[٧]، أنها ظهرت في التاريخ المذكور واستمرت شهرًا وأزيد منه. وذكر كتبًا متواترة عن أهل المدينة

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٢١- ٤٤٠) ٧١؛ وراجع حول ذلك وفيات الأعيان ٥/ ١٧٦؛ والكامل لابن الأثير ٩/ ٣٤٢؛ والمنتظم لابن الجوزي ٨/ ٥٢؛ والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٦؛ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢.

(٢) كذا في ب، وفي آ: المنصوبة.

(٣) سقطت من ب وأضيفت من آ.

(٤) انظر الرواية مفصلة في تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث سنة ٤١٠هـ.

(٥) الملفت أن اختلافًا وقع بين المخطوطين في مادة «سادسها وسابعها»، فجاءت مادة «سادسها» تحت رقم سابعها في المخطوط ب، في حين وردت المادة عكس ذلك في آ.

(٦) في آ: في نصف جمادى الآخرة.

(٧) انظر رواية أبي شامة في الذيل على الروضتين ٢/ ١٠٨-١١٣؛ وتابع خبر هذه النار في تاريخ الإسلام للذهبي (سنة ٦٥٤) ١٨- ٢٢.

في كيفية ظهورها شرقي المدينة من ناحية وادي شطا تلقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة.

وذكر أن المدينة زلزلت بسببها، وأنهم سمعوا أصواتًا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أول ذلك مستهل الشهر يوم الاثنين، فلم تزل ليلًا ونهارًا، حتى ظهرت يوم الجمعة خامسه فانبجست تلك الأرض عند وادي شطا عن نار عظيمة جدًا صارت مثل الوادي العظيم طوله أربعة فراسخ / وعرضه أربعة أميال وعمقه [١٩٣آ] قامة ونصف، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك[١] ثم يصير كالفحم الأسود، وذكر أن من الناس من كتب على ضوئها بالليل، وكأن في كل بيت منهم مصباح. ورأى الناس سناها من مكة[٢].

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير[٣]: أخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي التميمي الحنفي قال: أخبرني والدي وهو الشيخ صفي الدين مدرّس مدرسة بُصْرَى، أنه أخبره غير واحد من فضلاء الأعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان بحاضرة بُصْرَى، أنهم رأوا صفحات أعناق إِبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.

قال أبو شامة[٤]: إن أهل المدينة لجأوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها، واستغفروا الله تعالى من ذنوب كانوا عليها واستغفروا عند قبر رسول الله ﷺ مما سلف منهم، وأعتقوا عبيدهم وتصدّقوا

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية لدوزي ١/ ٢٠٤ ما يلي: كتبت عند المستعيني: أنوك في مادة أسرب، وفي مادة قصدير: أنوك في نسخة، وأنُك في أخرى. وأنُك معرب أنكا في السريانية، ومدلول الكلمة هو الرصاص أو القصدير، ومعناه بالعربية الأسرب وهو الرصاص أو الأبيض منه خاصة.

(٢) انظر الذيل على الروضتين لأبي شامة ٢/ ١٠٨- ١٠٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٨٧- ١٩٣.

(٤) ذيل الروضتين ٢/ ١٠٩.

على فقرائهم، وقال قائلهم في هذه النار أبياتًا[١]: [من البسيط]

بحرٌ من النار تجري فوقه سُفُنٌ ... من الهضاب لها في الأرض إرساءُ
تَرى لها شَررًا كالقصر طائشةً ... كأنها ديمةٌ تنصبُّ هطلاءُ
منها تكاثفَ في الجوّ الدخانُ إلى ... أن عادت الشمسُ منه وهي دهماءُ
فيا لها آيةٌ من معجزات رسو ... ل الله يعقِلها القَومُ الألبّاءُ

يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن رجاء بن النعمان وشعيب عن الزهري، قال سعيد بن المسيب: أخبرني أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقومُ الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيءُ أعناق الإبل ببصرى». ويورد في آخر كتاب الفتن، في باب خروج النار، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونعوذ بالله من النقم في السرّ والعلن[٢].

سابعها: كان باليمن رجل خارجي استولى/ على البلاد. وكان يدّعي مذهب [٩٣ب] القرامطة، وينتمي إلى صاحب مصر الفاطمي ويتستر بالإسلام. قتل خلقًا كثيرًا وشق بطون الحوامل، وذبح الأطفال. فمات وملك بعده ولده، ففعل أشد مما فعل أبوه، وبنى على قبره قبةً عظيمة صفّح حيطانها بالذهب [والفضة] والجواهر وستور الحرير [وقناديل الذهب][٣] بحيث لم يعمل مثلها. ومنع أهل اليمن من الحج إلى البيت الحرام، وأمرهم بالحج إلى القبة التي بها قبر أبيه[٤]. فكانوا

(١) هي الأبيات ٥، ٦، ٨ و١٢ من قصيدة تبلغ ١٨ بيتًا، مع اختلافات في الروايتين. انظر الذيل على الروضتين ٢/ ١١٣.
(٢) صحيح البخاري، آخر كتاب الفتن، باب خروج النار ٩/ ٤٩، ٧٣.
(٣) الزيادات من آ.
(٤) ورد في ترجمة الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، أن اسم هذا الرجل هو عبد النبي بن مهدي. انظر الرواية في وفيات ابن خلكان ١/ ٣٠٦ رقم ١٢٧؛ وتاريخ الذهبي، وفيات سنة ٥٦٩هـ.

يحملون إليها من الأموال كل سنةٍ ما لا يحصى، ويطوفون بها، ومن لا يحمل شيئًا قتله.

وأقام على الفسق والفجور وذبح الأطفال وسبي النساء وسفك الدماء مدة. فكاتبَ أهلُ اليمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فسيّر إليهم أخاه شمس الدولة[١]، ففتح اليمن وقتل الخارجي. وكان اسمه عبد النبي بن المهدي[٢]، وهدم القبة، وأخذ ما فيها من المال والجوهر، وكان وَسْق ست مائة حمل[٣]. ونبش القبر وأحرق عظام اللعين الخارجي لا رحمه الله.

(١) هو الملك المعظم توران شاه، ترجمته في الوافي للصفدي ١٠/ ٤٤١ رقم ٤٩٣٣.
(٢) هو عبد النبي بن مهدي صاحب اليمن، ترجمته في الوافي للصفدي ١٩/ ٢٤٦ رقم ٢٢٠.
(٣) كذا في ب، وصوابها: جمل.

الباب السادس
في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في القاهرة وضواحيها، والأهرام ونواحيها من إقليم مصر

أقول: قد تقدّم أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]، رحمهُ الله، كان قد بنى في قلعة الجبل للمحدِّثين سبع قاعات، وكان فيها أيضًا في الخزانة الكبرى سبع[2] حواصل، وهي: حاصل الزرديات، وحاصل الأعمدة، وحاصل الجوخ، وحاصل السيوف، وحاصل القراقل ولبوس الخيل، وحاصل القِسيّ، وحاصل الخوَذ والزنود والأتراس.

والقاهرة نفسها سبع حارات، وهي حارة زويلة، وحارة العرب، وحارة الروم، وحارة الديلم، وحارة كُتامة، وحارة بهاء الدين، وحارة بَرَجَوان[3] أحد أمراء الحاكم، وعلى يده بني جامع القاهرة داخل باب النصر سنة سبع وثمانين وثلاث مائة. وفيها مكان يُعرف بالسبع خُوَخ، والأصل فيها / أنها كانت سبعة [١٩٤] أبواب في دهليز قصور خلفاء الفاطميين، وآثارها باقية إلى الآن. وفيها أيضًا قيسارية الصاغة ولها سبعة أبواب، وقيسارية شركس[4] ولها سبعة أبواب.

وعند قناطر[5] السباع مكان يُعرف بالسبع سِقايات، وهو عبارة عن سبع

---

(١) ترجمته في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٣٥٣- ٣٧٤ رقم ١٩١٧.
(٢) في آ: سبعة.
(٣) هو الأستاذ أبو الفتوح الأسود من خدام العزيز العبيدي والحاكم، ترجمته في الوافي للصفدي ١٠/ ١١ رقم ٤٥٦٤؛ ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٠ رقم ١١٢.
(٤) في آ: جهاركس.
(٥) في آ: قنطرة.

أنابيب ماء تشرب منها الناس. وبالقرافة مكان يعرف بالسبع قبيبات بالقرب من الحفائر، وهي في الحقيقة ستة لا غير، والأصل فيها أنه كان بين بني المغربي الوزير وبين أبي نصر وزير الحاكم عداوة[١]، فسعى عليهم عند الحاكم، فأمر بضرب رقابهم، فقتل منهم ستة، وهم والد الوزير ابن المغربي وأخواه وثلاثة من أهل بيته.

فاستتر أبو القاسم الوزير ابن المغربي[٢]، وهرب من مصر إلى الشام، والتجأ إلى بني الجراح في الرملة، وحسَّن لهم الخروج على الحاكم ونزع أيديهم من طاعته، فطاوعوه وأحضروا أبا الفتوح الحسن الحسيني[٣] من مكة وأقاموه خليفة، وقبّلوا الأرض بين يديه وبايعوه بالخلافة ولقّبوه بالراشد بأمر الله. فعند ذلك صعد أبو القاسم ابن المغربي منبرًا وخطب خطبة بليغة حرّض فيها على قتال الحاكم، وافتتحها بقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾[٤].

وجعل يشير بيده إلى جهة مصر، ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ

(١) راجع الرواية في نهاية الأرب ٢٨/ ١٨٥ – ١٨٧.

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٧٢ رقم ١٩٣؛ ومعجم الأدباء لياقوت ٩/ ٧٩؛ ولسان الميزان ٢/ ٣٠١؛ وشذرات الذهب ٣/ ٢١؛ وأخباره منثورة في الجزء التاسع من الكامل لابن الأثير.

(٣) هو أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني أمير الحرمين، انظر تفاصيل ما حدث في أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر ١/ ١٩٩ – ٢٠٠؛ ونهاية الأرب للنويري ٢٨/ ١٨٥ – ١٨٦.

(٤) سورة القصص ٢٨/ ١ – ٤.

فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[١].

فلما بلغ الحاكم ذلك أزعجه إزعاجًا عظيمًا. وسيّر إلى بني الجرّاح وبذل لهم مالًا جزيلًا، وخوّفهم العاقبة، فمالوا إليه بعد خطاب[٢] طويل. وكتب إلى / [٩٤ب] ابن المغربي أمانًا واسترضاه، وبنَى على الستة الذين قتلهم من أهله سِت قباب، وهي معروفة الآن بالسبع قباب[٣]. والظاهر أنه كان إلى جانبها قبة أخرى فسُمِّيت بالسبع قباب بهذا الاعتبار.

وبالقرافة أيضًا شجرة تعرف بالإهليلجة في جامع محمود في سفح جبل المقطّم، تقبل النذر، ومن النساء من تأخذ منها سبع ورقات وتنذر لها، تفعل ذلك من النساء من تريد الزواج.

وفيها أيضًا القبور السبعة التي اشتهرت عند المصريين بـ «قضاء الحوائج»، والدعاء عندها مستجاب[٤]. وذلك أن من زارها في يوم السبت، وسأل اللهَ تعالى حاجته قضيت. وهي: قبر ذي النون المصري[٥]، وقبر أبي الخير الأقطع[٦]، وقبر أبي الربيع، وقبر القاضي بكّار[٧]، وقبر القاضي كنانة، وقبر أبي بكر المُزَني، وقبر أبي الحسن الدينوَري[٨] رضي الله عنهم أجمعين.

(١) سورة القصص ٢٨/ ٤ - ٦.
(٢) في آ: خَطْبٍ طويل.
(٣) في آ: قبيبات.
(٤) يمكن مراجعة تفاصيل حول هذه الأمور في اتعاظ الحنفا للمقريزي (انظر الفهارس).
(٥) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري أبو الفيض أحد العباد الزهاد، نوبي الأصل، ترجمته في الوافي للصفدي ١١/ ٢٢- ٢٤ رقم ٣٧؛ وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣؛ ووفيات الأعيان ١/ ٣١٥ رقم ١٢٩؛ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٨؛ وطبقات الصوفية ١٥/ ٢١.
(٦) هو التينّاتي الأسود صاحب الكرامات، ترجمته في الوافي للصفدي ١٣/ ٤٤٥؛ وطبقات الصوفية للسلمي ٣٧١؛ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٨٧/ ١٩٠.
(٧) هو بكار بن قتيبة الثقفي القاضي، ترجمته في الوافي للصفدي ١٠/ ١٨٥ رقم ٤٦٦٨.
(٨) ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٤٩ رقم ٨٨؛ وطبقات الصوفية للسلمي ٣١٢ رقم ١٤.

أقول: ومن الأدعية المجابة ما جاء في الحديث عن أنس ﷺ أنه قال: كان رجل كثير الأسفار على عهد رسول الله ﷺ يتَّجر من بلاد الشام إلى المدينة، ولا يصحب القوافل توكلًا على الله تعالى. فبينما هو جاءٍ[١] من الشام، [إذْ] عرض له لص على فرس، فصاح به: قف. قال: فوقف التاجر وقال له: شأنك ومالي. فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد روحك. فقال له: أنظرني حتى أصلي. قال له: افعل ما بدا لك.

فصلّى أربع ركعات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، [يا مبدئ يا معيد][٢]، يا فعّال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرتها على [جميع] خلقك، وبرحمتك التي وَسِعت كل شيء، سبحانك لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني[٣].

وإذا بفارسٍ بيده حربة، فلما رآه اللص ترك التاجر ومر نحوه. فلما دنا منه طعنه وأرداه عن فرسه ثم قتله. وقال للتاجر: اعلم أني/ ملَك من [ملوك][٤] [١٩٥آ] السماء الثانية، دعوتَ أولًا فسمعنا لأبواب السماء قعقعة، فقلنا: أمرٌ حدث. ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء ولها شرر، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل ينادي: من لهذا المكروب؟ فدعوت الله تعالى أن يوليني قتله. واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا في كل شِدّةٍ أغاثه الله تعالى وفرّج عنه.

ثم جاء التاجر سالمًا إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر فقال: لقد لقّنك الله أسماءه

(١) كذا في ب، وهي: عائد، أو قافل كما ورد في آ.
(٢) الزيادات من آ.
(٣) في الهامش دعاء: اللهم يا ذا المعروف الدايم، الذي لا ينقطع معروفه أبدًا، ولا يحصيه غيره، فرّج عني.
(٤) الزيادات من آ، والأَولى أن يقول: من ملائكة، ربما كان ذلك من أوهام النساخ.

الحسنى، التي إذا دُعي بها أجاب، وإذا سُئِل بها أعطَى[١].

وشكى[٢] رجل إلى الحسن [البصري] أن رجلًا كَلمَه[٣] فقال: إذا صليت الركعتين بعد المغرب وسلّمت، فاسجد وقل: يا شديد القوى، يا شديد المحال، يا عزيزًا ذلّلتَ بعزتكَ جميعَ خلقك، صَلِّ على سيدنا محمد، واكفني مؤنة فلان بما شئت مما لا أقدر عليه. فسمع ذلك الرجل صيحةً [عظيمةً] في الليل، فسأل عنها، [فقيل له]: مات فلان فجأةً.

وكان أبو مسلم الخولاني إذا دهمَه أمر قال: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين.

وقالوا: كلماتُ الفرج عند الكرب: لا إله إلا الله الحليم الكريم، وسبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين.

وقال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: إذا كثرت همومك فأكثر من: «لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم». وإذا درّت عليك النعم فأكثر من: «الحمد لله رب العالمين». وإذا أبطأ عليك[٤] الرزق فأكثر من الاستغفار.

ومن قال في ليلٍ أو نهار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. أعلم أن اللهَ على كل شيء قدير، وأن اللهَ قد أحاط بكل شيءٍ علما. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابةٍ أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على كل شيء قدير». لم يضره شيء.

ومن قال: سبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاث مرات / بعد صلاة الصبح، أمنَ من كل غَمّ وجذام وبرص وفالج. [٩٥ب]

(١) كذا في ب.
(٢) كذا في ب، والأولى أن تكتب: شكا.
(٣) كذا في ب، وفي آ: ظلمه، وهو الأدنى إلى الصواب.
(٤) كذا في ب، وفي آ: عنك.

أقول: ومما جاء في آداب الدعاء، أن يترصّد الإنسانُ الأوقات الشريفة كما بين الأذان والإقامة، وحالة السجود، ووقت السحر، وأن يدعو[١] مستقبلًا القبلة، ويرفع يديه، ويمسح بهما وجهه بعد الدعاء، وأن لا يرفع بصره إلى السماء عند الدعاء لما ورد من النهي عن ذلك، وأن يخفض صوته لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[٢]، ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٣]، وأن لا يتكلّف، ويأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع. وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها، كما ترى في آخر سورة البقرة[٤].

وبالقرب من القرافة أيضًا بساتين[٥] الوزير، وهي سبع[٦] بساتين في بركة الحبش[٧].

والواحات بمصر [سبعٌ][٨]، منها واحدة تسمَّى «التايهة»، وحكايتها غريبة [مشهورة] عند المصريين. والتاج والسبع الوجوه[٩]، مكان مشهور ظاهر القاهرة [وهو] من متنزهاتها الحسنة، تقصده الناس أيام الربيع للفرجة. وقد ذكره الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله في موشحته التي يقول فيها[١٠]:

---

(١) في ب: يدعوا.
(٢) سورة الأعراف ٧/ ٥٥.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ٢٠٥.
(٤) سورة البقرة ٢/ ٢٨٤- ٢٨٦.
(٥) في آ: مكان يعرف ببساتين الوزير.
(٦) في آ: سبعة.
(٧) القاموس الجغرافي للديار المصرية ١/ ١٥٠.
(٨) الزيادات من آ.
(٩) في آ: والسبعة وجوه.
(١٠) راجع الموشحة كاملة في: «ديوان شعر أبي حيان» ١٤٩- ١٥١؛ والوافي للصفدي ٥/ ٢٧٠- ٢٧١.

مهلًا أبو[١] القاسمْ على أبي حيانْ
[ما] إنْ له عاصم من لحظك الفتّان
وهجركَ الدائم قد زاده هيمان[٢]

فدمعه أمواجْ وسِرُّه قد لاحْ لكنه ما عاجْ ولا أطاع اللاحْ
يا رُبّ ذي بهتانْ يعذلني[٣] في الراحْ وفي هَوى دافعت بالأرواح[٤]
وقلت: عن حبه يا صاحْ[٥] سبع الوجوه هي منية الأفراح
فاختر لي يازجّاج، أفراح[٦] وزوج أقداحْ

وقال آخر يمدح كوم الريش: [من البسيط]

انظر إلى كوم ريشٍ قد غدا نزهًا للبّ كل سليمِ الروح يجتلبُ
به بحارُ لآلٍ قد حوت قُضُبًا من الزبرجدِ منها يحصل العَجَبُ
ولا تقل: كومُ ريشٍ ما له ثمنٌ فإن بالريش حقًا يُجتنَى الذهبُ

وقال آخر يعرِّض بذكر إنسان يلقّب بالتاج بذمّه: [من السريع]

تبًّا لكوم الريش من بلدَةٍ ليس بها رِفْدٌ لمحتاجِ
والسبعة الأوجه لا تنسَها ولعنةُ الله على التاجِ

وقلت أنا في رسالتي «السجع الجليل فيما جرى في [زمن][٧] النيل» ما جاء

(١) في الوافي وشعر أبي حيان: أبا، وهو الأدنى إلى الصواب، ورد في آ.
(٢) نفسه: قد طال بالهيمان؛ وفي نفح الطيب: وسره قد باح.
(٣) الوافي بالوفيات وديوان أبي حيان: يعذِل في الراح.
(٤) نفسه: دافعت بالراح.
(٥) في آ: عن ذاك يا لاحَي، وكذلك في الديوان.
(٦) قارن برواية الوافي بالوفيات؛ وفي الديوان: قمصال، وهي لفظة مغربية تعني قدح للشراب.
(٧) الزيادة من آ.

[١٩٦آ] منه: وفك من الجزيرة أسارَى/ من يد الجدب، وأنقذهم من حر الحرب[١] وكر كرب، وأنشأ بها لأصحاب القصب الطرَب، ورصَّع التاج بجواهر الحبَب، ودار بسوق الأشجار من جداوله المحمرة خلاخل الذهَب، وأحيا ما في مَواتها من مَيِّتِ الرمْس، وأحاط بالوجوه السبعة من الجهات الست، فسكرت[٢] الحواس الخمس.

وفي جزيرة الفيل مكان يُعرَف بالهمَايل، وهو عبارة عن سبع سواقي تدور بالماء أيام النيل للفرحة[٣].

ومن أحسن ما قيل في دولاب الساقية قول مجير الدين ابن تميم مضمِّنًا: [من الطويل]

ودولابِ روضٍ كان من قبلُ أغصنًا ... تميسُ فلما فرقته يدُ الدهرِ[٤]
تذكّرَ عَهْدًا بالرياض فكلهُ ... عيونٌ على أيام عهدِ الصبا تجري[٥]

وله أيضًا: [من الطويل]

تأمّلْ إلى الدولاب والنهر إذْ جَرَى ... ودمعُهما بين الرياض غزيرُ[٦]
كأنَّ نسيمَ الروضِ قد ضاع منهما ... فأصبح ذا يجري وذاك يدورُ

وذكر الشريشي في شرح المقامات[٧]، أن بين الجزيرة والأهرام سبعة أميال.

(١) في آ: حَرّ حَرْب.
(٢) في آ: فشكرته.
(٣) كذا في ب، وفي آ: للفرجة.
(٤) في آ: فارقتها يد الدهر.
(٥) في آ: عيون على أيام الصبا أبدًا تجري.
(٦) حسن المحاضرة للسيوطي: غدير.
(٧) شرح الشريشي للمقامات ٣/ ٤١٧.

أقول: والميل ألف باع، والباع أربعة أذرع، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا، والإصبع ست شعيرات توضع بطن هذه إلى ظهر تلك. والشعيرة ست شعرات من ذنب البغل. والفرسخ ثلاثة أميال، والبريد أربعة فراسخ.

وقال الزمخشري: وهما - يعني الهرمين - على فرسخين من الفسطاط، كل واحدٍ أربع مائة ذراعٍ عرضًا، والأساس زائد[١] على موضع يُعرف بذات الحمام فوق الإسكندرية. ولا يزالان ينخرطان في الهوى صنوبرتين[٢] حتى يرجع دورهما[٣] إلى مقدار خمسة أشبار في خمسة.

وليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما منقور[٤] فيهما بالمسند كل سحر وطلسم وطب، وفيه: إني بنيتهما[٥]، فمن ادّعى قوةً في ملكه فليهدمهما، فإن خراج الأرض لا يفي بهدمهما / . وقالوا: لا يعرف من بناهما[٦]. [٩٦ب]

وقال المسعودي في «مروج الذهب»[٧]: طول كل واحدٍ منهما وعرضه أربع مائة ذراع، وأساسهما [نازل][٨] في الأرض مثل طولهما في العلو، وفي كل هرم منهما سبعة بيوت على عدد السبع كواكب النيّرة السائرة، كل بيت منها باسم

(١) في آ: على ذلك. وهو مبني بالحجارة المرمر، وهي منقولة من مسافة أربعين فرسخًا من موضع يعرف بذات الحمام فوق الإسكندرية.
(٢) في آ: في الهواء.
(٣) في آ: في نهاية علوهما.
(٤) في آ: مصوّر.
(٥) في آ: بنيتهما بملكي.
(٦) في آ: ومما قيل في بنائهما وعظمهما: [من الطويل]

خليليّ ما تحت السماء بنيةٌ تشابه في بنيانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما على الأرض يخشى دائمًا سطوة الدهر

(٧) عن أخبار الأهرامات، انظر مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٧٧؛ وأنوار علوي الأجرام للإدريسي ٦٦ «وصفهما متناثر في أجزاء الكتاب».
(٨) الزيادة من آ.

كوكب ورسمه، وجعل في جانب كل بيت منها صنم من ذهب مجوّف، وإحدى يديه موضوعة على فمه، وفي جبهته كتابة كاهنية، إذا قرئت فتح فاه وخرج منه مفتاح ذلك القفل.

وإن لتلك الأصنام قرابين وبخورات في بعض أيام وأوقات السعادة، ولها أرواح موكلة بها، مسخّرة لحفظ تلك البيوت والأصنام وما فيها من التماثيل والعلوم والعجائب والجواهر والأموال. وكل هرم فيه ناووس من الحجارة مطبق عليه، ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمه مطلسم عليه، لا يصل إليه أحد إلا في الوقت المحدود فيه الفساد[١].

وذكر بعضهم أن فيها مسارب للماء يجري فيها النيل، وأن فيها مطامير تسع من الماء بقدرها، وأن فيها مكانًا ينفذ إلى صحراء الفيوم، وهو مسيرة يومين.

قال: وروي في بعض أخبارها، أن عليها مكتوبًا: «بنينا هذه الأهرام في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ست مائة سنة»[٢]، فإن الهدم أهون من البنيان. وكنا نكسوها حريرًا، فليكسُها من أتى بعدنا حُصْرًا.

ودخل جماعة في أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير، فوجدوا في أحد بيوته جامًا زجاجًا[٣] غريب اللون والتكوين. فحين خرجوا به فقدوا منهم واحدًا، فدخلوا في طلبه، فخرج إليهم عريانًا وهو يضحك وقال: لا تتعبوا في طلبي، ورجع هاربًا إلى داخل [الهرم][٤]. فعلموا أن الجن استهوته. وشاع أمرهم،

(١) حسن المحاضرة للسيوطي ١/٧٨- ٧٩.

(٢) في كتاب الشريف الإدريسي: بنيناها في ستة أعوام، فمن شاء فليهدمها في ستين عامًا...؛ وكتاب أخبار الزمان المنسوب للمسعودي ١٥٩- ١٦٤. وفي فضائل مصر لابن زولاق ص ٧٠: قد كسوناهما بالديباج، فمن شاء بعدنا فَليكسهما حصيرًا؛ وانظر الرواية في أنوار علوي الأجرام للإدريسي ٩٥.

(٣) كذا في ب، وفي آ: جام زجاجٍ.

(٤) الزوائد من آ.

فأُحضروا عند أحمد بن طولون، فحكوا له القصة، فمنع الناس من الدخول في الهرم، وأخذ منهم ذلك الجام الزجاج. فقال له إنسان عارف بأمور الأهرام وأحوالها: هذا / لا بد فيه من سرّ. فأخذه وملأه ماء ووزنه، ثم صب ذلك الماء [٢٩٧آ] ووزنه، فوجد [زنته وهو] ملآن كزنته وهو فارغ، لا يزيد ولا ينقص، فتعجبوا من ذلك غاية العجب[١].

ولما فتح المأمون الثلمة الموجودة في الهرم الكبير الآن وانتهى إلى عشرين ذراعًا، وجد مطهرةً خضراء فيها ذهب مضروب، وزن كل دينارٍ منه أوقية من أواقنا، وكانت ألف دينار، فعجب من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته فقال: ارفعوا حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة، فرفعوه فوجدوه بإزاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص، فتعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه، وتركهم ما يوازنه في مكانه غاية العجب.

وقال: كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا[٢].

وحُكي أن جماعة من المصريين دخلوا في الهرم الكبير فوجدوا فيه بيوتًا فيها تماثيل عليها ذهب وتراصيع مصنوعة، فأخذوا منها ما قدروا عليه. فلما خرجوا فقدوا منهم واحدًا. فبينما هم يفكرون في أمرهم[٣]، وإذا به قد خرج من أقصى النقب وهو عريان يضحك كالأبله وهو يقول: صل صلبوا صل صلبوا، ورجع داخل الهرم فكان آخر العهد به.

[وحكي أن الذي بناها ملك يقال له سلمان بن درمسيد، الذي أغرقه نوح عليه السلام بالطوفان، وله حكايات عجيبة غريبة في سبب بنائها، ذكرها صاحب

(١) وحول أخبار الهرمين مفصلة، انظر معجم البلدان لياقوت ٥/ ٣٩٩ (الهرمان).
(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٧٩.
(٣) في آ: في أمره.

«أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام» للشريف الإدريسي][1] وأنه لما بناها وَكَّل بكل هرم منها روحانيًا يحفظه، فوكل بالهرم البحري الذي هو مفتوح الآن، روحانيًّا في صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج، ولها ذوائب تصل إلى الأرض، فإذا أرادت أن تستفز الإنسي ضحكت في وجهه واستجرته إلى نفسها فتطمعه وتسخر به[2].

وحكى من رآها عريانة عند هذا الهرم فامتلأ قلبه رعبًا وعدل عنها ولم يكلِّمها ولم تكلِّمه. ووكَّل بالهرم الذي إلى جانبه روحانيًّا في صورة غلام أمرد أصفر عريانًا. وذكر جماعة أنهم رأوه إلى جانبه مرةً بعد مرة ثم يغيب عنهم. ووكّل بالثالث وهو الصغير روحانيًّا في صورة شيخ في يده مبخرة / وكأنه يبخر بها [٩٧ب] وعليه ثياب الرهبان.

وذكر قوم من أهل الجيزة أنهم رأوه مرات في أطراف النهار، فإذا قربوا منه يغيب عنهم ولم يظهر، فإذا بعدوا عنه عاد إلى حالته التي كان عليها.

وأحوال الأهرام وحكاياتها غريبة، وللناس فيها كلام كثير، وهي من عجائب البلدان وغرائب البنيان، وهذا القدر كافٍ هاهنا، والله تعالى أعلم.

(١) الزيادة من آ.
(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٧٩.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائره المستطاب

أولها: أقول: ومن عجائب البلدان الغريبة ما وُجد بالأندلس حين فُتحت في مدينة يُقال لها مدينة الملوك. قال جماعة من المؤرخين إنه وجد في قصر المملكة بها أربعة وعشرون تاجًا بعدة[١] من ملكها، لا يُدرَى [ما] قيمة كل تاج منها، وعلى كل تاج اسم صاحبه، وكم ملك من السنين، ووجد فيه مائدة سليمان بن داود عليه السلام.

قال في مرآة الزمان: وهي من الذهب، وقيل من الياقوت، وعليها[٢] أطواق الجوهر الثمين، فحُملت إلى الوليد بن عبد الملك. ووجد فيه باب مقفول عليه أربعة وعشرون قفلًا، كان كلما تملّك منهم ملك زاد قفلًا، ولا يعلمون [ما] وراء ذلك الباب. فلما ملك أرتق[٣] وهو آخر ملوكها قال: لا بد لي أن أعرف ما في هذا الباب.

فاجتمعت إليه الأساقفة والرهبان وسألوه أن لا يفعل ذلك، وأن يقتدي بمن تقدمه من الملوك، ولا يتعرض لفتح ذلك الباب. فلم يقبل وفتحه، فإذا فيه تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ورماحهم [وسيوفهم][٤]. فلم يلبث أن وصلت العرب بلده في تلك السنة وتملّكوها، وهذا من العجائب[٥].

(١) في آ: بعدد.
(٢) في الأصل: عليه؛ وانظر آثار البلاد للقزويني ٥٤٦.
(٣) في م: ابن زريق، وهو «لذريق» كما وردت في المصادر التاريخية العربية المؤرخة لنفس الفترة، وهو تحريف «رودريك، أو ردريق، كما وردت في معظم المصادر التاريخية.
(٤) الزيادات من آ.
(٥) راجع الرواية في تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ٣٢؛ وفتوح مصر لابن عبد الحكم ٣٤٧؛ والروض المعطار للحميري ٣٤.

ثانيها: حكى القاضي أبو اليُسْر ابن عطاء بن نبهان، أن جبلًا يقال له جبل كورة رستم بالشرق، فيه غار، في أعلى الغار ثقب[١] كفم الكوز، إذا أدخل الإنسان يده في ذلك الثقب، يرى حزمة من قضبان عددها خمسة عشر قضيبًا، لا يُدرَى من أي شيء هي، مشدودة بخيط لا يُدرَى من أي شيء هو، وإذا حُلَّت تلك العقدة لا يقدر أحد / أن يعقد مثلها، وإذا أخذ الإنسان تلك الحزمة وخرج بها من الغار سقطت حزمة أخرى مكانها. وهكذا أبدًا، وهو من أغرب ما يكون. [١٩٨آ]

ثالثها: وبالقرب من دربند[٢] جبل عظيم في أسفله ضيعة يقال لها زممة[٣] كادان، معنى ذلك ضيعة الدروع والجواشن، وذلك لأن نساءهم وأولادهم وجميع من فيها ليس له شغل سوى عمل الدروع وآلات الحرب، وليس لهم زروع ولا بساتين، وهم من أكثر الناس خيرًا ومالًا، يقصدهم الناس بجميع النعم من سائر الآفاق.

ومن عجيب أمرهم أنهم إذا مات منهم الميت، فإن كان رجلًا أسلموه إلى رجال في بيوت تحت الأرض يقطعون أعضاءه وينقون عظامه من اللحم والمخ، ويجعلون عظامه ناحية، ويضعونه للغربان السود لتأكله، ويقفون بالقسيّ يمنعون غيرها من الحيوان [والطير][٤] أن تأكل منه شيئًا. وإن كان الميت امرأة أسلموها إلى رجال تحت الأرض يخرجون عظامها ويطعمون لحمها للحدأة[٥]، ويقفون بالنشاب يمنعون غيرها من الحيوان أن يدنو من لحمها.

---

(١) في آ: نقب.

(٢) هو باب الأبواب، انظر معجم البلدان لياقوت ٢/ ٤٤٩.

(٣) في م: زورة، وفي آ: زره كران، ومعناه: صناعة الدروع والجواشن.

(٤) الزيادة من آ.

(٥) طائر من الجوارح تسميه العامة: الحِدّاية، أو الشوحة.

ومن حسرة الملوك أن [لا][1] يقدروا على واحد منهم، لأنهم ليس لهم دين ولا يعطون لأحدٍ طاعة. وحاصرهم الأمير سيف الدين محمد بن خليفة السلمي صاحب دربند رحمه الله، وكان في عسكرٍ كالبحر، فحين رأوا العسكر قد أحاط بهم، خرج من تحت الأرض جماعة منهم عليهم الأسلحة المحكمة، فوقفوا وأشاروا بأيديهم إلى الجبال، وتكلموا بكلام لا يفهمه أحد من العسكر ثم غابوا تحت الأرض. وإذا بريح عظيمة وثلج وبرَد، وكادت السماء أن تنطبق على الأرض، فلم يبقَ من العسكر إلا من سقط على وجهه أو هرب فصدم بفرسه صاحبه فقتله. فحين بعدوا عن القرية انكشفت تلك الثلوج، وفقد من العسكر خلق عظيم. وكان ذلك بسحر أولئك الذين يجردون اللحم عن عظام الموتى/ [٩٨ب] تحت الأرض. وهذا من العجائب.

رابعها: قال في مرآة الزمان[2]: إن جبل الفتح من أعظم جبال الدنيا. وفيه أمم كثيرة وممالك، وهم اثنتان وسبعون أمة، كل أمةٍ لها لسان وملك، وفيه شعاب وأودية، ومدينة باب الأبواب[3] على إحدى شعابه؛ بناها كِسرَى وجعلها حدًّا فاصلًا بينه وبين الخزر[4]، وجعل حدّه السور ومبدأه من البحر إلى أعالي الجبال، وذلك نحو أربعين فرسخًا، حتى انتهى إلى طبرستان[5]. وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا الجبل بابًا من الحديد وعنده حَفَظة. وأسكن هناك أممًا مختلفة

(١) الزيادة من آ.
(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ١/ ٣٠٣- ٣٠٦.
(٣) نفسه ٢/ ٣٦٧- ٣٦٩.
(٤) معجم البلدان لياقوت ٤/ ١٣- ١٦. والخزر شعب من قبائل الترك انساحوا بين قزوين والقرم.
(٥) طبرستان: بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، وهي بلاد الطبر، والطبر ما يشقف به الحطب، بلاد مجاورة لجيلان وديلمان، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، انظر معجم البلدان ٤/ ١٣.

ليحفظوا الحد من العدوّ مثل الخزر والترك واللان[١] وغيرهم. وفي هذا الجبل قرود، يقف القرد على رأس الملك فإذا كان الطعام مسمومًا غمز الملك بعينه فيمتنع الملك من الأكل من الطعام.

خامسها: حكى ابن الجوزي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بين الهند والصين بطّة من نحاس على عمود من نحاس، فإذا كان يوم عاشوراء مدّت عنقها إلى نهرٍ تحتها، فشربت منه ثم عادت إلى موضعها، ثم تفتح فاها فيفيض منها الماء ما يكفي سكان تلك البلاد وزروعهم ومواشيهم إلى مثل عاشوراء من السنة المقبلة. فتفعل كما فعلت في العام الماضي، وهذا من العجائب.

سادسها: في أرض الموصل جبل قريب منها من ناحية الشرق، عليه دير يقال له دير الخنافس[٢] للنصارى، فيه عيد في ليلةٍ من السنة. قال سبط ابن الجوزي: حكى لي جماعة من أهل الموصل أنه في تلك الليلة تصعد إليه جميع الخنافس التي في الدنيا، وتبات إليه ألوف من الناس يمشون عليها طول الليل، فإذا طلع الصباح لم يوجد للخنافس أثر. وبأرض المغرب مثله.

أقول: وحكاية دير الزرازير أيضًا حكاية مشهورة، وذلك أنه إذا كان يوم معلوم [١٩٩آ] / في السنة قصده كل زرزورٍ على وجه الأرض، ومع كل واحد ثلاث زيتونات واحدة في منقاره، واثنتان في رجليه، فيلقون ذلك جميعَه في الدير، فتعصر منه الرهبان ما يكفيهم لسرُجهم وإدامهم، ويبيعون منه ما يقوم بكلفتهم إلى العام القابل. فتأتي الزرازير أيضًا، فيفعلون كفعلهم في العام الماضي. وهذا الدير في رومية.

سابعها: قال الزمخشري في ربيع الأبرار: تُبَّت مدينة بناها تُبَّع[٣] وسمّاها

(١) لم ترد في آ.
(٢) انظر الرواية في معجم البلدان لياقوت ٢/ ٥٠٨؛ والديارات للشابشتي ٤١٢.
(٣) وردت في الأصل: بنيت، وفي آ: تُبَّت، انظر معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٠- ١١.

باسمه تُبَّع، فغيَّر اسمها الترك. وهي مدينة ينسب إليها المسك التبتي. يقال: من أقام بها أصابه سرور ما يدرى ما سببه، ولا يزال ضاحكًا مبتسمًا حتى يخرج منها. والصين موصوفة بالصناعات الدقيقة والتصاوير العجيبة، يفرِّق مصورهم في تصويره بين من يضحك وهو خجلان وبين من يضحك وهو مستهزئ، وبين من يضحك وهو مسرور.

الباب السابع
في ذكر السبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد، وذكر ما قيل فيها من منظوم ومنثور وغير ذلك

وهو[١]: **النرجس** وهو أول ما نقدم [ذكره][٢] منها، والبنفسج والبان والورد الشتوي[٣]، ويُعرف أيضًا بالقحابي، والزهر والياسمين والورد النصيبي[٤] وهو آخرها.

فهذه هي السبع زهرات التي يلهج المصريون بذكرها. وتجتمع بمصر في صعيد واحد في وقت واحد، «وذلك أنه إذا كان آخر أيام النرجس هجمت جميعُها ولحق بعضُها بعضًا. وهذا لا يتفق في غير إقليم مصر، أعني اجتماع هذه السبع زهرات في وقت واحد»[٥].

وأما **النسرين** فإنه وإن كان بمصر من أعطر الزهور [رائحة]، فإنه غير معدود في جملة السبع زهرات. لأنه إنما يأتي في آخر أيام الورد النصيبي، فلا يلحق النرجس ولا البنفسج، فلا يكون معدودًا في جملة السبع زهرات لأجل ذلك.

فمما جاء في النرجس ما روي عن علي بن أبي طالب/ رضي الله عنه أنه قال: شموا [٩٩ب] النرجس ولو في اليوم مرة واحدة، ولو في الشهر مرةً واحدة، ولو في السنة مرةً

---

(١) كذا في ب، والأَولى أن يقول: وهي، كما في آ. وراجع ما جاء حول النرجس في شرح الشريشي لمقامات الحريري ١/ ١٠٢- ١١٤.

(٢) الزيادات من آ.

(٣) وفي آ: المستوي، وفي رواية أخرى: السنوي.

(٤) في آ: النصيبيني.

(٥) ما بين الهلالين سقط من آ.

واحدة، ولو في الدهر مرةً واحدة، فإن في القلب حبة من الجنون والجُذام والبَرص لا يقلعها إلا شمُ النرجس[١].

أقول: وهو حار [رطب][٢] في الثانية، نافع من الرطوبات والبلغم ومن الصداع البارد، ومن سائر الأمراض الباردة. وقال كسرى أنو شروان: النرجس ياقوت أصفر بين ورد أبيض[٣] على زمرد أخضر. وقال أبو عون[٤] في كتاب التشبيهات له: من جيد ما قيل في النرجس ما أنشدناه للمبرّد: [من السريع]

نَرجِسَـــةٌ لاحظنـــي طَرْفُهـــا تشـــبه دينـــارًا علـــى درهـــمِ[٥]

أقول: أخذه التلَّعفري فقال وأحسن في المقال[٦]: [من البسيط]

قـد أكثـر النـاس في تشـبيههم أبـدًا للنرجس الغضّ بالأجفان والحَدقِ
ولا أشـــبّهه بـــالعين إذْ نظـــرت[٧] لكـــن أشـــبّهه بـــالعين والـــورِقِ

وقال ظافر الحداد وأجاد[٨]: [من البسيط]

كـأنَّ أوراقَـه والشـمسُ تقصـرها أوراقُ شـمعٍ فمـن خـامٍ ومقصـورِ

(١) راجع حسن المحاضرة للسيوطي ٢/٤٠٨.
(٢) الزيادات من آ.
(٣) في آ: أحمر. وراجع حسن المحاضرة للسيوطي ٢/٤٠٨.
(٤) كذا في ب، وصوابه: ابن أبي عون.
(٥) كتاب التشبيهات لابن أبي عون ١٩١؛ وقد ورد في هذه الطبعة: يشبه؛ وفي نهاية الأرب للنويري ١١/٢٣٥.
(٦) لم أعثر عليهما في ديوان التلعفري المطبوع. والتلعفري الشاعر المشهور هو محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، انظر ترجمته في الوافي للصفدي ٥/٢٥٥.
(٧) في آ: وما أشبهه.
(٨) ديوان ظافر الحداد ١٤٦، في وصف النرجس، وقد سبقه بيت هو:
كأنما النرجسُ الطاقيُّ حين بدا قِعابَ تِبْرٍ على جامات بلّوْرِ

وقال ابن الرومي[١]: [من المتقارب]

وأحسنُ ما في الوجوه العيونُ ... وأشبهُ شيءٍ بها النرجسُ
[يظل يلاحظ وجهَ الند ... يم فردًا وحيدًا فيستأنسُ]

وقال آخر[٢]: [من المنسرح]

كأنه والعيون ترمُقُهُ ... دراهمٌ وَسْطَها دنانيرُ

وقال آخر[٣]: [من مخلع البسيط]

وعندنا نرجس أَنيقٌ ... تحيا بأنفاسه النفوسُ
كأن أجفانه بدورٌ ... كأن أحداقَه شموسُ

وقال آخر: [من البسيط]

أما تراه ومَرُّ الريحِ يعطفهُ ... كأنه زعفرانٌ فوقَ كافورِ
إذا بدا في اختلافٍ من تلوُّنه ... أراكَ كيف اختلاطُ النار والنورِ

وقال آخر: [من الكامل]

قم يا غلامُ فهاتها مشمولةً ... إن الرياضَ بكل زهرٍ محتشي[٤]

(١) ديوان ابن الرومي ٣/ ١٢٣٤، حيث أورد البيتين، وقد ورد البيتان في آ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٩؛ ونهاية الأرب للنويري ١١/ ٢٣٥.

(٢) في شرح مقامات الحريري للشريشي ١/ ١٠٥؛ ونهاية الأرب للنويري ١١/ ٢٣٥؛ ورد هذا البيت منسوبًا إلى عبيد الله بن عبد الله مع اختلافات، والأبيات هي:

ترنو بأبصارها إليك كما ... ترنو إذا خافت اليعافيرُ
مثل اليواقيت قد نظمن على ... زمرُّدٍ فوقهن كافورُ
كأنها والعيونُ ترمقها ... دراهم وَسْطها دنانيرُ

(٣) انظر البيتين في حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤١٠.

(٤) في آ: تحتشي، وهو الأدنى إلى الصواب.

والنـــرجسُ الغـــضُّ النـــديُّ كأنـــه ثغـــرٌ يعـــضُّ علـــى بقيـــة مِشْـــمشِ

[وقال يحيى بن محمد أبو محمد الأرزني[١] من شعره يخاطب زوجته: [من الطويل]

أبنتَ أبي إسحقَ هل أنتِ نرجسٌ فـــإنَّ كِـــلا شخصـــيكما متماثـــلُ
فساقان[٢] خضراوان والرأسُ أبيضٌ ووجهُـكِ مصـفرٌّ وجسـمُكِ ناحِـلُ

قال ياقوت الحموي[٣]:

أخذ الأرزني هذا المعنى من قول خمسين[٤]، وقد قيل له: كيف زوجتك؟ فقال: كأنها باقة نرجس. فقيل له: بالرفاءِ والبنين. فقال: نعم، رأسها أبيض ووجها أصفر، وساقاها خضراوان.

قلت: لكن زاد على الأرزني معنى آخر وهو قوله: وجِسْمُكِ ناحِلُ][٥].

وقال آخر: [من المنسرح]

نـــاولني مـــن أَحـــبُّ نرجِســـةً أحســـنُ في نـــاظري مـــن الـــوَرْدِ
كأنمـــــا بيضـــــها مرصّـــــعة مـــن خـــده والصـــفار مـــن خـــدّي

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

في روضـــــةٍ تهـــــدي لنـــــا نفـــسَ الشـــمول بهـــا الشـــمالُ

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/ ٣٠٦ رقم ٢٣٧؛ وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٠/ ٣٤- ٣٥ رقم ١٦؛ ومعجم البلدان ١/ ١٥٠ مادة (أرزن)؛ وتاريخ بغداد للخطيب ١٤/ ٢٣٩؛ وتتمة اليتيمة ٢/ ١٠٢؛ ونزهة الألباء ٢٤٨؛ وإنباه الرواة للقفطي ٤/ ٣٤ رقم ٨١٩.

(٢) في إنباه الرواة للقفطي: فساقاكِ.

(٣) ليست موجودة في طبعات المعجم المتوافرة، وربما كانت ضمن القسم المفقود منه.

(٤) كذا رُسمت في ب.

(٥) ما بين الحاصرتين ورد في هامش المخطوط ب، ولم يرد في آ.

في كـــــل نرجســـــةٍ بهـــــا شـــمسٌ يُحـــيطُ[١] بهـــا هِـــلالُ/ [١٠٠آ]

وقال ابن الرومي في النرجس هجوًا[٢]: [من مخلّع البسيط]

انظـــرْ إلـــى نـــرجسٍ تبـــدَّى يومًـــا لعينيـــكَ منـــه طاقَـــهْ
واكتـــب علـــى كـــل مادحيـــهِ[٣] بالجهـــل في دفـــتر الحماقَـــهْ
أيُّ شـــيءٍ يُـــرَى لعـــينٍ[٤] مـــع يَرقـــانٍ يحـــل ماقَـــهْ[٥]
كرايـــةٍ ركِّبـــت عليهـــا[٦] صُـــفرُ بَـــيْضٍ علـــى رُقاقَـــهْ

وقال أيضًا في تفضيل النرجس على الورد[٧]: [من مجزوء الرمل]

أيهـــا المحـــتجُّ للـــوردِ بـــزورٍ ومُحـــالِ
ذهـــب النـــرجسُ بالفضـــل فأنصِـــفْ في المقـــالِ
لا تقـــاسُ الأعـــينُ النجْـــلُ بأســـرامِ البغـــالِ[٨]

وقال أيضًا[٩]: [من الكامل]

خجلـت خـدودُ الـورد في تفضـيله خجـلًا تورُّدهـا عليـه شـاهدُ

(١) في هامش المخطوط ب: يطوف بها.
(٢) لم أعثر عليها في الديوان المطبوع.
(٣) في آ: واكتب أباطيل واصفيه بالحُسْنِ...
(٤) في آ: وايُّ حُسْنٍ.
(٥) في هامش ب: مؤق العين.
(٦) في آ: رُكِّب... صُفْرةُ بيضٍ.
(٧) لم ترد في الديوان المطبوع.
(٨) في آ: بأصْرام.
(٩) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٣-٦٤٤؛ وهي الأبيات ١، ٣، ٦، ٩، ١٢، ١٣ و١٤ من مقطعة من أربعة عشر بيتًا مع اختلافات، وانظر الأبيات في نهاية الأرب للنويري ١١/٢٣٤.

للنـرجس الفضـلُ المبـينُ إذا أَتَـى آتٍ وحـاد عـن المحجّـة جاحـدُ[١]
فَصْـلُ القضـيةِ أنّ هـذا قائـدٌ زَهْـرَ الريـاض وأن هـذا طـاردُ
ينهَـى النـديمَ عـن القبـيح بلحظـه وعلـى المسَـرَّة والسـماع[٢] يسـاعدُ
هـذي النجـومُ هـي التـي ربيتهـا[٣] بحيـا السـحاب كمـا يربّـي الوالـدُ
فـانظر إلـى الولـدين مـن أرباهمـا[٤] شـبهًا بوالـده فـذاك الماجـدُ[٥]
أيـن العيـونُ مـن الخـدود نفاسـةً ورياسـةً لـولا القيـاسُ الفاسـدُ

وقد ناقضه أحمد بن عبد الصمد[٦] فقال من أبيات: [من الكامل]

إن كنـتَ تنكـرُ مـا ذكرنـا بعـدما قامـت[٧] عليـه دلائـلٌ وشـواهدُ
فـانظر إلـى المصـفرِّ لونًـا منهمـا وافطَـنْ فمـا يصـفرُّ إلا الحاسـدُ

وقال آخر: [من الطويل]

أيا جاعلًا للنرجس الغضِّ ميزةً[٨] على الورد قد أخطأت عن سَنَن القَصْدِ
بعيني رأيتُ النرجسَ الغضَّ قائمًا على ساقهِ بالأمس في خدمة الوردِ

وقال شمس الدين ابن العفيف التلمساني من مقامة على لسان البنفسج[٩]: [من الطويل]

(١) في ديوان ابن الرومي: إذا أَبَى آبٍ وحاد عن الطريقة حائد.
(٢) في ب: والهناء، وفي الديوان المطبوع: وعلى المدامة والسماع مساعدُ.
(٣) في الديوان: ربتهما.
(٤) الديوان: فتأمل الاثنين من أدناهما.
(٥) في آ: فذاكَ الشاهد.
(٦) في شرح الشريشي للمقامات: أحمد بن يونس الكاتب ١/١٠٨.
(٧) في ب: وضحت عليك، وما أوردناه هو الأقرب إلى السياق اللغوي.
(٨) في آ: رتبةً.
(٩) لم يرد البيتان في الديوان المطبوع.

إذا وصفوا زُرقَ اليواقيت أطنبوا وقالوا: لها لَونٌ كلونِ الزبرجدِ[١]
كأني مع الورد الجنيِّ بقيةٌ كآثارِ قُرْصٍ فوق خدٍّ مورّدِ[٢]

وقال ابن الرومي في البنفسج[٣]: [من السريع]

بنفسجٌ يسرُّ لأني إذا رأيته أشربُ ما شيتا
ليس من الزهر ولكنه زمردٌ يحمل ياقوتا

وقال أيضًا:[٤] [من المتقارب]

رأيتُ البنفسجَ في روضةٍ وأحداقُه للندَى ساهِرَهْ
يحاكي بها الزهرُ زُرْقَ العيون وأجفانُه بالبكا ماطِرَهْ/ [١٠٠ب]

وقال ابن المعتز[٥]: [من البسيط]

(١) في آ: البنفسج.
(٢) في آ: مضَرَّج.
(٣) لم يرد البيتان في الديوان المطبوع.
(٤) لم أعثر عليهما في الديوان المطبوع.
(٥) لم يرد البيتان في طبعة الديوان الأولى، في حين وردا في طبعة الديوان التي نشرها محمد بديع شريف على الصورة التالية:

ولازورديةٍ أوفت بزرقتها بين الرياض على زرق اليواقيتِ
كأنها فوق طاقاتٍ ضعفن بها أوائلُ النار في أطرافِ كبريتِ

والملفت أن الأبيات وردت ثلاثة في ديوان ابن الرومي له ١/ ٣٩٤؛ وكذلك في معاهد التنصيص للعباسي. وفي حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤١٢ وردت الأبيات ثلاثة منسوبة لأبي القاسم ابن هذيل الأندلسي، وهي على الصورة التالية:

بنفسجٌ جمعت أوراقُه فحكت كحلًا تشرَّب دمعًا يوم تشتيتِ
أو لازورديةٍ أوفت بزرقتها وَسْط الرياض على زرق اليواقيتِ
كأنه وضعاف القُضْب تحمله أوائل النار في أطراف كبريتِ

وانظر الأبيات في نهاية الأرب للنويري ١١/ ٢٢٦.

بنفسجٌ جُمعت أوراقه فحكت كُحْلًا تشرَّب دمعًا يوم تشتيتِ
كأنه فوق طاقاتٍ يلوح بها أوائلَ النار في أطرافِ كبريتِ

وقال الحسين بن الفضفاض: [من مجزوء الكامل]

إشرب على زهر البنفسج قبل تأنيب الحسودْ
فكأنما أوراقُه آثارَ قَرْصٍ في خدودْ

وقال شمس الدين [محمد] ابن العفيف التلمساني في البان[1]: [من الطويل]

تبسّمَ زهرُ البانِ[2] عن طيب نَشْره وأقبل في حُسْنٍ يجلُّ عن الوصْفِ
هلمّوا[3] إليه بين قصْفٍ ولَذَّةٍ فإنّ غُصونَ البان[4] تصلحُ للقصْفِ

وقال آخر: [من الكامل]

أَو ما ترى البانَ الذي يزهو على كُلِّ الغصونِ بقدّه الميَّاسِ
وافَى يبشِّرُ بالربيع وقُرْبه يختالُ في السنجاب والبرطاسِ

وقال آخر: [من السريع]

قد أقبل الصيفُ وولَّى الشتا وعن قليلٍ نسأَمُ الحَرّا[5]
أما ترَى البانَ بأغصانه قد قلبَ الفروَ إلى بَرّا[6]

(١) انظر البيتين في حسن المحاضرة ٢/ ٤٢٦؛ وفي ديوان ابن العفيف التلمساني: زهرُ اللوز.
(٢) نفسه: زهرُ اللوز عن طيب نشره. وأصبح في...
(٣) في آ: هَلُمّا.
(٤) ديوان ابن العفيف: الزهر.
(٥) في آ: نشتكي الحرّا.
(٦) في آ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٢٦: قد أقلبَ.

حكي عن شهاب الدين أحمد بن جَلْنك[١] الحلبي أنه كتب رقعةً إلى بعض الحكّام[٢] يسأله فيها [شيئًا][٣]. فوقّع له برطلين خبزًا[٤]، فتوجه إلى بستان للحاكم المذكور وكتب له على بابه: [من السريع]

لِلـــه[٥] بســـتانٌ حلَلنـــا دَوحَـــه ... مـــن جنـــةٍ[٦] قـــد فتَّحـــت أبوابهـــا
والبـــانُ تحســـبه[٧] ســـنانيرًا رأت[٨] ... قاضـــي القضـــاة[٩] فنفّشـــت أذنابهـــا

وقال أمين الدين [بن] جوبان[١٠]: [من السريع]

نفَّـــشَ غُصْـــنُ البـــان أذنابَـــه ... واهتـزَّ عنـد الصـبح زَهْـوًا[١١] وفـاحْ
وقال: من[١٢] في الـروض مثلي وقـد ... تُعزَى[١٣] إلى قـدّي غصـونُ الملاح

(١) كذا ورد الاسم في حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٢٣١؛ وفي فوات الوفيات لابن شاكر ١/ ٦٠ رقم ٢٥: أحمد بن أبي بكر أبو جَلْنك؛ وكذلك في المنهل الصافي لابن تغري بردي ١/ ٢٢١؛ وفي آ: شهاب الدين أبي جَلْنَك.
(٢) فوات الوفيات: كان قد مدح قاضي القضاة ابن خلكان، أما صاحب المنهل الصافي فيعتبر ذلك وهمًا، ويقول: هي مشهورة عن قاضي القضاة الزملكاني الأنصاري.
(٣) الزيادات من آ.
(٤) فوات الوفيات: خبزٍ، وفي أعيان العصر للصفدي: فوقّع له بثلثي رطلٍ خبزًا.
(٥) في أعيان العصر للصفدي ١/ ١٩٢: عجنا ببستانٍ..
(٦) في نهاية الأرب للنويري ١١/ ٢١٨: في لذّةٍ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٢٦: في جنة، والمعنى معها يستقيم؛ وفي الفوات لابن شاكر: والوُرقُ قد صدحت عليه لما به.
(٧) في أعيان العصر للصفدي: تحسبها.
(٨) نهاية الأرب: سنانير رأت.
(٩) نهاية الأرب: بعض الكلاب.
(١٠) هو جوبان بن مسعود أمين الدين الدنيسري الشاعر التوزي، ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١/ ٣٠٣ رقم ١١٠.
(١١) في رواية المطبعة الأدبية: زهرًا.
(١٢) في آ: هل في الروض.
(١٣) في الفوات: إلى غصني قدود الملاح؛ أما في آ: يُعزَى إلى قدّي قدود الملاحْ.

فحـــدَّق النـــرجسُ هُـــزْوًا بـــه وقـال: حقًـا قلـت ذا[١] أم مُـزاح؟
[١٠١آ] بـل أنـت بـالطول تحامقـت يـا مقصوفُ عُجْبًا[٢] بالدعاوى القِباح/
فقـال غصـن البـانِ: مـا تسـتحي[٣] مـا هـذه، إلّا عيـونٌ وِقـاح

وقال أبو حاتم الورّاق[٤]: [من السريع]

كـأنّ نَـورَ شَـجر الخِـلافِ أذنـابُ سِـنَّورٍ بـلا خـلافِ

وقال سيف الدين المشدّ[٥] يهجوه: [من مجزوء الكامل]

ورَديُّ بـانٍ خِلتُـهُ لمـا تنـاثرَ دودَ قـزِّ
بَشِـعُ الـروائح يـابسٌ فكأنـه ذَرَقُ الإوَزِّ[٦]

وقال القاضي الفاضل[٧] في زهر النارنج: [من الطويل]

نـديميَ هَيّـا قـد قضَـى الـنجمُ نحبَـهُ وهَـبَّ نسـيمٌ نـاعمٌ يـوقِظُ الفجْـرا
وقـد أزهـر النـارنجُ[٨] أزرار فِضّـةٍ[٩] تَذُرُّ على الأشجار أوراقها الخضرا

وقال ابن تميم[١٠] مضمنًا في زهر اللّوز: [من الوافر]

(١) وفي فوات الوفيات: قلته ومزاح.
(٢) نفسه: عدوًا.
(٣) نفسه: فقال له البان: أما تستحي؟. أما في آ: فقال غصن البان من تيهه.
(٤) في الهامش: الأصمّ.
(٥) هو علي بن عمر بن قزل التركماني، ترجمته في الوافي ٢١/ ٣٥٣.
(٦) في آ: فكأنه من ذَرْق وَزٍّ.
(٧) هو عبد الرحيم بن علي البيساني، ترجمته في الوافي للصفدي ١٨/ ٣٣٥ رقم ٣٩٤.
(٨) في آ: أزهر التاريخ، وهو خطأ واضح.
(٩) الوافي بالوفيات للصفدي: أزهار فِضَّةٍ؛ والبيتان في ديوان القاضي الفاضل ٤٤٢ رقم ٤٩١؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٢٨.
(١٠) هو مجير الدين ابن تميم الإسعردي محمد بن يعقوب بن علي، ترجمته في الوافي للصفدي ٥/ ٢٢٨ رقم ٢٣٠٤؛ وفوات الوفيات ٤/ ٥٤ رقم ٥٠٤.

أَزَهْـرَ اللـوزِ أنـتَ لكـل نـوعٍ[١] ... مـن الأزهـار تأتينـا إمـامُ
لقـد حَسُـنَت بـك الأيـامُ حتـى ... كأنـك في فـم الـدهر ابتسـامُ[٢]

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قـد أتينـا[٣] الريـاضَ حـين تجلَّـتْ ... وتحلَّـت مـن النـدّى بجُمـانِ
ونظرنـا خـواتم الزهـر لمّـا ... سـقطت مـن أنامـل الأغصـانِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

خرجنـا للتنـزه في ريـاضٍ ... يعـودُ الطَّـرْفُ عنهـا وهـو راضِ
ولاحَ الزهـرُ مـن بُعْـدٍ فخِلنـا ... ضـبابًا قـد تقطّـع في أراضـي[٤]

وقال أيضًا: [من الطويل]

ذكـرتُ لغصـن اللّـوز بـذلَ ثمـاره ... لنـا حـين نأتيـه إذا كـان مثمـرا
فقـال لسـانُ الحـال والزهـر باسـمٌ: ... بشاشـةُ وجـهِ المـرءِ خيـرٌ مـن القِـرا

وقال ابن تميم مضمِّنًا وأحسَن ما شاء: [من الكامل]

سـبقَت إليـك مـن الحـدائق وردةٌ[٥] ... وأتتـكَ قبـل أوانهـا تطفـيلا
فقمت بلثم الثغر منكَ فجمَّعت[٦] ... فمهـا إليـك كطالـبٍ تقبـيلا

(١) في آ: لكل زهرٍ.
(٢) في آ: في فم الدنيا.
(٣) في آ: قد أتتنا.
(٤) في آ: في رياضٍ.
(٥) في فوات ابن شاكر: سيقت... وأتتك، وقد ورد البيتان في الصفحة التالية مع اختلافات؛ وكذلك في الوافي للصفدي ٥/ ٢٣٢.
(٦) في رواية الوافي للصفدي جاء صدر البيت كما يلي: طمعت بلثمك إذ رأتك فجمَّعت؛ وهذه هي رواية آ أيضًا.

وقال البدر الذهبي: [من مخلّع البسيط]

ما نظرت مقلتي عَجَبًا[1] كاللوز لما بدا نوّارُهُ
اشتعل الرأس منه شيبًا واخضرّ من بعد ذا عِذارُهُ[2]

وقال محيي الدين ابن عبد الظاهر في الياسمين: [من مجزوء الوافر]

كأنما شجراتُ الياسمين به كتابٌ يشمُّ بها البلورُ جاما

وقال أيضًا[3]: [من مجزوء الرجز]

وياسمينٍ قد بَدتْ أشجارُه لمن يصفْ
كمثلِ ثوبٍ أخضرٍ عليه قطنٌ قد نُدِف/ [١٠١ب]

وقال فيه أيضًا علم الملك النصراني[4] إذ حَلَّ فِصادُه: [من المتقارب]

أرى ياسمينًا طريًّا غدا إلى النّدّ في نشره ينتمي
كمثل قُصاصةٍ نصفيةٍ[5] تلوّثَ أطرافُها بالدمِ

وقال آخر: [من الوافر]

كأنَّ الياسمينَ الغضَّ لما أدرتُ عليه وَسْطَ الروضِ عيني
سماءٌ للزبرجد قد تبدَّتْ لنا فيها نجومٌ من لُجَينِ

(١) في آ: عَجيبًا.
(٢) انظر البيتين في حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٣٩.
(٣) راجع حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٢٣.
(٤) في آ: الذمّي.
(٥) في آ: قصاصة تقصيصه.

وقال آخر[١] فيه قبل انفتاحه: [من الطويل]

خليليَّ هيّا[٢] ينقضي الهمُّ عنكما ... وقُوما إلى رَوضٍ وكأس رحيقِ
فقد لاح زهرُ الياسمينِ منوَّرًا ... كأقراطِ دُرٍ قُمِّعت بعَقيقِ

ومما جاء في الورد ما رُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: حيّاني[٣] رسولُ الله ﷺ بالورد وقال: أما إنه سيد رياحين الجنة بعد الآس. وقال جعفر بن محمد: ريحُ الملائكة ريحُ الورد، وريح الأنبياء عليهم السلام ريح السفَرجل، [وريح الصالحين ريح الآس][٤].

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني[٥]: [من مجزوء الكامل]

قامت حروب الزهر ما ... بين الرياضِ السندسيهْ[٦]
وأتتْ جيوشُ الآسِ تغـ ... ـزو روضةَ الخدِّ[٧] الجَنيّهْ
لكنها كُسِرَتْ لأن ... الوردَ شوكتُه قَوِيّهْ

وقال أيضًا[٨]: [من المجتث]

---

(١) قال النويري: قال أبو إسحق الحضرمي يصفه قبل تفتحه: وقد أورد أربعة أبيات يأتي هذان البيتان أولًا وثانيًا.
(٢) في نهاية الأرب للنويري ١١/ ٢٣٧؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٢٢:
خليليَّ هُبّا وانفضا عنكما الكرَى
(٣) في آ: جاءني.
(٤) الزيادة من آ.
(٥) انظر الأبيات في الديوان ٢٤٤ رقم ٣٧٣.
(٦) السندس: رقيق الديباج، وقيل هو نمارق من حرير، معرّب، وقيل عربي، أو هو من توافق اللغات.
(٧) في آ وفي الديوان: روضة الورد.
(٨) في ب ورد البيتان الأول والثاني، وفي آ: قال ابن حجاج، وأضاف البيت الثالث، والأبيات لم ترد في نسخة الديوان المطبوع.

للـــــورد عنـــــدي محـــــلٌّ لأنـــــــــه لا يُمَـــــــــلُّ
كـــــل الريـــــاحين جنـــــدٌ وهـــــو الأميـــــر الأَجـــــلُّ
إِنْ جـــــاء عَـــــزّوا وتـــــاهوا حتـــــى إذا غـــــاب ذلّـــــوا[١]

وقال ابن تميم مضمنًا[٢] وأحسن[٣]: [من الكامل]

سـبقت إليـكَ مـن الحديقـة وردةٌ جاءتـكَ[٤] قبـل أوانهـا تطفـيلا
طمعَـتْ بلثمـكَ إِذْ رأتـكَ فجمَّعـت فاهـا[٥] إليـك كطالـبٍ تقبـيلا

وقال ابن المعتز[٦]: [من المنسرح]

ووردةٍ في بنـــــانِ معطـــــارِ[٧] حيّـــا بهـــا في خفـــيِّ أســـرارِ
[١٠٢آ] كأنهـــا وجنـــة الحبيـــب وقـــد نقَّطَهـــا عاشِـــقٌ بـــدينارِ/

أخذه القاضي النفيس وقال: [من المنسرح]

نـــــاولني وردةً منعَّمـــــةً كـــأن بهـــا عـــن رضـــاهُ[٨] إِشـــعارُ
وقـــال: خـــذوا[٩] وجنتـــي مضـــا عفـــةً وفوقهـــا للقبـــول دينـــارُ

(١) وردت في حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٢.
(٢) سقطت الكلمة في آ.
(٣) إضافة من آ، وقد ورد البيتان في الصفحة السابقة مع بعض الاختلاف؛ وفي الوافي للصفدي وفوات الوفيات لابن شاكر: سيقت.
(٤) في الوافي للصفدي: وأتتك؛ وفي فوات الوفيات لابن شاكر: وافتك.
(٥) نفسه: فمها.
(٦) شعر ابن المعتز ٣/ ٢٨٩.
(٧) نفسه: عَطّار، وفي يتيمة الدهر ٢٩٩١؛ ونهاية الأرب للنويري ١١/ ١٩٠، وقد نسبها إلى أبي طاهر الرقي. وقد أورد عجز البيت: حيّت بها في بديع أسراري. وكذا فعل السيوطي في حسن المحاضرة ٢/ ٤٠٤.
(٨) في آ: من رضاه.
(٩) في آ: وقال: خذْ.

وقال شهاب الدين ابن مسعود وقد بعث إلى بعض أصحابه وردًا ليستخرجَ ماءه: [من المنسرح]

يـا سـيدًا أصـبحت خلائقـهُ كـالرَوض ريـحُ الصّـبا يدمّثـهُ[١]
بعثـتُ وردًا حيًّـا[٢] إليـك عسَـى تقـبضُ لـي روحَـه وتبعثـهُ[٣]

وقال ابن تميم مضِّمنًا: [من الطويل]

ولـم أنـسَ قـولَ الـوردِ والنـارُ قـد عليـه فأمسَـى دمعُـه يتحـدَّرُ
ترفّقْ فما هـذي دموعي التي ترَى ولكنهـا نفسِـي[٤] تـذوب فتقطُـرُ

وقال آخر[٥] في شجر الورد: [من البسيط]

أما تـرى شـجرات الـورد طالعـةً[٦] فيهـا بـدائعُ قـد رُكِّـبنَ في قضُـبِ
كـأنهنّ يواقيـتٌ أُطيـفَ بهـا[٧] زمُـرّدٌ حُمّلَـتْ[٨] كأسًا مـن الـذهبِ

وقال آخر في زر[٩] الورد: [من الرجز]

ووردةٍ تحكـي أمـام الـورد طليعـةً سـابقًا[١٠] للجنـدِ

(١) في آ وهامش ب: يدمّثها.
(٢) وردًا جنى.
(٣) في آ وهامش ب: روحها وتبعثها.
(٤) في الوافي للصفدي ٥/ ٢٣١: نفسٌ؛ وفي فوات الوفيات لابن شاكر وآ: روحي.
(٥) في نهاية الأرب للنويري ١١/ ١٨٩، يروى لمحمد بن عبد الله بن طاهر، كما يروى لعلي ابن الجهم، انظر ديوان علي بن الجهم ١١١ مع اختلافات بين الروايتين. وانظر حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٤.
(٦) نهاية الأرب للنويري ١١/ ١٨٩: مظهرةً لنا.
(٧) نفسه: يطيف بها زبرجدٌ وسْطه شَذْرٌ من الذهب.
(٨) في هامش المخطوط: وَسْطها شَذرٌ من الذهب، وكذلك في نهاية الأرب ١١/ ١٨٩، وحسن المحاضرة ٢/ ٤٠٤.
(٩) في آ: قُرّ البرد، وانظر حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٣.
(١٠) في آ وحسن المحاضرة ٢/ ٤٠٣: سابقة، وهو الأدنى إلى الصواب.

قد ضَمَّها في الغصن فرش البَرْدِ[١] ضَـــمَّ فَـــمٍ لقبلـــةٍ مـــن بُعْـــدِ

وقال أبو حفص المطوعي في أطباق الورد: [من الطويل]

ألســتَ تــرى أطبــاقَ وردٍ وحولهــا مـن النـرجس الغـضِّ الجنـيِّ قُـدودُ
فتلـك خـدودٌ مـا علـيهنَّ أعـيُنٌ[٢] وهــذي عيــونٌ مــا لهــنَّ خــدودُ

وقال الخالدي في الورد القحابي ويُعرف أيضًا بالشتَوي[٣]: [من السريع]

ووردةِ بســـــــتانٍ قحابيـــــــةٍ زِينَـــتْ[٤] مـــن الحُسْـــن بنـــوعينِ
باطنُهـــا[٥] مـــن قشـــر ياقوتـــةٍ وبطنُهـــا[٦] مـــن ذهَـــبٍ عَـــيْنِ
قبَّلتُهـــا حبًـــا لهـــا إذْ بهـــا حَيّـــانيَ البـــدرُ علـــى عـــينِ
كأنهـــا خـــدِّي علـــى خـــدِّه[٧] يـــومَ اجتمعنـــا غُـــدْوةَ البَـــيْنِ

وقال آخر في الورد الأسود[٨]: [من البسيط]

لِلَّـــه أســـودُ ورْدٍ جـــاء[٩] يلحظنـــا مـــن الريـــاض بأَلحـــاظِ[١٠] اليعـــافير

(١) في آ وحسن المحاضرة: قُرُّ البرد.
(٢) في آ: ما لهنَّ من أُعينٍ.
(٣) ديوان الخالديين: ١٦٤ ر قم ١٤٤. والمقصود هنا الخالديين، لأنها من القصائد المشتركة بينهما.
(٤) الديوان: رتَّبه الحسنُ؛ وفي رواية أخرى: زيّنَه.
(٥) في آ والديوان: ظاهرها.
(٦) في آ والديوان: وباطنها.
(٧) في آ: على خدِّها.
(٨) نسبهما النويري في نهاية الأرب ١١/ ١٩٥ إلى مؤيد الدين الطغرائي، ولم أعثر عليهما في الديوان المطبوع، في حين نسبهما السيوطي في حسن المحاضرة ٢/ ٤٠٦ إلى أبي أحمد الطراري.
(٩) نهاية الأرب: ظل يلحظنا.
(١٠) نفسه: بأحداقِ. واليعافير: هي الظباء التي بلون العفَر وهو التراب، أو هي الظباء كلها، وقيل: اليعافير أولاد البقر الوحشي، واحده يعفور؛ وفي آ: بين الرياض.

كأنــه[١] وجَنــات الــزنج نقَّطهــا كـفُّ المحبِّ[٢] بأصناف الدنانير/ [١٠٢ب]

وقال آخر فيه:[من الوافر]

وورد أســـودٍ خِلْنـــاه لمـــا تضـــوَّع[٣] نشـــرُه مَلِـــكَ الزمـــانِ
مـــداهنَ عنـــبرٍ غـــضٍّ وفيهـــا بقايـــا مـــن ســـحيق الزعفـــرانِ

وقال الطغرائي من أبيات في الورد الأصفر[٤]: [من الكامل]

شـــجراتُ وردٍ أبـــيضٍ[٥] بعثَـــتْ في قلـــب كـــلِّ متـــيَّم طَربـــا
يـا مَـن رأى مـن قبلِهـا شـجرًا[٦] سُـقِيَ اللُّجَـينَ فأنبـتَ[٧] الـذهبا

وقال آخر في الورد الأبيض: [من الكامل]

ومـــدلَّلٍ حيّـــا المحـــبَّ بـــوردةٍ بيضـــاءَ قـــد شـــربت روائـــحَ نـــدّهِ
فكأنهـــا وبهـــا احمـــرارٌ جائـــلٌ مـــاءَ الحيـــاةِ علـــى صـــحيفةِ خـــدِّهِ

وقال ابن المعتز في الأبيض والأحمر[٨]: [من البسيط]

(١) نفسه: كأنها؛ وفي آ: كأنه وجني الريح يقطفها.
(٢) نفسه: كفُّ الإمام بأنصاف الدنانير. وقارن برواية حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٦.
(٣) نهاية الأرب للنويري ١١/ ١٩٦؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٦:
تنشق نشرَه ملك الزمانِ.
(٤) ديوان الطغرائي ٧٦ رقم ١٦.
(٥) كذا في ب، وهو دون أدنى شك من سهو النسّاخ، وفي آ ونهاية الأرب ١١/ ١٩٤. والديوان: أصفرٍ، وهو الصواب. والبيتان هما الأول والسادس من مقطعةٍ في الديوان. وفي حسن المحاضرة ٢/ ٤٠٥: أصفرٍ تخذت.
(٦) في رواية آ، جاء صدر البيت كما يلي: منْ ذا رأى من قبلها شجرًا. راجع نهاية الأرب ١١/ ١٩٤، حيث ورد البيتان أولًا وثالثًا ضمن مقطعة من ستة أبيات؛ وحسن المحاضرة ٢/ ٤٠٥.
(٧) في الديوان: فأثمر.
(٨) ورد في هامش الصفحة من ب: ومن إملاء القاضي فخر الدين إمام حمص: [من السريع]
أهـــدى لنـــا مالكنـــا وردةً أحيا الندامى طيب أنفاسها
كأنهـــا عـــذراءُ لمـــا بـــدت غطّـــت بأكمـــام لهـــا راســـها

أهـدت إليَّ يـدٌ[١] نفسي الفـداءُ لهـا الـوردَ نـوعين مجمـوعَين في طَبَـقِ
كـــأن أبيَضـــه في وَسْـــط أحمـــرِه كواكـبٌ أشـرقت في حُمـرة الشَـفَقِ

وقال ابن[٢] جلنك الحلبي: [من الطويل]

أرى النرجسَ الغضَّ الـذكيَّ مسمّرًا علـى سـاقه في خدمـة الـورد قـائمُ

وقال ابن تميم في تفضيل الورد على النرجسِ وأحسن[٤]: [من السريع]

مـن فَضَّـل النـرجسَ وهـو الـذي يرضَى بحكـم الـورد على إِذْ يـرأَسُ
أمـا تـرى الـوردَ غـدا جالسًـا إذْ قـام في خدمتـه النـرجسُ[٥]

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر[٦] يعكس عليه هذا القول: [من السريع]

لـيس جلـوسُ الـورد في مجلـسٍ قـام بـه نرجسُـه يـوكسُ
وإنمـا الـوردُ غـدا باسـطًا خَـدًّا ليمشـي فوقـه النـرجسُ

وأنصف سعيد الخالدي بينهما فقال[٧]: [من الوافر]

أَبحـتُ النـرجسَ البلـديَّ[٨] وُدِّي ومـالي باجتنـابِ الـوردِ طاقَـهْ
كِـلا الأخَـوينِ مَعْشـوقٌ وإني أرَى التفضـيلَ بينهمـا حماقَـهْ

(١) في ديوان ابن المعتز ٢/ ١٩٣: أهدت إليَّ - يا نفسي الفداءُ لها -.
(٢) في آ: أبو جلنك.
(٣) في آ: من فوق رأسه.
(٤) زيادة في آ.
(٥) انظر البيتين في حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٧.
(٦) في آ: محيي الدين بن عبد الوهاب.
(٧) وردت الأبيات في الديوان ١٤٣ رقم ١٢٥.
(٨) في الديوان: الرقِّي.

همـــا في عســـكر الأزهـــار[١] هـــذا لمقدمـــه[٢] يســـيرُ وذاك ســـاقَهْ/ [١٠٣آ]

(١) الديوان: الأنوار.
(٢) في آ والديوان: مقدمة.

خاتمة الباب وسَجْعُ طائرِه المستطاب

أولها: حكى المسعودي[١] في شرح المقامات قال: أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله العُكبري في كتابه بسنده عن أيوب الوزّان قال: قال المفضَّل[٢]: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق وردٍ وعنده جاريةٌ مليحة أديبة شاعرة قد أُهديت إليه، فقال: يا مفضَّل قل في هذا الورد شيئًا يشبَّه به. فقلت: [من البسيط]

كأنــه خــدُّ مَومــوقٍ[٣] يقبِّلُــه ... فـمُ الحبيـبِ وقـد أبـدَى بـه خجَـلا

فقالت الجارية: [من البسيط]

كأنــه لــونُ خــدّي حــين تــدفعني ... كَـفُّ الرشـيد لأمـرٍ يوجـب الغُسُـلا

فقال الرشيد: قم يا مفضَّل اخرج، فإن هذه الماجنة قد هيّجتنا. فقمت وأرخيتْ الستورُ دوني.

ثانيها: قال ابن رشيق في «العُمْدة»[٤] وقد سئل عن التشبيه، قال: إنما هو تقريب المشبَّه من فهم السامع، وإيضاحه له، فتشبه الأدنى[٥] بالأعلى، إذا أردت مدحَه، وتشبه الأعلى بالأدنى إذا أردت ذمَّه، فتقول في المدح: تراب كالمسك وحصَى كالياقوت، وما أشبه ذلك. فإذا أردت الذمَّ قلت: مِسْكٌ كالتراب وياقوت كالحصَى وما أشبه ذلك، انتهى.

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن تاج الدين الخراساني المروروذي الشافعي الصوفي، ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٠ رقم ٦٥٩.
(٢) في آ: الفضل.
(٣) الموموق: المحبوب، انظر مادة (وَمَق) في لسان العرب لابن منظور؛ وفي آ: مرموق.
(٤) راجع العمدة لابن رشيق ١/ ٢٥٤ (باب التشبيه).
(٥) في العمدة: الأَدْوَن.

أقول: ومن هذا النوع الذي هو تشبيه الأعلى بالأدنى قول ابن الرومي[١]: [في هجو الورد وما أحسنه]:[٢] [من البسيط]

يا مادحَ الوردِ لا تنفكُّ من غَلطِه[٣] ألَسْتَ تبصرُه في كفٍّ ملتقطِهْ
كأنه سُرْمُ بغْلٍ حين سكرجَه[٤] بعد البرازِ[٥] وباقي الروث في وسطِهْ

أقول: انظر إلى هذا الرجل الذي افتتن وقبّح الحسَن فتجاوز الحدّ، وهجا الورد. فهو وإن كان قد أصاب التشبيه تحقيقًا، فقد أخطأ في إصابته. ومن البرّ ما يكون عُقوقا. على أنه لم يأتِ في فعله شيئًا فريًّا، وإنما هجا الوردَ لأنه كان جُعْليًا، ومن تأذّى من/ شيء ذمّه وسَبّ أباه وأمه. [١٠٣ب]

قولي: كان جُعْليًا، هو نسبةٌ إلى الجُعَل، وهو نوع من الخنافس. قيل إنه إذا دفن في الورد كاد يموت لأنه يتأذّى من الجنّة[٦]، وإذا دفن في الزبل رجعت إليه نفسه. وابن الرومي كان يتأذّى من رائحة الورد.

وفي كتب الطبّ، أن شم الورد يهيج العُطاس لمن دماغه بارد، وشَمُّه نافع لأصحاب المِرَّة الصفراء، ومن به حرارة سكّن الصداع المتولّد منها ومن حرارة

(١) ديوان ابن الرومي ٤/ ١٤٥٢ رقم ١١٠٧، وقد أوردها الديوان أبياتًا ثلاثة أولها:
وقائل لم هجوتَ الوردَ معتمدًا؟ فقلت: من بغضه عندي ومن سخطه
وقد وردت الأبيات في العديد من المصادر مثل مطالع البدور والصناعتين وحلبة الكميت وسواها.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) في آ وفي الديوان: عن غلطه، وفي نهاية الأرب ١/ ١٩٢: عن غلطٍ.
(٤) نفسه: يخرجه، وكذلك في نهاية الأرب. وانظر حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ٤٠٦.
(٥) في نهاية الأرب: حين يخرجه، وفي عدة روايات: عند الرياث، أو عند البراز، أو عند الخراء.
(٦) اختلفت صياغة المتن هنا بين الأصلين. وفي آ: إذا دفنت في الورد تكاد تموت لأنها تتأذى برائحته.

الدم، وليس في الأدوية المفردة ما فيه قوتان غيره، لأنّ فيه قوّة مسهّلة وقوّة قابضة.

وذكر جالينوس في الاقتباس[١] مثل ذلك. وهو بارد يابس في آخر الثانية. وإذا رُبِّي بالعسل نفع من الحميات الباردة وأزال البلغم من المعدة. وإذا ربِّي بالسكر كان فعله دون ذلك[٢]. وكان ابن الرومي يهجو الحسن ويمدح القبيح، وهو القائل[٣]: [من البسيط]

في زُخرف القول ترجيحٌ لقائلهِ ... والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغيير
تقول: هذا مُجاجُ النحل تمدحه ... وإنْ تُعِبْ قلت: ذا قَيءُ الزنابيرِ
مدحًا وذمًّا وما جاوزتَ وصفهما ... سِحرُ البيان لدَى الظلماء والنورِ[٤]

وقال ابن المعتز يرد على ابن الرومي في هجو الورد [فلله درّه][٥]:

يا هاجي الورد لا حُييتَ من رجلٍ ... غلطتَ والمرءُ قد يؤتَى[٦] على غَلَطِهْ
هل تُنبتُ الأرضُ شيئًا من أزاهرها ... إذا تحلَّت بحلْي الوَشْيِ من نمطِه[٧]
أحلَى وأشهَر من وردٍ على[٨] أَرَجٍ ... كأنما المسكُ مذرورٌ على وَسَطِهْ
كأنه لون[٩] حِبّي حين ملّكني ... حَلَّ السراويل بعد الخَوف من سَخَطِهْ

(١) كذا في ب، وفي آ: الافستين، وهو نبات من المركبات الأنبوبية الزهر، يستعمل في صناعة بعض أنواع الكحول، وورقه كورق الصعتر. وهي كلمة يونانية الجذور. انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي ١/١٥٨.
(٢) راجع ما ورد في نهاية الأرب للنويري ١١/١٨٦ - ١٨٨.
(٣) ديوان ابن الرومي ٣/ ١١٤٤ رقم ٩٠٩.
(٤) ديوان ابن الرومي: يُري الظلماءَ كالنور، وثمت اختلاف مع رواية آ.
(٥) الزيادة من آ، وانظر الأبيات في نهاية الأرب ١١/ ١٩٢؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢/٤٠٦.
(٦) أي يتغير عليه حسُّه، فيتوهّم ما ليس بصحيح صحيحًا.
(٧) في نهاية الأرب: يحاكي الوشيَ في نمطه.
(٨) في آ ونهاية الأرب: له أرجٌ.
(٩) نفسه: خدُّ حِبّي، وبعد الطول من سخطه.

ثالثها: حكي عن أبي نواس رحمه الله أنه رُئي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة بأبيات قلتها في النرجس وهي[١]: [من الوافر]

[١٠٤آ] تأمّلْ في رياض الأرض وانظر إلى آثار ما صنَع المليكُ/
عيونٌ من لُجَينٍ ناظراتٌ بأحداقٍ هِيَ الذهبُ السبيكُ
على قُضُبِ الزبرجدِ شاهداتٌ بأن اللهَ ليسَ له شَريكُ
[وأنّ محمّدًا عبدٌ رسولٌ إلى الثقلين أرسله المليكُ][٢]

أقول: وعلى ذكر المنام[٣] والنرجس ما حكى المرزباني عن ابن دريد أنه رأى في النوم رجلًا طويلًا أصفر الوجه كُوسَجًا، دخل عليه وأخذ بعضادتي الباب، وقال: أنشدني أحسن ما قلتَ في الخمر، فقلت: ما ترك أبو نواس لأحدٍ شيئًا. فقال: أنا أشعر منه. فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا ابن ناجية من أهل الشام، وأنشدني[٤]: [من الطويل]

وحمراءُ قبل المزج صفراءُ بعده أتت بين ثوبَيْ نرجسٍ وشقائقِ
حكت وَجْنةَ المحبوب[٥] صِرْفًا عليها مزاجًا فاكتست لونَ عاشقِ[٦]

(١) ديوان أبي نواس (القاهرة) ٢٧٥ مع اختلافات. ولم أعثر على الأبيات في طبعة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت.
(٢) البيت المضاف من آ.
(٣) في ب: النمام، وهو الصواب كما ورد في نهاية الأرب ١١/ ١٩٧.
(٤) ديوان أبي نواس ١/ ١٣٤، وقد نسبها لابن دريد، وراجع ديوان ابن دريد ٥٢.
(٥) في آ: وَجنة المعشوق.
(٦) في ديوان ابن دريد جاء البيت على الصورة التالية:
حكت وجنةَ المعشوق قبل مزاجها فلما مزجناها حكت خدَّ عاشقِ

فقلت: أسأتَ. فقال: ولم؟ قلت: لأنك قلت: وحمراءُ قبل المزج صفراءُ بعده. فقدَّمت الحُمرة. ثم قلت: أتت[١] بين ثوبي نرجسٍ وشقائق، فقدمت الصفرة، فهلّا أَخّرتها كما فعلت في أول بيت؟

فقال: وما هذا التحرّي والاستقصاء في هذا الوقت يا بغيضُ؟ ثم انصرف.

فانتبهتُ وأنا متعجب مما رأيت.

أقول: وفي معنى البيتين المذكورين قولُ بعضهم[٢]: [من الطويل]

وتفاحةٍ من سوسنٍ صِيغَ نصفُها ... ومن جُلّنارٍ نِصفُها وشقائقِ
كأنَّ الهوَى[٣] قد ضَمَّ من بعد فُرْقةٍ ... بها خدَّ معشوقٍ إلى خَدِّ عاشقِ

وعلى ذكر التفاحة، رأيتُ في بعض المجاميع الأدبية ما صورته: ما تقول السادة الفضلاء أهل الآداب ومعرفة الحساب في مدينة لها سبعة أبواب، وأيُّ من دخل من باب منها أُخذ نصفُ ما معه؟ وأن بالمدينة رجلًا ضعيفًا اشتهَى تفاحةً واحدة صحيحة، فكيف تصل إليه على هذا الحكم المذكور؟ فالجواب عند ذلك أن تأخذ مائة وثمانية وعشرين تفاحةً،/ فتعطي في الباب الأول أربعًا وستين [١٠٤ب] تفاحة[٤]، وفي الباب الثاني اثنتين وثلاثين، وفي الباب الثالث ستة عشر[٥]، وفي الباب الرابع ثمانية، وفي الباب الخامس أربعة، وفي الباب السادس اثنتين، وفي الباب السابع واحدة، وتدخل بالأخرى إلى الضعيف.

رابعها: حكي عن المتوكل أنه كان يقول: أنا ملك الناس، والورد ملك

(١) في آ: بدت بين ثوبي...
(٢) نسبهما النويري في كتاب نهاية الأرب ١١/ ١٦٤ إلى ابن دريد.
(٣) في نهاية الأرب: النوى.
(٤) زيادة في طبعة الأدبية.
(٥) كذا في ب، وصوابه: ست عشرة.

الرياحين، وكل واحد منا أحق وأَولَى بصاحبه. وكانت ملوك فارس تأمر برفع الحلوَى أيام الرُطَب، ورفع الأشنان أيام البطيخ، ورفع الرياحين أيام الورد.

وقال أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس[١]: الورد دُرّ أبيض وياقوت أحمر على كراسي من زبرجد أخضر، بوسطه شذور ذهب أصفرٍ، له رقّة الخمر ونفحات العِطْر.

ومَرّ الملك كِسْرَى أنو شروان يومًا بوردة ساقطة [في الطريق][٢] فقال: «أضاع الله من أضاعك»، ونزل [عن فرسه] فأخذها وقبّلها وشرب مكانها سبعة أيام، ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الأبرار.

قال الكواشي[٣] في تفسير قوله تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[٤]. لما أجمعوا على إحراقه، وحبسوه وجمعوا أصناف الحطب من أقطار الأرض، حتى كان المريضُ يقول: إنْ عافانيَ اللهُ من مرضي لأجمعن حطبًا لحرق إبراهيم، وكذلك المرأة تغزل وتشتري حطبًا لحرق إبراهيم. يفعلون ذلك احتسابًا وتقرُّبًا. حتى جمعوا جُملةً عظيمةً من الحطب. ثم أضرموا النار في نواحيها سبعة أيام. فاشتعلت واشتدت حتى أن الطير لتمر بها فتحترق [في الجو] من شدة وهجها. ولم يدروا كيف يلقونه فيها. فعرَّفهم اللّعين إبليسُ على المنجنيق. ثم عمدوا إليه فشدوا وِثاقه ووضعوه [١٠٥آ] في كفة/ المنجنيق. ثم قال إبراهيم: «لا إِلهَ إلَّا أنتَ سُبْحانك لَكَ الحَمْدُ ولَكَ المُلْكُ لا شَرِيكَ لكَ».

(١) عن أزدشير بن بابك وسائر ملوك فارس، راجع تاريخ الطبري ٢/ ٣٧- ٢٣٤.
(٢) الزيادة من آ.
(٣) هو أحمد بن يوسف بن الحسن الشيباني الموصلي صاحب التفسير الشهير.
(٤) سورة الأنبياء ٢١/ ٦٨.

وصاحت السموات والأرض ومن فيهما إلا الثقلين: أي ربَّ إبراهيم خليلُك يُلقَى في النار وليس في أرضك من يعبدك سواه، فأذنْ لنا في نُصرته. فقال تعالى: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلههُ ليس له إلهٌ غيري. فإن استغاث بشيء منكم فانصروه[١]، فقد أذنت لكم في ذلك، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم به، وأنا وَليُّه فخلّوا بيني وبينه.

فأتاه خازن المياه وقال: إنْ أذنتَ لي أخمدتُ النار. وأتى[٢] خازن الرياح فقال: إن شئتَ طيرت النار في الهوى[٣]. فقال: لا حاجةَ لي إليكم، حسبيَ اللهُ ونِعمَ الوكيل. [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما نجا بقوله: حسبي الله ونِعمَ الوكيل][٤].

ولما رُميَ، أتاه جبريل عليه السلام وقال له: هل لك حاجةٌ؟ فقال: فأما إليك فلا[٥]. فقال له: سَلِ اللهَ تبارك وتعالى. فقال: حسبي من سؤالي علمهُ بحالي.

قالوا: ولما وقع في النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار، إلا الوَزَغ[٦]، فإنه كان ينفخ في النار، فلم تأكل النار سوى وثاقه. فلما استقر فيها، أخذت الملائكة بضِبعَيه و[٧] أجلسوه على الأرض. وإذا بعين ماءٍ عذب وروضةٍ تهتز وورد أحمر ونرجسٍ [غضٍّ]،[٨] فأقام في ذلك الموضع سبعة أيام.

سادسها: من غريب ما سمعته عن الورود ما حكاه القاضي شهاب الدين ابن

(١) في آ: فأغيثوه.
(٢) في آ: وأتاه.
(٣) كذا في ب، وهو: الهواء في آ.
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من آ.
(٥) انظر الرواية في البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٣١.
(٦) الوزَغ: ضرب من الزحافات، سام أبرص، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها، راجع القاموس المحيط مادة (وَزَغ).
(٧) ضِبْعَيه: كتفيه أو عضديه، أي ساعدته وعضدته. انظر اللسان (ضَبَع).
(٨) الزيادة من آ.

فضل الله العمري عن علي بن محمد الأنصاري أنه رأى في نهاوند[١] وردًا أصفر في الوردة ألف ورقة. قال: عددتها فكانت كذلك.

وقال القاضي شهاب الدين أيضًا: ورأيت أنا وردةً نصفُها أحمر قاني الحمرة، ونصفُها أبيض ناصع البياض، والورقة التي وقع فيها الخط كأنها مقسومة بقلم.

سابعها: حكي أنه كان في بغداد مؤدب إذا لاحت له وردة انغمس في لُجّة قصفه، إلى أن يمضيَ زمن الورد. وكان ينشدُ: / [من المجتث] [١٠٥ب]

يـــا صـــاحبيَّ اســـقياني ... مـــن قَهْـــوةٍ خَنـــدريسِ
علـــى جُنَينـــاتِ وردٍ ... يُـــذهِبْنَ هـــمَّ النفـــوسِ
مـــا تنظـــران فهـــذا ... وقـــتٌ لحـــثِّ الكـــؤوسِ
فبـــادروا قبـــلَ فَـــوتٍ ... «لا عِطْـــرَ بعـــد عـــروسِ»[٢]

أقول: وفي الجملةِ فمحاسنُ الورد كثيرة وأنواره مستنيرة. طال ما خلع النديم في أيامه العِذار، وأشرقَ عليهِ من أحمره وأبيضه في لياليه المقمرة شموسٌ وأقمار. فهو عذر النديم وحياة عظمه الرميم. نعم قَلَّ من لا افتتن أمام وروده وزوَّج ابنَ الغَمام بابنة عنقوده، ولهذا كان إبراهيم الخوّاص، وهو من الخواصّ- يسأل الله تعالى في أيامه الخلاص. فكان يقول: إذا جاء زمانُ الورد، أمرضني علمي بكثرة من يعصي اللهَ في أيامه. وقيل: إن أعطر الزهورِ وردُ جورِ[٣]، وبنفسجُ الكوفة، ونرجسُ جُرجان، ومنثورُ بغداد.

(١) بفتح أولها وكسره والواو مفتوحة والنون ساكنة، مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، راجع معجم البلدان لياقوت ٥/ ٣١٣- ٣١٤. وقد ورد الاسم في آ: محمد ابن علي الأنصاري

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ١٦٢، وقد ورد في صيغة أخرى «لا مخْبا لعطرٍ بعد عروس».

(٣) جُور: مدينة نزهة جدًا بفارس، وقد نسب إليها الورد الجوري، الأحمر الصافي أجود أنواع الورد. انظر معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٨١.

ومن أحسن ما سمعته في المنثور قول مجير الدين بن تميم[١]: [من الكامل]

مُذ عاينَ[٢] المنثور طَرفَ النرجس ... المُــزْوَرّ قــال وقولُــه لا يُــدفع
فــتِّحْ عيونَــكَ في سِــوايَ فإنــه[٣] ... عنــدي قُبالــة كــلِّ عــينٍ إصــبعُ

وله أيضًا: [من الطويل]

ومُــذْ قلــتُ للمنثــور إني مفضِّــلٌ ... على حسنكَ الوردَ الجليلَ عن الشِّبْهِ
تلــوَّنَ مــن قَــولي وزادَ اصــفرارُه ... وفــتَّح كفَّيــهِ وأَوْمــا إلــى وَجْهــي

وله أيضًا[٤]: [من الكامل]

حــاذرْ أصــابعَ مــن ظلمــتَ فإنــه ... يــدعو[٥] بقلــبٍ في الــدُّجَى مكســور
فــالوردُ مــا ألقــاهُ في جَمْــرِ الغضــا ... إلا الــــدُّعا بأصــــابعِ المنثــــورِ

أقول: هذه الأبيات، أصبحت نجومُ زهرها في النجوم، وجمعت بين حسن المنثور والمنظوم/ ، فهي في الذروة العليا، ومن زهرة الحياة الدنيا. قد علتها من [١٠٦آ] النضارة نُضْرَةُ النعيم، وتمّت بها بين الأدباء محاسنُ ابن تميم[٦]، وبتمامها تم الكلام على السبع زهرات التي هي [نزهة أهل القاهرة، ومصر الجميع، وريحانة الداعي السميع فهي][٧] ريحانة العمر، وعذراء ليس لطيب[٨] نشرها عُذْر. فهي مما يسلُب لُبَّ الخَليعِ، ويَهيم بها كل قائلٍ: أَمِنْ ريحانة الداعي السميع.

(١) البيتان في فوات الوفيات ٤/ ٦٢.
(٢) نفسه: لاحظ.
(٣) نفسه: فإنما.
(٤) راجع البيتين في فوات الوفيات ٤/ ٦١.
(٥) في ب: يدعوا؛ وفي آ: فإنها تدعو.
(٦) في آ: بني تميم.
(٧) الزيادة من آ.
(٨) في آ: لتارك طيبِ نشرها...

وكيف لا وقد أطلعت كُلّ وَرْدَةٍ كالدِّهَانِ[١]، وبان بها فضلُ البان. فأقبل عليه الوردُ الأبيضُ كالبدر في شروقه. وغار منه على أخيه وشقيقه، وخلع فيه البنفسج العِذار. فواعجبًا من عاشقٍ أحسن من معشوقه: [من الكامل]

وبَدا لنرجسِه الجنيِّ من الهوَى ... عَيْنٌ مسَهَّدةٌ وقلبٌ يخفِقُ
واحمرَّ وجهُ الورد حتى قال لي: ... عِرْقٌ على عِرقٍ ومثلي يعرقُ
ما بانَ فضلُ البانِ إلا أنّهُ ... أبدًا له قُدّامَ جيشي سَنجقُ
إن كنتَ بعد الزهر جئتَ فإنّ لي ... كالناصر السلطان جيشٌ يسبق
ملكٌ جَنائبه الجنوبُ تَودُّ لو ... أَمسَتْ بذيل غبارها تتعلّق
ما شرّقت في أرض مصرٍ مُذْ غدا[٢] ... ونداه منه مُغرِّبٌ ومُشَرِّقُ
لا زال مخضرُّ الجنابِ وبيضُه ... يصفرُّ منهنَّ العدوُّ الأزرق

ما احمرَّ شفَقُ الأصيل، ودَبَّ سوادُ عارضه الأسمر بخدّه الأسيل.

[وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه المختار، وعلى آله وصحبه الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار][٣].

والحمد لله رب العالمين.
نجز الكتاب المبارك المسمّى بسكّردان السلطان
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، بسرعة شديدة
في نهار الأربعاء سادس عشر شهر جمادى الأولى من سنة خمسين وثمانمائة.
بمَنِّه وبركته، والحمد لله،
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) تضمين للآية الكريمة رقم ٣٧ من سورة الرحمن.
(٢) في آ: ما أشرقت في مصر أرض.
(٣) الإضافة من آ.

فهارس الكتاب

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس القوافي.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- مصادر ومراجع التحقيق.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
البقرة	٢		
اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم		٦١	٧٢
ببابل هاروت وماروت		١٠٢	٢٣٤
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين		٢٤٩	٩٧
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله... لمن يشاء		٢٦١	٤٢
فإن لم يصبها وابل		٢٦٥	١٦٧
النساء	٤		
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم		٦٥	٢٦٠
المائدة	٥		
إني أخاف الله رب العالمين		٢٨	٣٧
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء		٥٤	١٠٣
والله يعصمك من الناس		٦٧	١٥٣
الأنعام	٦		
دابر القوم الذين ظلموا		٤٥	١٠٢
الأعراف	٧		
ادعوا ربكم تضرعًا وخفية		٥٥	٢٩٢
إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين		١٠٦	٢٠٨
فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين		١٠٧	٢٠٨
وأرسل في المدائن حاشرين		١١١	٢٠٨
فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم		١١٦	٢٠٩
فإذا هي تلقف ما يأفكون		١١٧	٢٠٩
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون		١١٨	٢٠٩
مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين		١٣٢	٢٠٩
فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين		١٣٣	٢١١
يا موسى ادعُ لنا ربك		١٣٤	٢١١
لنؤمنن لكم ولنرسِلن معك بني إسرائيل		١٣٤	٢١١

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون		١٣٥	٢١١
فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين		١٣٦	٢١٢
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون		١٣٧	٢١٧
واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا		١٥٥	٤٧
التوبة	٩		
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم		٨٠	٤٦
يونس	١٠		
آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل		٩٠	٧٢، ٢٢٠
يوسف	١٢		
لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا		٥	١٧٤
ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا ونحن عصبة		٨	١٧٤
اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين		٩	١٧٤
هيت لك		٢٣	١٧٦
وأوحينا إليه		١٥	١٧٤
لتنبئهم بأمره هذا وهم لا يشعرون		١٥	١٧٤ – ١٧٥
قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق		١٧	١٧٥
وجاءوا على قميصه بدم كذب		١٨	١٧٥
بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون		١٨	١٧٥، ٢٠١
وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة		٢٠	١٧٥
أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا... أو نتخذه ولدًا		٢١	١٧٦، ٢١٤
ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه		٢٤	١٧٧
وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدّ من قبل		٢٦	١٨٦– ١٨٧
وإن كان قميصه قُدّ من دُبُر كذبت وهو من الصادقين		٢٧	١٧٨
إن كيدكنّ عظيم		٢٨	١٧٨

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
إنا لنراها في ضلال مبين		٣٠	١٧٩
إلا أن يسجن أو عذاب أليم		٢٥	١٧٧
فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكئًا		٣١	١٧٩
حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم		٣١	١٨٠
قالت فذالكن الذي لمتنني فيه		٣٢	١٨٠
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم		٣٢	١٨٠
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونًا من الصاغرين		٣٢	١٨٠
ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه		٣٣	١٨١
ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين		٣٥	١٨١
قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا		٣٦	١٨٣
إني أراني أحمل فوق راسي خبزًا تأكل الطير منه		٣٦	١٨٣
قضي الأمر الذي فيه تستفتيان		٤١	١٨٣
فأنساه الشيطان ذكر ربه		٤٢	١٨٤
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات		٤٣	١٨٦
يا أيها الملأ افتوني في رؤيايَ		٤٣	١٨٥
وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين		٤٤	١٨٥
وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون		٤٥	١٨٦
يوسف أيها الصديق أفتنا... لعلهم يعلمون		٤٦	١٨٦
تزرعون سبع سنين... مما تأكلون		٤٧	١٨٦
ثم يأتي من بعد ذلك.. قليلًا مما تحصنون		٤٨	١٨٦
ثم يأتي من بعد ذلك عام يُغاث فيه الناس وفيه يعصرون		٤٩	١٨٦
ارجع إلى ربك فاسأله... قال ما خطبكن إذ راودتن.. عليه من سوء		٥٠	١٨٧
الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين		٥١	١٨٧
وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي		٥٤	١٨٧، ١٨٩
إنك اليوم لدينا مكين أمين		٥٥	١٨٨
وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض		٥٦	١٨٩
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون		٥٨	١٧٤
ائتوني بأخ لكم من أبيكم		٥٩	١٩٢

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون		٦١	١٩٢
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون		٦٢	١٩٢
فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون		٦٣	١٩٢
قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين		٦٤	١٩٣
ولما فتحوا متاعهم وجدوا... ذلك كيلٌ يسير		٦٥	١٩٣
لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقًا من الله		٦٦	١٩٣
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد... وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله وعليه فليتوكل المتوكلون		٦٧	١٩٣
إني أنا أخوك فلا تبتئس		٦٩	١٩٤
جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه		٧٥	١٩٤
كذلك كِدْنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك		٧٦	١٩٤
إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل		٧٧	١٩٥
يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين		٧٨	١٩٥
قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذًا لظالمون		٧٩	١٩٥
يا أبانا إن ابنك سرق		٨١	١٩٥
وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين		٨١	١٩٥، ٢٠٢
بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم أجمعين		٨٣	١٩٥
إنه لا يائيس من روح الله		٨٧	١٩٦
هل علمتم ما فعلتم بيوسف		٨٩	١٩٦
فإنه الله لا يضيع أجر المحسنين		٩٠	١٩٦
اليوم يغفر الله لكم		٩٢	١٩٧
اذهبوا بقميصي هذا		٩٣	١٩٧
إني لأجد ريح يوسف		٩٤	١٩٧
قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون		٩٦	١٩٨
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا ظالمين		٩٧	١٩٨
سوف أستغفر لكم ربي		٩٨	١٩٨

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين		٩٩	١٩٩
ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدًا		١٠٠	١٩٩
ربّ قد آتيتني من الملك... وألحقني بالصالحين		١٠١	١٩٩
الرعد	١٣		
إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم		١١١	١٢٣
إبراهيم	١٤		
أصلها ثابت وفرعها في السماء		٢٤	١٠٠
الحجر	١٥		
ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم		٨٧	١٥٠
الكهف	١٨		
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم		٢٢	٤٦
وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا		٨٢	٣٦
طه	٢٠		
وألقيت عليك محبّة مني		٣٩	٢١٤
هل أدلّكم على من يكفله		٤٠	٢١٤
ثم ائتوا صفًا		٦٤	٢٠٩
الأنبياء	٢١		
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون		٢٣	١٣٠
قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين		٦٨	٣٣٠
يا أيها الناس ضُرب مثل... يخلقوا ذبابًا		٧٣	٢٦٠
الحج	٢٢		
ومن الناس من يعبد الله على حرف		١١	١٥٠
الشعراء	٢٦		
فأخرجناهم من جناتٍ وعيون		٥٧	٢١٧
وكنوزٍ ومقام كريم		٥٨	٢١٧
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون		٦١	٢١٩
قال كلا إنّ معي ربي سيهدين		٦٢	٢١٩
أن اضرب بعصاك البحر		٦٣	٢١٩
النمل	٢٧		
وإني مرسلة إليهم بهدية		٣٥	٢٤٠
يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين		٣٨	٢٤٣

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون		٨٢	٢٤٤
القصص	٢٨		
طسم... تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ... إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا		١-٤	٢٨٨
يستضعف طائفة منهم... من المفسدين.. ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض.. ونمكن لهم في الأرض... ما كانوا يحذرون		٤-٦	٢٨٨
قُرت عين لي ولك		٩	٢١٤
فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن		١٣	٢١٤
إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين		٢٠	٢٢١
ربّ نجّني من القوم الظالمين		٢١	٢١٤
يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين		٢٦	١٧٦
ثماني حجج فإن أتممت عشرًا من عندك		٢٧	٢١٥
فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا		٢٩	٢١٥
أن يا موسى إني أنا الله ربّ العالمين		٣٠	٢١٥
يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين		٣١	٢١٥
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء.. كانوا قومًا فاسقين		٣٢	٢١٥
الروم	٣٠		
ألم.. غلبت الروم		١-٢	١٠٢
الأحزاب	٣٣		
وكفى الله المؤمنين القتال		٢٥	١٠٥
فاطر	٣٥		
ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله		٤٣	٩٧، ٢٢٩
يس	٣٦		
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون		٨٣	٢٨٠
الصافات	٣٧		
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين		١٧١	١٥٠
فساء صباح المنذرين		١٧٧	١٤٩

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
غافر	٤٠		
فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب		٤٥	٢٢١
الزخرف	٤٣		
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي		٥١	٧٢، ٢١٧
الفتح	٤٨		
يد الله فوق أيديهم		١٠	٩٧
ق	٥٠		
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد		١٨	٢٢
كل نفس معها سائق وشهيد		٢١	٢١
الذاريات	٥١		
قليلًا من الليل ما يهجعون		١٧	٩٤
المنافقون	٦٣		
إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم		٦	٤٧
الطلاق	٦٥		
الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن		١٢	٤٨
الحاقة	٦٩		
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.. ولا يحض على طعام المسكين		٣٢-٣٤	٤٧
الإنسان	٧٦		
يومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرا		١٠	٥١
النازعات	٧٩		
أنا ربكم الأعلى		٢٤	٢١٦
الله نكال الآخرة والأولى		٢٥	٢١٦
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى		٤٠	١٦٩
عبس	٨٠		
وجوه يومئذ عليها غبرة		٤٠	٢٩
الغاشية	٨٨		
هل أتاك حديث الغاشية		١	١٢٣
الفجر	٨٩		
دكًّا دكّا		٢١	١٠٢

	السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
	الكوثر	١٠٨		
إن شانئك هو الأبتر			٣	١٥٣
	المسد	١١١		
تبّت يدا أبي لهب			١	١١٤
	الإخلاص	١١٢		
قل هو الله أحد			١	٧٨

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
رحم الله أخي يوسف... طول ما لبث	١٨٤
الرؤيا لأول عابرٍ عبارة	١٨٣
سبعة يظلّهم الله تعالى يوم القيامة في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه	٥٩
سلمت لنا الديار بيسر	٦١
سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين مرة	٤٧
لا تقصها إلا على حبيب أو لبيب	١٨٣
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز	٢٨٥
لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الحسن	٦١
لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبع أرقعته	١٤٩
لو أرسلت رضاضة... أصلها أو قعرها	٤٨
مَن شهد على عينيه ما لم تَرَيا... يوم القيامة	١٨٤
المؤمن يأكل في معًى واحد والكافر في سبعة أمعاء	٥٠

فهرس القوافي

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
(ء)	بحر من	إرساء	–	٢٨٥
(ب)	تعلقته	ونحيبي	الصوري	١٧٩
	أسير إلى	بجنابه	المتنبي	٢٧٢
	أما ترى	قضبِ	–	٣١٩
	–	عسيبُ	امرؤ القيس	٤٥
	أَغرّكَ	ذنوبُ	محمد بن مسلم السعدي	٤٩
	وأزرقُ	ينسكبُ	–	١٠٣
	وجُرمٌ	العقابُ	–	١١٠
	(نصف بيت)	الذئابُ	–	١٢٢
	ولقد وقفتُ	نهبُ	الشريف الرضي	١٤١
	ألا رَبَّ	قريبُ	ابن خفاجة	١٤٣
	وينشدنا	نسيبُ	عبد الجليل	١٤٣
	أنظر إلى	يجتلبُ	–	٣٠٩
	أَحبُّ لأجلها	الكلابِ	–	١١٦، ١٦١، ١٦٣
	أَحبُّ بني العوّام	كلبا	خالد بن يزيد	١٦٣
	شجراتُ	طربا	الطغرائي	٣٢١
(ت)	أرى مِنّةَ	الثنويةِ	التلمساني	١٠٧
	بنفسجٍ	تشتيتِ	ابن المعتز	٣١٢
	مقالةً	مقتوتُ	رؤبة بن العجاج	٥٩
	يا رُبَّ	الظلماتُ	–	١١٧
	إن لي	الكُمَيتا	أبو نواس	١٦٨
	زوّجوا	قوتا	عنان الجارية	١٦٨
	بنفسج	ماشيتا	ابن الرومي	٣١١
	وبشّرتْ	سبحتْ	الحلّي	١٢٠

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
(ج)	وافى السُّكردان	دراريج	الياروقي	١٤
	تبًا لقوم	لمحتاج	–	٢٩٣
(ح)	فعلى التراب	مُسوحُ	–	١١٤
	ما زُلزلت	فرحا	محمد بن عاصم	٢٧١
	فدمعه أمواج	اللاحْ	أثير الدين أبو حيان	٢٩٣
	نفّش غصن	وفاحْ	جوبان	٣١٣
(د)	قد انقضت	بالعيدِ	ابن المعتز	١٥٥
	زارني	كالعُنقودِ	ابن المعتز	١٥٥
	يا دار سلمى	اللَّبَدِ	دنانير	١٦٥
	عن المرء	يقتدي	–	٢١٦
	لخولة	اليدِ	طرفة بن العبد	٢٢٤
	لقد بتُّ	وتسهيدِ	طرفة بن العبد	٢٢٤
	ستبدي	تزوّدِ	طرفة بن العبد	٢٢٤
	ناولني	الوردِ	–	٣٠٨
	أيا جاعلًا	القصدِ	–	٣١٠
	إذا وصفوا	الزبرجدِ	التلمساني	٣١١
	إشرب على	الحسودِ	ابن الفضفاض	٣١٢
	ووردةٍ	للجندِ	–	٣١٩
	فلم يبق	والنواهدُ	–	١١٨
	خليليّ	لواجدُ	–	١٥٤
	فواعجبًا	الجاحدُ	–	٢٠٣
	خجِلت	شاهدُ	ابن الرومي	٣٠٩
	إن كنت	شواهدُ	أحمد عبد الصمد	٣١٠
	ألست ترى	قدودُ	المطوعي	٣٢٠
	فلا تعذلا	وساعدا	–	٨٨
	خبِّروها	تليدا	الطغرائي	١٥٩
(ذ)	إذا ضاق	لوّاذا	–	٩٧
(ر)	أي والربيع	وثغورِ	–	٣١
	قالوا	عسيرِ	الجمل الشاعر	٦٢
	لا غرو	أو بَهَرِ	–	٦٣

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	حذِرٌ	الأقدارِ	–	١١٣
	كانت مساءلةُ	أحسن الخبر	ابن هانئ الأندلسي	١٤٠
	وللثريا	النمر	التهامي	١٥٤
	سألتها	الخبر	ابن أبي جمعة	١٥٦
	ودولاب	الدهرِ	ابن تميم	٢٩٤
	كأن أوراقه	ومقصورِ	ظافر الحداد	٣٠٦
	أما تراه	كافورِ	–	٣٠٧
	ووردةٍ	أسرارِ	ابن المعتز	٣١٨
	لله أسودُ	اليعافيرِ	–	٣٢٠
	في زخرفِ	تغييرِ	ابن الرومي	٣٢٧
	حاذر أصابعَ	مكسورِ	ابن تميم	٣٣٣
	فإن وجوه	البدرُ	الزمخشري	١٠٦
	ليس الفتى	آثارُ	–	١٠٦
	رُب سوداء	الكافورُ	ابن قلاقس	١١٦
	(نصف بيت)	الكدرُ	–	١١٨
	وبينما القلبُ	الأعاصيرُ	–	١٤٢
	شاهدت	ديّارُ	–	١٤٥
	تأمل إلى	غزيرُ	ابن تميم	٢٩٤
	كأنه والعيون	دنانيرُ	–	٣٠٧
	ناولني	أشعارُ	القاضي النفيس	٣١٨
	ولم أنس	يتحدّرُ	ابن تميم	٣١٩
	وقد ظلموه	باعورا	بشار بن برد	٥٦
	غصن	ثمارا	–	١١٧
	قد أقبل	الحرّا	–	٣١٢
	نديميَ هيّا	الفجرا	القاضي الفضيل	٣١٤
	ذكرتُ	مثمرا	ابن تميم	٣١٥
	أخلفتِ	المقابرْ	الهادي	٢٦٢
(ز)	ورديٌّ بانٍ	دود قزٍّ	سيف الدين المشد	٣١٤
(س)	ما في	الأدراسِ	أبو تمام	١١٢
	ما صحّ	الناسِ	محمد بن هاشم	٢٦٥
	أو ما ترى	المياسِ	–	٣١٢

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	يا صاحبيّ	خندريسِ	–	٣٣٢
	عريقٌ له	قدامِسُ	أبو عنان	٤٠
	ولله ما	تنافسَ	أبو عنان	٤١
	وأحسن ما	النرجسُ	ابن الرومي	٣٠٧
	وعندنا نرجس	النفوسُ	–	٣٠٧
	من فضل	يرأسُ	ابن تميم	٣٢٢
	ليس جلوسُ	يوكسُ	ابن عبد الظاهر	٣٢٢
	طوى الردى	واحترسْ	–	١٦٠
(ش)	قُم يا	محتشي	–	٣٠٧
(ض)	خرجنا	راضِ	ابن تميم	٣١٥
	كأن الثريا	مفضضُ	ابن المعتز	١٥٥
(ط)	يا مادح	ملتقطهْ	ابن الرومي	٣٢٦
	يا هاجي	غلطِهْ	ابن المعتز	٣٢٧
(ع)	طلعةُ	الطلوع	ابن نباتة	٩٢
	تثبّت	الأفاعي	ابن السلعوس	١٣٣
	إنا سمعنا	الجامع	–	٢٥٠
	يا إمام	ربعُ	ابن نباتة	٣٩
	تفترسُ	تدعو	ابن نباتة	٣٩
	ومدرسةٍ	جمعُ	ابن نباتة	٤٠، ١٠٤
	ولو لم	وقوعُ	مجنون ليلى	١١٩
	وورقاءُ	صريعُ	السراج الوراق	١٢٠
	مُذْ عاين	لا يُدفعُ	ابن تميم	٣٣٣
	ركب الأهوال	ودّعا	–	١١٠
	غمامٌ	المريعا	–	١١٣
	بأبي مَنْ	جزِعا	العكّوك	١٥٩
	أقِلي عليّ	فأوجعا	ابن خشرم	١٦٦
(ف)	جاءت سليمان	خاطفِ	ابن عنين	١٢١
	تبسم زهر	الوصفِ	التلمساني	٣١٢
	كأن نور	خلافِ	الوراق	٣١٤
	مليكان	يوسف	ابن غانم	١٣٣
	لقد عفّ	تعففا	السراج الورّاق	٨٧

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	وياسمينِ	يصفْ	ابن عبد الظاهر	٣١٦
(ق)	أحب لحبها	والحدقِ	–	١١٦
	بَلِّغَنْ	الخفاقِ	–	٢٦٣
	قد أكثر	والحدقِ	التلعفري	٣١٤
	خليليَّ	رحيقِ	–	٣١٧
	أهدت إليّ	طبقِ	ابن المعتز	٣٢٢
	وحمراءُ	شقائقِ	ابن دريد	٣٢٨
	وتفاحة	وشقائقِ	ابن دريد	٣٢٩
	أيا شبه	لصديقُ	–	١٢٦
	وبدا	يخفقُ	–	٣٣٤
	تفاءل كما	إلا تحققا	–	٦١
	تعجبوا	الخرِقا	الطيبي	٢٦٧
	بالجَور	والحماقهْ	–	٢٥٠
	انظر إلى	طاقهْ	ابن الرومي	٣٠٩
	أبحتُ النرجسَ	طاقهْ	سعيد الخالدي	٣٢٢
(ك)	أما في	والإفكِ	البحتري	١٩٠
	سهم أصاب	مرماكِ	–	٢٢٨
	تأمّلْ	الملكُ	أبو نواس	٣٢٨
	قد أخذ	صكّا	–	١٣٢
	أمنجكَ	بتركْ	–	١٠٧
	نسب الناس	هنالكْ	ابن عبد الظاهر	١٢٠
	لئن أَنسيتَ	ذِكركْ	ابن أبي حجلة	١٥٦
(ل)	والأعورُ	كل حالِ	–	٥٦
	باتوا	على بالِ	المعري	٨٠
	ألا أيها	بأمثل	امرؤ القيس	١١٤
	جال في	مُذال	ابن خفاجة	١٥٥
	وعاذل بالغ	بلبالي	ابن العفيف	١٦٥
	يا هند	السلسل	عامر بن ينّق	١٧٠
	يا سيّدًا	الأولِ	هند المغربية	١٧٠
	أقِلْ أنِلْ	صِل	المتنبي	٢٧٢
	أيها المحتجُّ	ومحالِ	ابن الرومي	٣١٤

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	وإني وإن	الأوائلُ	أبو العلاء	٢٨
	لسان الفتى	–	–	٥٠
	ما أنت	مجهولُ	ابن عنين	٥٣
	وقد سماه	فالُ	أبو العلاء	٦١
	شيخٌ إلى	يُجهلُ	–	١٠٤
	ومن ذا الذي	وقيلُ	–	١٠٩
	يا من	يزالُ	أحمد بن يزيد	١١٧
	لسنا	نتكلُ	–	١٢١
	الليل والخيل	والقلمُ	المتنبي	٢٧١
	فإن يكن	متهمُ	أبو الحسن الجزار	٢٧٦
	أبنت أبي	متماثلُ	الأرزني	٣٠٨
	في روضةٍ	الشمالُ	–	٣٠٨
	للورد عندي	لا يملّ	التلمساني	٣١٨
	سُئلن	فالا	أبو العلاء	٦١
	يكون الخالُ	والجمالا	ابن سيابة	١٦١
	قالوا وينظم	كليلا	ابن النِطاح	٢٦٤
	سبقت إليك	تطفيلا	ابن تميم	٣١٥، ٣١٨
	كأنه خدَّ	خجلا	المفضل الضبّي	٣٢٥
	كأنه لون	الغُسُلا	–	٣٢٥
	يا بني	تنفصلْ	ابن عبد الظاهر	١٣٣
	أسرفتَ	العذولْ	ابن العفيف	١٦٤
(م)	هذا تبدُّدُ	الهمِّ	–	٦٢
	غيري حنى	المتندم	–	١١٠
	نرجسةٌ	درهم	المبرد	٣٠٦
	أرى ياسمينًا	ينتمي	علم الملك	٣١٦
	ما كلامُ	إلا حِمامُ	–	١١٩
	أنا المأمون	مستهامُ	المأمون	١٦٢
	ينام	نائمُ	حميد بن هلال	٢٠٤
	أرانبُ	نيامُ	المتنبي	٢٠٤
	لا تعجبوا	الأعظمُ	ابن النطاح	٢٦٤
	فإن يكن	مُتَّهمُ	أبو الحسن الجزار	٢٧٢

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	أزهر اللوزِ	إمامُ	ابن تميم	٣١٥
	أرى النرجس	قائِمُ	ابن جلنك	٣٢٢
	(نصف بيت)	لناما	–	١١٢
	كأنما شجرات	البلور جاما	ابن عبد الظاهر	٣١٦
(ن)	أميرٌ مُحكمٌ	بالطعانِ	–	٩٩
	فلها به	البانِ	–	١٠١
	ولقد ألفتُ	الأفنانِ	–	١١٩
	لما رجَعْتَ	والبينِ	ابن الأطروش	١٦٠
	ملك الثلاث	مكانِ	هرون الرشيد	١٦٢
	هُدِّدتُ	السلطانِ	وهب بن جابر	١٦٣
	ما أراني	الهجرانِ	العباس بن الأحنف	١٧٠
	وراء مضيق	الحزنِ	–	١٩٠
	أصبحتُ	يؤلمني	–	٢٣٧
	مهلًا أبو القاسم	حيانِ	أثير الدين أبو حيان	٢٩٣
	قد أتينا	بجُمانِ	ابن تميم	٣١٥
	كأن الياسمين	عيني	–	٣١٦
	ووردة	بنو عين	الخالدي	٣٢٠
	ووردٍ	الزمانِ	–	٣٢١
	يقول لي	وبهتانُ	–	١٦٣
	آمين آمين	أمينا	–	٣٠
	يا أسودًا	وإحسانا	ابن عنين	١١٧
	حَمامَ الأراكِ	تُعولينا	–	١٢٠
	حُميماتِ	نحتُنْ	–	١١٩
(هـ)	وسوداءُ	عليهِ	–	١١٧
	وفي الأرض	آياتهِ	–	٢٠٤
	ومدلّل	ندِّه	–	٣٢١
	أنا الزاغ	واللبوه	–	٥٥
	ومُذ قلتُ	الشّبهِ	ابن تميم	٣٣٣
	ما نظرت	نوارُهُ	البدر الذهبي	٣١٦

القافية	الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
	يا سيدًا	يدمِّثه	ابن مسعود	٣١٩
	شيخو حمى	جارها	–	١٠٤
	علقتها	فيها	–	١١٨
	لله بستان	أبوابها	–	٣١٣
	أوردتَ نفسك	المَهانَهْ	إبراهيم المعمار	١٦٠
	رأيت البنفسج	ساهرهْ	ابن الرومي	٣١١
(و)	حكت طبقًا	لؤلؤِ	محب الدين الكاتب	١٥٤
(ي)	فلو كنا	حيِّ	–	٢٦٣
	غدا	الرعايا	–	١٢٢
	أتبكي	حيّا	–	٢٦١
	دع عنك	الأبنيَهْ	–	٦٤
	قامت حروب	السندسيهْ	التلمساني	٣١٧

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم (الخليل): ١٩٦، ٢١٣، ٢٢٧، ٣٣٠، ٣٣١.
إبراهيم (بن محمد): ١٢٢.
ابن أبي أصيبعة: ٧٩.
ابن أبي جمعة، مجد الدين: ١٥٦.
ابن أبي حجلة: ١١، ١٢.
ابن أبي دُلف، دلف: ٢٦٣، ٢٦٤.
ابن أبي دؤاد، أحمد: ٩٧.
ابن أبي سرح، عبد الله: ٧٤.
ابن أبي طالب، جعفر: ١٥٣.
ابن أبي طالب، الحسن (بن علي): ١٥٣، ٢٧٥.
ابن أبي طالب، الحسين (بن علي): ٢٢٧.
ابن أبي طالب، علي: ٥١، ٩٦، ١٢٥، ٢٢٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٧٥، ٣٠٥، ٣١٧.
ابن أبي الفضل، إبراهيم (السهروردي): ٨٢.
ابن أبي وقاص، سعد: ١٥٣.
ابن الأثير، تاج الدين أحمد بن سعيد: ١٤٠.
ابن الأحنف، العباس: ١٦٩.
ابن إسحق، محمد: ٤٧.
ابن الأطروش، الشهاب: ١٦٠.
ابن الأعرابي: ٥٦، ٢٠٢.
ابن أكثم، يحيى: ٥٤، ٥٥.
ابن أمية، صفوان: ٢٠٣.
ابن أنس، مالك: ٦٣.
ابن إياس: ٢١.
ابن بشر، عباد: ١٥٣.
ابن تغري بردي: ٢١.
ابن تميم: ٢٩٤، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣٣.
ابن جابر، وهب: ١٦٣، ١٧٣.
ابن جبير، سعيد: ٥٦، ٢١٦.
ابن جَلْنك، شهاب الدين أحمد: ٣١٣، ٣٢٢.
ابن جني: ٥٢.
ابن الجوزي، سبط: ١٤٥، ٢١٧، ٢٥١، ٣٠٢.
ابن الجوزي (أبو الفرج): ٢٢٦، ٢٥٤، ٣٠٢.
ابن حجر: ١١، ١٣، ٢١.
ابن حرب، سفيان: ٢٠٣
ابن حرقة، شهاب: ٦٣.
ابن الحكم، مروان: ٢٧٥.
ابن خاقان، الفتح: ١٤٤.
ابن الخباز: ٥٢.
ابن خشرم، هدبة: ١٦٦، ١٦٧.
ابن الخطيب، فخر الدين: ١٢.
ابن خفاجة، أبو إسحق: ١٤٢، ١٤٤، ١٥٥.
ابن خلكان، شمس الدين: ٥٣، ٧٨، ٨١، ١٢٧، ١٤١، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٦٣.
ابن دحية، عمر: ٣٨.
ابن درمسيد: ٢٩٧.
ابن دريد: ٣٢٨.
ابن دواس (سيف الدولة): ٢٥٦.
ابن الربيع، سفيان: ٢٠٢.
ابن رشيق: ٣٢٥.
ابن الرومي: ٦٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢٦، ٣٢٧.

ابن الريان، الوليد بن مصعب: ٣٥، ٢٢٠.
ابن الزبير، زين الدين: ٢٧٤.
ابن الزبير، عبد الله: ٢٧٥.
ابن زيد، زيادة: ١٦٦، ١٦٧.
ابن زيد، عبد الرحمن: ١٦٦.
ابن الساعي: ١٣٩.
ابن سبكتكين، محمود: ٥٤، ٢٨٢، ٢٨٣.
ابن سعيد، أحمد: ١٤٠.
ابن سكرة: ١٥٦.
ابن السلعوس، شمس الدين: ١٣٣، ١٣٤.
ابن السمّاك: ١٦٩.
ابن سهل، الحسين: ٧٧.
ابن سهل، الفضل: ٧٧.
ابن سيابة، إبراهيم: ١٦١.
ابن سيدة: ٥١.
ابن شعيب، عمرو: ١٥١.
ابن الصائغ، نور الدين أبو عبد الله: ١٣٦.
ابن صالح، محمود: ٧٩.
ابن الصايغ، كمال الدين: ١٤٤.
ابن صبح: ١١٣، ١١٤.
ابن طاهر، عبد الله: ١٢٣.
ابن طولون، أحمد: ٦١، ٦٢، ٢٢٥، ٢٩٦، ٢٩٧.
ابن العادل، شهاب الدين غازي: ٢٨١.
ابن العاص، عبد الله بن عمرو: ٣٧.
ابن العاص، عمرو: ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٣٠٢.
ابن عاصم، محمد: ٢٧١.
ابن عباس (راوٍ): ٣٨، ٤٦، ٥٦، ١٧٩، ١٨٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٤٦، ٣٣١.
ابن عبد الرحمن، أبو الحسن: ٧٧.
ابن عبد الرحمن، أبو العلاء: ٢٦١.
ابن عبد الصمد، أحمد: ٣١٠.
ابن عبد الظاهر، محيي الدين: ١٠١، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٣، ٣١٦، ٣٢٢.
ابن عبد العزيز، عمر: ١٢٣، ٢٧٥.
ابن عبد الله، محمد: ٢٠٣.
ابن عبد الملك، سليمان: ١٢٣، ٢٨٧.
ابن عبد الملك، الوليد: ٢٩٩.
ابن عبيد، السائب (شبيه النبي): ١٥٣.
ابن عطية (عبد الحق الغرناطي): ٤٦، ٢١٨.
ابن عمر، عبد الله: ٧٢، ٢٤٥.
ابن عُنين، شرف الدين: ٥٣، ١٢١.
ابن العوّام، الزبير: ١٥٣.
ابن غانم، شمس الدين: ١٣٣.
ابن الفارض (عمر): ١٢.
ابن الفضفاض، الحسين: ٣١٢.
ابن الفضل، القاسم: ٢٠٣.
ابن فضل الله، أحمد (العمري): ٨٤، ١٣٥، ٣٣١-٣٣٢.
ابن فقيه: ١١٠.
ابن فلاح، جعفر: ١٤١.
ابن قتيبة: ١٢٥، ١٥١.
ابن قلاقس، الإسكندري: ١١٦.
ابن كثير، عماد الدين: ١٣٩، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٨١، ٢٨٤.
ابن ماهان، عيسى: ٦٢.
ابن المبارك (راوٍ): ١٧٧، ٢١٢.
ابن المستنصر، عبد المجيد (الحافظ الفاطمي): ٢٣٣.
ابن مسعود، شهاب الدين: ٣١٩.
ابن مسعود، عبد الله: ١٥٠، ١٨٣.
ابن المسيب، سعيد (الراوي والمعبّر): ٢٨٥.
ابن المشجّر: ٢٦٠.

ابن مصعب، الوليد (فرعون موسى): ٦٧، ٢١٣.
ابن معاوية، خالد بن يزيد: ١٦٢.
ابن معاوية، يزيد: ٢٢٧، ٢٧٥.
ابن معتّب، مسلم: ١٥٣.
ابن المعتز: ١٥٥، ٢٧٥، ٣١١، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٧.
ابن معد: ٢٥١
ابن المغربي، أبو القاسم (الوزير): ٢٨٨، ٢٨٩.
ابن المهدي، عبد النبي: ٢٨٦.
ابن نباتة، جمال الدين: ٣٩، ٩٢.
ابن نبهان، أبو اليسر: ٣٠٠.
ابن هاشم، أبو بكر: ٢٦٤.
ابن النطاح، بكر: ٢٦٤.
ابن النعمان، رجاء: ٢٨٥.
ابن هاشم، علي: ١٦٩.
ابن هانئ الأندلسي: ١٤١.
ابن هبيرة: ٢٧٩.
ابن هشام، أبو بكر محمد: ٢٦٤.
ابن هلال، حميد: ٢٠٤.
ابن وائل السهمي، العاص: ١٥٣.
ابن الوحيد، شرف الدين: ٢٦٩.
ابن الوليد، مصعب: ٦٧.
ابن وهب: ٢٠٣.
ابن وهبون، عبد الجليل: ١٤٣، ١٤٤.
ابن يزيد، أحمد: ١١٦.
ابن يزيد، خالد: ١٦٢.
أبو أسامة: ٢٧٥.
أبو بكر (رض): ١٥٢، ١٧٦، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٧٥.
أبو بكر (الملك المنصور): ٩٠، ١٣٠.
أبو ثابت (ملك): ٢٦٨.
أبو جهل: ٢١٣، ٢٢٧.
أبو حازم: ١٢٣.
أبو الحسن، علي: ٧٧.
أبو حنيفة (رض): ٦١، ١٠٠، ١٠١، ٢٦٠.
أبو حيان، أثير الدين: ١٧٨، ٢٩٢.
أبو الخير الأقطع: ٢٨٩.
أبو داود المسيحي: ٦٣.
أبو الدرداء: ٤٨.
أبو الربيع: ٢٨٩.
أبو سفيان (بن الحارث): ١٥٣.
أبو شامة: ٢٨٣، ٢٨٤.
أبو عبيدة (راوٍ): ١٧٦.
أبو العلاء = المعري.
أبو عنان (ملك): ٤٠.
أبو عون: ٣٠٦.
أبو العيناء: ٩٧.
أبو الفرج = الأصبهاني.
أبو مسعود: ٦٣.
أبو معشر: ٧٨، ٧٩.
أبو نواس: ١٦٧، ٣٢٨.
أبو هريرة (رض): ١٧٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٨٥.
أبو الهيثم: ٥٦.
أُبيّ (قارئ): ١٥٠.
إحسان (جارية): ٧٨.
أحمد (الملك الناصر) شهاب الدين: ١٣١، ١٥٨.
إدريس (ع): ٢٣٤.
الادريسي: ٢٩٨.
أرتق: ٢٩٩.
الأرزني، يحيى بن محمد: ٣٠٨.
أزبك (ملك): ٢٦٨.

أزدشير: ١٥١، ٢٣٩، ٣٣٠.
إسحق (ع): ١٨٨، ١٩٦.
الإسفراييني، أبو حامد: ٢٥٢.
إسماعيل (ع): ١٨٧.
إسماعيل (السلطان): ١٢١، ١٣١.
اسنبغا المحمودي: ٩٣.
آسية: ٢١٤.
الأشرف (بن قلاوون) الملك: ٣٢، ٩٩، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٩، ٢٧٦، ٢٧٨.
الأصبهاني، أبو الفرج: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.
آصف بن برخيا: ٢٤٣.
أعشامشر (كاهن): ٢٣١.
الأفضل (بن صلاح الدين): ٢٧٦.
أقبغا (عبد الواحد): ١٥٧.
ألطنبغا (أمير): ١٣١.
أم أيمن (أمة): ١٥٢.
أم خليل = شجرة الدر: ٨٤.
أم كلثوم (بنت محمد): ١٥٢.
الآمر: ٢٧٦.
امرؤ القيس: ٥١.
الأمين: ٢٧٥.
أنس (رض): ١٥١، ١٥٣، ١٨٣، ٢٩٠.
الأنصاري (أبو أيوب): ١٥٣.
الأنصاري، علي بن محمد: ٣٣٢.
الأنصاري، محمد بن مسلمة: ١٥٣.
أنو شروان: ٢٣٩، ٢٤٠.
أيدغدي (الخوارزمي): ٢٦٨.
أيدمر = السنائي.
أيوب (ع): ١٨٤.
الأيوبي، صلاح الدين يوسف: ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٦.

(ب)
البحتري: ١٩٠، ٢٨٥.
البخاري (راوٍ): ٢٠٢.
بختنصر: ١٨٤.
البدر الذهبي: ٣١٦.
البرزالي، علم الدين: ٢٧٨.
بَرَسْبُغا (أمير): ١٣١، ١٥٧.
البرقي، أبو بكر: ١٥٢.
البرمكي، خالد: ١٦٥.
البرمكي، يحيى: ١٦٩.
بزرجمهر: ٩٦.
البساسيري: ٢٧٤.
بشتاك (سيف الدين الناصري): ١٠٨، ١٥٧.
بشار (بن برد): ٥٦.
البصري، الحسن: ٩٦، ١٧٤، ٢٩١.
البطليوسي، أبو محمد: ١٦٦.
البغدادي: ٢٦٩.
البغوي: ١٨١، ٢١٠.
بكار (القاضي): ٢٨٩.
بكتمر (الجوكندار): ٢٦٨، ٢٦٩.
بلقيس: ٢٤٢، ٢٤٣.
بنيامين: ٣٦، ١٩٣-١٩٦.
بهادر آص: ٩٠.
بهرام جور (ملك): ١٢٦، ١٢٧.
البوصيري، شرف الدين: ١٣٢.
بيبرس الجاشنكير (المظفر): ٨٩، ٩٠، ١٣١، ٢٦٩.
بيدرا (أمير): ٨٨.
البيهقي: ٦١.

(ت)
تاج الدين = ابن الأثير، تاج الدين.

تُبّع: ٣٠٢، ٣٠٣.
الترمذي: ٢٠٢.
التلعفري: ٣٠٦.
التلمساني، شمس الدين محمد: ١٦٤، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٧.
التميمي، صدر الدين علي: ٢٨٤.
التهامي: ١٥٤.
التوحيدي، أبو حيان: ٥٣.
توران شاه (شمس الدولة): ٨٣.

(ث)
الثعالبي: ٥٦.
الثعلبي: ٤٦، ١٧٥، ٢٠١.
الثوري، سفيان: ٢٩١.

(ج)
الجاشنكير: ٢٦٧.
جالوت: ١٤٨.
جالينوس: ٣٢٧.
جبرائيل = جبريل (ملاك): ١٤٨، ١٧٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٩٠، ٣٣١.
جركتمر (بن بهادر): ١٣٠.
الجزار، أبو الحسن: ٢٧٢.
جعفر (بن محمد): ٢٩١، ٣١٧.
الجمدار، سعد الدين بشير: ١٢.
الجمل الشاعر: ٦٢.
جنادة، أبو أسامة: ٢٥٩.
جنكيز خان: ٢٨١.
جوبان، أمين الدين: ٣١٣.
جوهر (قائد): ٧٤، ٧٥.
الجوهري (اللغوي): ٥١، ٢١٣.

(ح)
حاجي (الملك المظفر): ٩٣، ١١٨، ١٣٠، ١٣١، ٢٧٦.
الحافظ أبو محمود: ٦١.
الحافظ الفاطمي = ابن المستنصر عبد المجيد: ٢٣٣-٢٣٤.
الحاكم (بأمر الله): ٣٣، ٧٨، ٢٤٩-٢٥٢، ٢٥٤-٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٤، ٢٧٦.
الحاكم = منصور بن نزار: ٢٥١.
الحاكم = المهدي: ٢٥١.
الحجيري، محمد (أبو مؤنس): ٢٢.
الحداد، ظافر: ٣٠٦.
حذيفة (راوٍ): ٢٤٦.
الحريري: ١٤٢.
الحسن (راوٍ): ١٨٤.
حسن (بن قلاوون - الملك الناصر): ١٢، ٢١، ٢٩، ١٢١.
حسين (سلطان): ١٣٠.
الحسيني، أبو الفتوح الحسن = الراشد بأمر الله: ٢٨٨.
الحكيم، سعد الدين: ٦٤.
الحلاج (الحسين بن منصور): ٢٢٧.
الحلّي: ١٢٠.
حماد الراوية: ١٠٧.
الحميدي، أبو عبد الله: ٢٠٦.

(خ)
خاتون: ٢٧٩.
الخالدي، سعيد: ٣٢٠، ٣٢٢.
خان (بن جنكيز): ٢٨١.
خديجة (رض): ١٥٢.
الخضر: ٢٤٣.

خضرة (أمة): ١٥٢.
الخدري، أبو سعيد: ٢٠٢.
الخرَّمي، ديصان بن سعد: ٢٥١.
الخواص، ابراهيم: ٣٣٢.
الخولاني، أبو مسلم: ٢٩١.

(د)

الدجّال: ٢٤٦.
دنانير (جارية): ١٦٥، ١٦٦.
الدينوري، أبو الحسن: ٢٨٩.

(ذ)

ذكوان بن عبد الله بن قيس: ١٥٣.
الذهبي، شمس الدين: ٥٣، ٥٤، ٢٤٩.
ذو القرنين، الإسكندر: ٢٤٦.
ذو النون المصري: ٢٨٩.

(ر)

الرازي، فخر الدين: ٤٨-٥٠، ١٢١، ١٨٤.
الراشد (الخليفة العباسي): ٢٧٥.
الراضي (الخليفة العباسي): ٢٧٥.
الربيع (بن أنس البكري): ٢٣٥.
رُدبيل: ١٩٦.
الرشيد، هارون: ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ٢١٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٣٢٥.
رضوى (أمة): ١٥٢.
الرضي (الشريف): ٢٥٢.
رقية (بنت محمد): ١٥٢.
ركن الدين = الملك الظاهر.
رمضان (سلطان): ١٣٠.
رملة (مغنية): ١٦٢.
الريان ابن الوليد (فرعون يوسف): ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ٢١٣.
ريحانة القرظية (أمة): ١٥٢.

(ز)

الزمخشري، محمود بن عمر: ٤٨، ٥٣، ١٥٠، ١٦١، ١٧٨، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٣٠.
الزهري (راوٍ): ١٥١، ٢٨٥.
زيد (قارئ): ١٥٠.
زينب (بنت محمد): ١٥٢.

(س)

سابور (ذو الأكتاف): ١٥٧، ١٥٨.
سارة: ١٨٠، ٢١٣.
سارية بن زنيم الأسدي: ١٢٢.
سالم (غلام): ٦١.
السامي، كايس بن ربيعة: ١٥٣.
السراج الورّاق: ٨٧، ١٢٠.
سعد (بن معاذ): ١٤٨، ١٥٣.
السعدي، محمد بن مسلم: ٥٤.
السعيد (بن الظاهر): ٢٧٦.
السفاح: ٢٧٥.
سفيان (راوٍ): ١٧٧، ١٩٨.
سلّار: ٨٩، ٢٦٧.
سلامة الترجمان: ٢٤٧.
سلامش (الملك العادل): ٨٦، ٨٧، ٩٩، ٢٧٦.
سلمى (أم رافع - أمة): ١٥٢.
السلمي، سيف الدين: ٣٠١.
سليمان: ٢٧٥.
سليمان (ع): ٢٤١-٢٤٥، ٢٩٩.
السنائي، عز الدين أيدمر: ١٤٠.
سنان الأشلّ صاحب سارة: ٢١٣.

السهروردي، شهاب الدين: ٢٠، ٨١، ٨٢.
سيدة الملك (بنت العزيز بالله الفاطمي): ٢٥٥.
سيف الدولة (الحمداني): ٢٧٢.
السيوطي: ٢١.

(ش)
شبرمة (الديلمي): ٢٣٤.
شبيب (بن شيبة): ١٢٣.
الشجاعي: ١٣٤.
شجرة الدر: ٨٤، ٨٥.
الشرابي: ١٨٦.
الشريشي: ٢٠، ١٤١، ٢٩٤.
الشريف الرضي: ١٤١، ١٤٢.
شعبان (الملك الكامل): ٩١، ٩٢، ٩٣، ١١٥، ١٣٠، ٢٧٦.
شعيب (ع): ١٧٦، ٢١٥.
شعيب (راوٍ): ٢٨٥.
الشعبي (راوٍ): ٢٠٤.
شمس الدولة (توران شاه): ٢٨٦.
شمس الدين (الذهبي): ٢٨٣.
شهاب الدين = ابن فضل الله العمري.
شهاب الدين أحمد (الملك الناصر): ٩١، ٩٢، ١١١.
شيخو (العمري): ٤٠.
شيخو (الناصري): ١٠٤.

(ص)
الصاحب بن عباد: ١٨٢، ٢٥٩.
صاعد الأندلسي: ٢٢٩.
الصالح أيوب: ٣٢، ٨٣، ٨٤، ٢٧٦.
صخر (عفريت): ٢٤٣.
صرغتمش (الأشرف السيفي): ٧١، ٩٩.
صريع الدلاء: ١٠٧.
صفوائيل: ٢٧٩.
صفي الدين (مدرّس): ٢٨٤.
الصقلي: ١٥٨.
صلاح الدين خليل (الملك الأشرف): ٨٧.
الصوري، عبد المحسن: ١٧٩.
الصولي: ٢٧٥.
صيلم (كاهن): ٢٣١.

(ط)
الطائع: ٢٧٥.
طاهر (بن الحسين): ٦٢.
الطحاوي: ١٥٣.
طرفة بن العبد: ٢٢٢، ٢٢٣.
طشتَمُر (حمص أخضر): ١٥٩، ١٦٠.
الطغرائي: ١٥٩، ٣٢١.
طَلّ (خادم الرشيد): ١٦٧.
الطيبي، شمس الدين: ٢٦٧.

(ظ)
الظافر (الفاطمي المخلوع): ٢٧٦.
الظاهر (الملك): ٩٩، ٢٧٣.
الظاهر (ابن الحاكم): ٢٧٤-٢٧٦.
الظاهر بيبرس: ٣٩، ٨٦، ٨٧.

(ع)
عائشة (رض): ٩٧، ٢٢٦، ٢٥٣.
العادل الأكبر: ٢٧٦، ٢٧٧.
العادل الصغير: ٢٧٦.
عاصم (راوٍ): ٣٨.
العاضد: ٢٣٣، ٢٧٤، ٢٧٦.
عامر ابن ينّق (الوزير): ١٧٠.

العاملي: ١٦.
عبد الحق: ٢٦١.
عبد الصمد، أحمد: ٣١٠.
عبد الله (المهدي): ٢٧٤، ٢٧٥.
عبد الله = الطيب الطاهر: ١٥٢، ١٥٣.
عبد الملك (بن مروان): ١٢٥، ٢٧٥.
عبيد بن شرية الجرهمي: ١٤٢.
عثمان (رض): ٧٤، ١١١، ١٥٢، ٢٧٥.
عريب (مغنية): ١٧١، ١٦٥.
عز الدين أيبك = المعز أيبك: ٨٤.
العزيز (الآيوبي): ٢٧٦.
عزيز مصر = قطفير.
العكبري، أبو العز أحمد بن عبد الله: ٣٢٥.
عكرمة (راوٍ): ٣٨، ١٨٠، ١٨١.
العكّوك (الشاعر): ١٥٨.
علي (الملك الصالح): ٨٧، ٩٩، ١٠١، ١١٢، ١١٥، ١١٦.
علم الملك النصراني: ٣١٦.
عُلية بنت المهدي: ١٦٧.
العماد الكاتب: ٥٣.
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (الملك الصالح): ٩١، ١١٢.
عمر بن الخطاب (رض): ٣٨، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ١٥٢، ١٧٦، ٢٠٢، ٢٧٥.
عمرو بن هند: ٢٢٢.
عنان (مغنية): ١٦٧.
عِياض: (قاضٍ): ٢٠٣.
عيسى (ع): ١٤٧، ٢٤٥، ٢٤٦.

(غ)
غادر (جارية الهادي العباسي): ٢٦١، ٢٦٢.
غازية خاتون: ٨٧.
غالب (خادم): ٧٧.

(ف)
الفائز (العبيدي الفاطمي): ٢٧٦.
فاطمة (بنت محمد): ١٥٢، ٢٢٦، ٢٥٠.
فخر الدين = الرازي.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد: ٢٠، ١٤١.
فرعون (مصر): ١٨، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٠-٢١٤، ٢١٦-٢٢١، ٢٢٦-٢٢٧، ٢٤٩
فرعون (موسى): ٦٧، ٢١٣
فرعون (يوسف): ٢١٣.

(ق)
القائم بأمر الله (الخليفة العباسي): ٢٧٥، ٢٧٦.
القادر (بالله): ٢٧٥.
قارون: ٢١٦.
قازان: ١٣٥.
القاسم (بن محمد): ١٥٢، ١٥٣.
القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي): ٣١٤.
القاضي النفيس: ٣١٨.
قان قان: ٢٨١.
القاهر (السلطان المملوكي): ٢٧٤، ٢٧٥.
قبجق = قفجق: ١٣٥.
قتادة (راوٍ): ٣٨، ٤٧، ٢١٣، ٢٤٦.
قثم بن العباس: ١٥٣.
القدوري، أبو الحسن: ٢٥٢.
قطز (السلطان المملوكي): ٨٦، ٢٧٦.
قِطفير (عزيز مصر): ١٩، ٣٥، ١٧٦، ١٧٧-١٨٠، ١٨٧، ١٨٩.

قُطلوبغا (الفخري الساقي): ١١١، ١٥٩، ١٦٠.
قلاوون (الملك المنصور أبو المعالي): ٨٧، ٩٠.
قليج بن عبد الله المنصوري: ١٣٦، ٢٧٦.
قوام الدين الإتقاني: ١٠٠.
قوصون: ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٣١.
القوصي، شهاب الدين: ٦٤.
قيصر: ١٣٧، ١٥٨.

(ك)

كايس بن ربيعة = السامي: ١٥٣.
الكاتب، محب الدين محمد: ١٥٤.
كافور (الإخشيدي): ٦٣، ٧٤، ٢٧٠، ٢٧١.
كالب: ٤٧.
الكامل (بن العادل الأكبر): ٢٧٦.
الكتاني: ١٤٧.
كِتُبغا المنصوري، زين الدين (الملك العادل): ٨٨، ٨٩، ٢٦٩، ٢٧٧.
كثيِّر: ١٢٥.
كُجُك (الملك الأشرف): ٩١، ١٠٩، ١٣٠، ١٥٧، ٢٧٦.
كسرى، أنو شروان: ٢٨، ١٥١، ٢٣٩، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٣٠.
حبر الأحبار: ١٨٠.
كنانة (القاضي): ٢٨٩.
الكواشي: ٢٠٩، ٢١٤، ٢٤٢، ٢٤٤، ٣٣٠.
الكوراني: ٢٧٣.

(ل)

لاجين، حسام الدين: ٨٨، ٨٩، ١٣٥.
لؤلؤ، بدر الدين: ٨٥.
ليا بنت ليان: ٣٦، ١٧٤.
ليلى: ١٢٥.

(م)

مأجوج: ٢٤٦.
المأمون (الخليفة العباسي): ٧٧، ١٥١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٩٧.
ماروت: ٢٣٥.
مارية القبطية: ١٥٢.
المالقي، أبو علي الكفيف: ٤٦.
المبرد: ٣٠٦.
المتقي: ٢٧٥.
المتلمس (الضبعي): ٢٢٢، ٢٢٣.
المتنبي: ٢٠٤، ٢٧١، ٢٧٢.
المتوكل (الخليفة العباسي): ٢٧٥، ٣٢٩.
متيم الهاشمية (الهشامية): ١٦٩.
مجاهد: ٤٧، ١٩٧، ٢١٥.
المجاهد (الملك): ١٥٦.
مجنون (ليلى): ١١٩.
المحاسبي، الحارث بن أسد: ٩٧.
محمد (ص): ٢٧، ٣٨، ٤٩، ١٣٧، ١٩٣، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٩١، ٣٣٤.
محمد بن قلاوون = الملك الناصر.
محمود=ابن سبكتكين، محمود (بن صالح): ٢٨٣.
مختار، نجم الدين: ٢٧٨.
المرتضى: ٢٥٢.
المرزباني: ٣٢٨.
مروان (الحمار): ٢٧٥.
مريم: ٢١٤.
المريني، أبو الحسن: ٩٦.
المزني، أبو بكر: ٢٨٩.
المسبحي: ٧٧، ٢٥٩، ٢٧٣.
المسترشد: ٢٧٥.
المستضيء: ٢٧٥.

المستظهر: ٢٧٥.
المستعصم: ٢٧٥.
المستعلي: ٢٧٦.
المستعين: ٢٧٥.
المستكفي: ٢٧٥.
المستنجد: ٢٧٥.
المستنصر: ٢٧٥، ٢٧٨.
مسعدة بن عمرو: ١٥١.
مسعود (ملك): ٢٧٩.
مسعود (عبد): ٢٥٢.
المسعودي: ٢٩٥، ٣٢٥.
مسلم (راوٍ): ٢٠٢.
مسلم (بن سليمان): ٧٩.
المشد، سيف الدين: ١٤، ٣١٤.
المطوعي، أبو حفص: ٣٢٠.
المطيع: ٢٧٥.
المظفر = بيبرس الجاشنكير: ٩٣.
المعافى = النهرواني.
معاوية: ١٤٢، ١٥٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢٥٣، ٢٧٥.
معاوية (بن يزيد): ٢٧٥.
المعتز بالله: ٢٧٥.
المعتصم: ١٨، ١٤٥، ١٦١، ٢٦٤، ٢٧٥.
المعتضد: ٢٧٥.
المعتمد: ٢٧٥.
المعري: ٢٠، ٢٨، ٦١، ٧٩.
المعز: ٧٤، ٧٥، ٨٤، ٨٥، ٢٧٦.
المعقلي (ظريف): ٢٧٣.
المعمار، إبراهيم: ١٦٠.
المفضل: ٣٢٥.
المقتدر: ٢٧٥.
المقتدي: ٢٧٥.
المقتفي: ٢٧٥.
المقدسي، جمال الدين يوسف: ١١، ١٣٦.
المقوقس: ١٥٢.
المكتفي: ٢٧٥.
الملك السعيد: ٨٦.
ملكشاه السلجوقي: ١٢٤، ١٦٨.
الملك القاهر = الظاهر: ٢٧٦.
الملك الكامل: ٢٧٨.
الملك المجاهد: ١٥٨.
ملكشاه (بن ألب أرسلان): ١٢٤.
المنتصر: ٢٧٥، ٢٧٦.
منجك الناصري: ١٢، ١٠٦.
المنذر (بن عمرو): ٢٤١.
المنصور (أبو بكر): ١٠٨، ١٠٩، ١٢٩.
المنصور (أبو جعفر): ٢٧٥، ٢٧٦.
المنصور = سيف الدين قلاوون: ٣٢، ٨٧، ٩١، ٩٩، ١٠١، ١٣٢، ١٣٤-١٣٧، ١٥٧، ٢٧٣، ٢٧٦.
المنصور (صاحب أفريقية): ٢٧٣، ٢٧٦.
المهتدي: ٢٧٥.
المهدي: ١٢٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦.
المهدي = ابن معد: ٢٥١.
المهدي = الكوراني.
المهدوي: ٧٢، ٢٠٨، ٢١٧.
موسى (ع): ١٩، ٣٣، ٣٧، ٤٧، ١٧٦، ١٩٨، ٢٠٧-٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٤٥، ٢٤٩.
موسى النصراني: ٢٣٤.
الموصلي، أبو بكر: ٥٨.
ميسّر: ٢٧٣.
ميكائيل (ملاك): ١٤٨.
ميمونة بنت سعد: ١٥٢.

(ن)
الناصر، أحمد: ٢٧٦.
الناصر، محمد بن قلاوون (الملك الناصر): ٥٩، ٨٨، ٨٩-٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٧.
ناصر الدين بركة (الملك السعيد): ٨٦.
نافع الأزرق: ٥٦.
نجم الدين أيوب (الملك الصالح): ٣٢، ٧٣.
النطّاف: ١٦٧.
النمرود: ١٩٦، ٢٢٧.
النهرواني، أبو الفرج: ٥٤، ٢٠٥، ٢٠٦.
نوح (ع): ٢٩٧.
نور الدين علي: ٨٥.

(هـ)
الهادي: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٥.
هاروت: ٢٣٥.
هارون = الرشيد.
هامان: ٣٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩.
هرمز: ١٥٧.
هشام: ٢٧٥.
الهمداني: ١٢٤.
هند (المغربية): ١٧٠.
هولاكو: ٢٧٨.

(و)
الواثق: ٢٧٥.
الوراق، أبو حاتم: ٣١٤.
الوزان، أيوب: ٣٢٥.
الوليد (بن يزيد): ٢٧٥.
وهب بن جابر الخزاعي: ١٦٣، ١٧٣.
وهب بن منبه: ١٧٦، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٨، ٢١٢، ٢١٦

(ي)
يأجوج: ٢٤٦.
ياقوت الحموي: ٣٠٨.
يحيى (ع): ١٧٤.
يحيى = ابن أكثم.
يزيد: ٢٢٧، ٢٧٥.
يسار (غلام): ٦١.
يعقوب (ع): ١٨، ٣٦، ١٧٤، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٨.
يلبغا الناصري: ١٢، ١١٥.
يهوذا: ٣٦، ١٩٧، ١٩٨.
يوسف (ع): ١٨، ١٩، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٦٧، ١٧٣-١٩٩، ٢٠١، ٢١٣.
يوسف (سلطان): ١٣١.
يوسف بن أيوب (سلطان): ١٣٣.
يوسف (بن علي): ٨٠.
يوشع (بن نون): ٤٧.

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)
أبو صير: ٢٠٨.
أُتريب: ٢٠٨.
أذرعات: ١٥٠.
أُرسوف: ٦٩.
أرض الحمامات: ٨٨.
أرمنت: ٢٠٨.
إسرائيل: ١٨، ٣٧، ٦٧، ٢٠٨-٢١٠، ٢١٣، ٢١٧-٢١٩.
الإسكندرية: ٦٧، ٦٩، ١١٠، ١١١، ١٣١، ١٥٢، ٢٠٩، ٢٩٥.
أسوان: ٦٧، ٩٠.
الأشرفية (في قلعة الجبل): ١٠٣.
أصبهان: ٦٩، ٢١٢، ٢٨١.
اصطخر: ٦٩.
الأندلس: ٥٦، ٢٩٩.
أنِصْنا: ٢٠٨.
أنطاكية: ٢٧٣، ٢٨٠.
الأهرام: ٣٣، ٢٢٤، ٢٨٧، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨.
الأهواز: ٦٩.
أيلة: ٦٧.

(ب)
باب الأبواب: ٣٠١.
باب الجابية: ١٠٣.
باب الجامع: ٢٥٥.
باب زويلة: ٢٥٣.
باب القلعة: ٢٦٧.
باب الفرج: ٨٢.
باب النصر: ٢٨٧.
بابل: ٦٨، ٢٣٢، ٢٣٤.
بارين: ٢٧٨.
بانياس: ٢٥٤.
البجاة (قبلي أسوان): ٦٧.
البحر الأخضر: ٧٣.
بحر الروم: ٦٧.
بحر فارس: ٢٢٠.
بحر القلزم: ٦٧، ٢٢٠.
البحيرة: ٢٠٩.
بحيرة الزنج: ٧٣.
بحيرة طبرية: ٢٤٥.
البحرين: ٢٢٢.
بخارى: ٢٧٩.
برقة: ٦٧، ٦٩.
بركة الحبش: ٢٩٢.
بُست: ٦٩.
بُصرى: ١٥٠، ٢٨٤، ٢٨٥.
البصرة: ١٤١، ١٥٣، ١٦٩.
بغداد: ١٣٩، ٢٢٦، ٣٣٢، ٢٥٠، ٢٥٢، ٣٣٢.
البقاع: ١١٣.
البقيع: ١٥٣.
بهسنا: ١٠٢.
بيا: ٢٠٨.
البيت الحرام: ٢٨٥.
بيت المقدس: ٦٩، ٢٤٦.
بيروت: ١٠٢، ٢٨٠.

(ت)
تُبَّت: ٣٠٢.
تُبّع: ٣٠٨.
تروجة: ٨٨.
تل حران: ٢٨٠.
تلمسان: ١١.
تِنّيس: ٦٩.

(ج)
الجامع الأزهر: ١٢.
جامع راشدة: ٢٥٢.
جامع القاهرة: ٢٥٤، ٢٨٧.
جامع قوصون: ٢٦٨.
جامع محمود: ٢٨٩.
جامعة بغداد: ١٥، ١٩، ٢٠.
جبال الثلج: ٧٢.
جبل الطير: ٥٧.
جبل عسيب: ٥١.
جبل الفتح: ٣٠١.
جبل قاسيون: ١٣٦.
جبل قاف: ٧٢.
جبل القمر: ٧٣.
جبل كوره رستم: ٣٠٠.
جبل المقطم: ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٨٩.
جُرجان: ٣٣٢.
الجزيرة: ٢٩٤.
جزيرة الفيل: ٢٨٤.
جور: ٦٨.
الجيزة: ٢٥٣، ٢٩٨.

(ح)
حارة برجوان: ٢٨٧.
حارة بهاء الدين: ٢٨٧.
حارة الديلم: ٢٨٧.
حارة الروم: ٢٨٧.
حارة زويلة: ٢٨٧.
حارة العرب: ٢٨٧.
حارة كُتامة: ٢٨٧.
الحجاز: ٦٨، ١٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣-٢٨٥.
الحرَّة: ٢٠٢.
الحرمين الشريفين: ٢٤٩.
حصن كيفا: ٨٣.
الحفائر: ٢٦٧.
حلب: ٧٩-٨١، ٢٧٢، ٢٨٠.
حلوان: ٢٥٦.
حماة: ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠.
الحمامات: ٨٨.
حمص: ٦٩.
حوران: ١٧٦.
الحيرة: ٢٢٢، ٢٢٣.

(خ)
خراسان: ٢٤٥.
خليج الإسكندرية: ٢١٧.
خليج بنها: ٢١٧.
خليج دمياط: ٢١٧.
خليج سخا: ٢١٧.
خليج سردوس: ٢١٧.
خليج الفيوم: ٢١٧.
خليج مَنْف: ٢١٧.
خيبر: ١٤٨، ١٤٩.

(د)
دجلة: ٧٢.

درب القاضي: ٨٦.
دربند: ٣٠٠، ٣٠١.
دمشق: ١١، ١٢، ٢٠، ٦٩، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٠٣، ١١١، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٨، ١٦٠، ٢٢٧.
دمياط: ٦٩.
دولاب الساقية: ٢٩٤.
دير الخنافس: ٣٠٢.
دير الزرازير: ٣٠٢.
دير القصر: ٢٥٦

(ذ)

ذات الحمام: ٢٩٥.

(ر)

رفح: ٦٧.
الرملة: ٦٩، ٢٨٨.
رومية: ٣٠٢.

(ز)

زمزم: ١٣٩.
زممة كادان: ٣٠٠.

(س)

سابور: ٦٩.
سامراء: ٢٤٧.
سبتة: ٦٩.
السبع خوخ: ٢٨٧.
السبع سقايات: ٢٨٧.
السبع قبيبات: ٢٨٨، ٢٨٩.
سجستان: ٦٩.
سجلماسة: ٢٥٩.
سرخس: ٧٧.
سر من رأى (سامراء): ١٤١.
سرمين: ١٤٤.
السند: ٦٩، ٢٨١.
السودان: ٦٨.
السوس: ٦٩.
سوق البزازين: ٢٧٠.
سومنات: ٢٨٢.
السويداء: ١١٣.
سيراف: ٦٩.
سيناء: ٦٧.

(ش)

الشام: ١١، ٢١، ٦٩، ٩٣، ١١١، ١١٥، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٠، ١٩١، ١٩٢، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٢٨.
شُبرا: ٧١.
شطا: ٢٠٨.
شيزر: ٢٨٠.

(ص)

الصعيد: ٨٨، ٢٠٨.
الصفا: ٢٥٢.
صفد: ١١٠، ٢٦٨.
صهيون: ٩٠.
صور: ٦٩، ١٠٢، ٢٨٠.
صيدا: ١٠٢، ٢٨٠.
الصين: ٦٨، ٦٩، ٢٤٠، ٣٠٢، ٣٠٣.

(ط)

الطائف: ١٤٨.
طبرستان: ٣٠١.

طبرية: ٦٩، ٢٤٥.
طرابلس: ١٣٢، ٢٨٠.
طنان: ٢٠٨.
طنجة: ٦٩.
طور زيتا: ٢٧١.
طور سيناء: ٢٧١.

(ع)

العاقولة: ٨٦.
العراق: ١٠٥، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٧٩.
العريش: ٦٧، ١٩٧.
عسقلان: ٦٩.
عكا: ٦٩، ١٠٢، ١٣٢، ٢٨٠.
عُمان: ١٨٣.
عمورية: ١٨، ١٤٥، ١٤٦.
عين جالوت: ٨٦.

(غ)

غزة: ٦٩.
غزنة: ٦٩.
غزوة أُحد: ١٤٨.
غزوة بدر: ١٤٨.
غزوة بني قريظة: ١٤٨.
غزوة الخندق: ١٤٨.
غزوة خيبر: ١٤٩.
غزوة الطائف: ١٤٨.
غزوة بني المصطلق: ١٤٨.

(ف)

فارس: ٦٩، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٣٩، ٣٣٠.
الفرات: ٢٢٥.
الفسطاط: ٦٩، ٢٩٥.
الفيوم: ٦٩، ٢١٧، ٢٩٦.

(ق)

القابون: ٨١.
القاهرة: ١٢، ١٦، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٩، ٥٤، ٦٧، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٧، ٩٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٣٣.
قبة القاهرة: ٧٥.
قبرص: ٢٨٠.
القرافة: ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢.
القسطنطينية: ١٥٨.
القصرين: ٩٠.
القصير: ٨٦.
قلعة الجبل: ٥٩، ١٠٣، ١٥٤، ٢٨٧.
قلعة الروم: ١٠٢.
قليوب: ٧١.
قناطر السباع: ٢٨٧.
قوص: ١٠٩، ١٣٠.
القيروان: ٦٩، ٧٥.
قيسارية: ٦٩.
قيسارية الروم: ٢٧٣.
قيسارية شركس: ٢٨٧.
قيسارية الصاغة: ٢٨٧.
قيسارية العسل: ٢٧٠.

(ك)

كابل: ٦٩.
كربلاء: ٢٢٧.
الكرك: ٨٩، ٩١، ١١١، ١١٢، ١٣١، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.
كرمان: ٦٩.
كنيسة الغراب: ٥٦.

الكوفة: ١٩، ٤٧، ١٢٥، ٢٣٤، ٣٣٢.
كوم الريش: ٢٩٣.

(ل)

اللاذقية: ٢٨٠.
لفح (رفح): ٦٧.
اللوق: ٨٥.

(م)

مأرب: ٢٤٣.
مازندران (طبرستان): ٢٨١.
ما وراء النهر: ١٠٥.
المدرسة المعظمية: ١٠٠.
المدرسة المنصورية: ٩٠.
مدين: ٦٩، ٢١٥.
المدينة: ٦١، ١٤٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩٠.
مدينة الملوك (طُليطلة): ٢٩٩.
المسجد النبوي: ٢٨٤.
مصر: ١٣، ١٧، ٢١، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٥٧، ٦٣، ٦٧-٧٠، ٧٢-٧٤، ٧٧، ٨٣، ٨٥-٨٧، ٩٠، ٩١، ١٠٣، ١١١، ١٣١، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٨-١٦٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١-١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧-١٩٩، ٢٠١، ٢١٢-٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢-٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٥، ٣٣٣.
المغرب: ١١، ٥٦، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٢٢٥، ٣٠٢.
مكة: ١٩، ٤٧، ١٣٩، ١٤٧، ٢٠٣، ٢٤٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٨.
مكتبة الأسد: ١٤.
المكتبة الظاهرية: ٢٠.
مِنى: ٢٠٥.
منارة القرون (بالقرب من واسط): ١٢٥.
المنصورية: ٧٥.
الموصل: ٨٥، ٢٧٤، ٢٧٩.
ميافارقين: ٢٧٨، ٢٨١، ٣٠٢.
الميدان الكبير: ٨٢.

(ن)

نهاوند: ٣٣٢.
نهروان: ٢٠٦.
النوبة: ٦٧.
النيل: ١٣، ٣١، ٥٧، ٦٧، ٦٩-٧٣، ١٠٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٣١، ٢٥٣، ٢٩٣، ٢٩٦.

(هـ)

هراة: ٢٥٩.
الهمايل (جزيرة الفيل): ٢٩٤.
الهند: ٥٤، ٦٨، ٦٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٨٢، ٣٠٢.

(و)

الواحات السبع: ٦٧.
واحة التايهة: ٢٩٢.
وادي التيم: ٢٥٤.
وادي شطا: ٢٨٤.
الوادي العظيم: ٢٨٤.
وادي القرى: ١٤٩.
واسط: ١٢٥.

(ي)
اليمامة: ١٦٧.
اليمن: ١٣، ٥٥، ١٥٦، ٢١٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦.
يوم الأحزاب: ١٤٨.
يوم الفرقان: ١٤٨.

مصادر ومراجع التحقيق

- آثار أبي العلاء المعري، السفر الثاني، شروح سقط الزند لأبي زكريا يحيى التبريزي وأبي محمد البطليوسي والخوارزمي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، تحقيق مصطفى السقا وآخرين.
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١-٣، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٩٦.
- أخبار الدول المنقطعة، ١-٢، لأبي الحسن علي بن ظافر الأزدي، تحقيق عصام هزايمة وآخرين، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات، إربد، الأردن ١٩٩٩.
- أخبار مصر (المنتقى من أخبار مصر)، للأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله المسبحي، تحقيق أيمن فؤاد سيد، منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٨.
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ١-٣، لأحمد بن يوسف القرماني، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢.
- أعيان العصر وأعوان النصر، لخليل بن أيبك الصفدي، ١-٥، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٨.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١-٢٤، تحقيق لجنة نشر كتاب الأغاني، بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣.
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ١-٣، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٣.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١-٤، للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٣.
- أنموذج القتال في نقل العوال، لابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق زهير أحمد القيسي، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
- أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري، ١-٧، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧٨- ٢٠٠٣.
- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
- أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، للشريف أبي جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي، تحقيق ألريش هارمان، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ١٩٩١.

- أنوار الربيع في أنواع البديع، ١-٦، علي صدر الدين ابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، الطبعة الأولى، النجف ١٩٦٩.
- البداية والنهاية في التاريخ، ١-١٢، ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، مطبعة السعادة، القاهرة (د.ت.).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١-١٢، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيق محمد مصطفى، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ٢٠١٠.
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار، الطبعة الثانية، تونس ١٩٧٠.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١-٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.
- البيان والتبيين، ١-٤، للجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٠.
- تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ١-٢٠، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣١.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩.
- تاريخ الذهبي (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩.
- تاريخ الرسل والملوك، للإمام محمد بن جرير الطبري، ١-١٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٩.
- تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٩.
- تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، لشهاب الدين قرطاي العزي الخزندار، تحقيق محمد الحجيري وهورست هاين، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ٢٠٠٥.
- تاريخ مدينة دمشق للإمام الحافظ ابن عساكر الشافعي، ١-٦٥، تحقيق سكينة الشهابي وآخرين، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٠- ٢٠٠٥.
- تاريخ اليعقوبي أحمد بن واضح الكاتب العباسي، ١-٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- تالي كتاب وفيات الأعيان، لفضل الله الصقاعي، تحقيق جاكلين سوبليه، مطبوعات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٤.

- تتمة اليتيمة، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، ١-٢، تحقيق عباس إقبال، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٣هـ.
- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، خليل ابن أيبك الصفدي، ١-٢، تحقيق إحسان خلوصي ورفيقها، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩١.
- تحفة القادم، لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٦.
- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، للشيخ يحيى ابن الجيعان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٤.
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ١-٣، للحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦.
- التشبيهات، لابن أبي عون، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كامبردج، ضمن مجموعة جب التذكارية، الطبعة الأولى ١٩٥٠
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تأليف محيي الدين بن عبد الظاهر، تحقيق مراد كامل، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦١.
- تعريف الخلف برجال السلف، ١-٢، لأبي القاسم محمد بن إبراهيم الغول، تحقيق محمد أبو الأجفان ورفيقه، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٢.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ١-١٦، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٨.
- تكملة المعاجم العربية، لراينهارت دوزي، ١-١٠، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، بغداد ٢٠٠٠.
- تهذيب التهذيب، ١-١٢، لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية العثمانية، الطبعة الأولى، حيدرآباد الدكن ١٩٠٧.
- ثمرات الأوراق، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧١.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري، تحقيق محمد مرسي الخولي وإحسان عباس، ١-٤، منشورات عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٣.
- حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١-٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٨.
- خزانة الأدب ولب لسان العرب، ١-١٤، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٧.

- الدر المطلوب في أخبار بني أيوب (كنز الدرر وجامع الغرر ٧) لأبي بكر ابن عبد الله الدواداري، تحقيق سعيد عاشور، منشورات المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٩٧٢.
- درة الغواص في أوهام الخواص، للقاسم بن علي الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٥.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ١-٥، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٦.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي، ١-٢، تحقيق فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣.
- الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي، تحقيق كوركيس عوّاد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦.
- ديوان ابن قلاقس الإسكندري، تحقيق سهام الفريح، مكتبة دار العروبة، الكويت ١٩٨٢.
- ديوان أبي الطيّب المتنبي، بشرح أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق فريدريك ديتريشي، الطبعة الأولى، برلين ١٨٦١.
- ديوان الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية - عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٥.
- ديوان عبد الله بن المعتز العباسي، ١-٢، تحقيق محمد بديع شريف، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٨.
- ديوان ابن عنين، شرف الدين محمد بن نصر، تحقيق خليل مردم بك، منشورات المجمع العلمي العربي، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٤٦.
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ الحكمي، تحقيق إسكندر آصاف، دار العرب للبستاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢.
- ديوان الخالديين، أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي، تحقيق سامي الدهّان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٦٩.
- ديوان عبد الله بن المعتز، تحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٩.
- ديوان ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البكري، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، تونس ١٩٧٣.
- ديوان ظافر الحداد ابن الإسكندرية، تحقيق حسين نصّار، مكتبة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٩.
- ديوان ابن نباتة المصري، الشيخ جمال الدين محمد بن محمد الفاروقي، طبع محمد القلقيلي، مطبعة التمدن، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٠٥.

- ديوان ابن نباتة السعدي عبد العزيز بن عمر، تحقيق عبد الأمير الطائي، سلسلة كتب التراث، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٧٧.
- ديوان الشريف المرتضى، أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، ١-٣، تحقيق رشيد الصفار ومصطفى جواد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٨.
- ديوان الشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم، ١-٢، دار صادر، دار بيروت، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦١.
- ديوان الوأواء الدمشقي، أبي الفرج محمد بن أحمد الغساني، تحقيق سامي الدهّان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٥٠.
- ديوان صفيّ الدين الحِلّي، عبد العزيز بن سرايا، مطبعة حبيب أفندي خالد، دمشق ١٢٩٧هـ.
- ديوان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، تحقيق أحمد أحمد بدوي، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٦١.
- ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، بشرح الخطيب التبريزي، ١-٣، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٤.
- ديوان الطغرائي، أبي إسماعيل الحسين بن علي، تحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٩٧٦.
- ديوان الصوري، عبد المحسن بن محمد بن أحمد، ١-٢، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١.
- ديوان البحتري، أبي عبادة الوليد بن عبيد، ١-٤، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبد الستار فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة (د.ت.).
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٤.
- ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د. ت.
- ديوان ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج، ١-٦، تحقيق حسين نصّار، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٧.
- ديوان علي بن جبلة العكّوك، تحقيق زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٧١.
- ديوان أبي حيان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٩.
- ديوان التهامي أبي الحسن علي بن محمد، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٤.

- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٣.
- ديوان ابن خفاجة الأندلسي، إبراهيم بن أبي الفتح، تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الطبعة الأولى، الإسكندرية ١٩٦٠.
- ديوان ابن هانئ، محمد بن هانئ الأندلسي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤.
- ديوان العباس ابن الأحنف، مطبعة الجوائب، الطبعة الأولى، القسطنطينية ١٢٩٨هـ.
- ديوان التلعفري، شهاب الدين محمد بن يوسف الشيباني، تحقيق محمد سليم الأنسي، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى، بيروت ١٣١٠هـ.
- ديوان ابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق أحمد حلمي حلوة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٤.
- ذيل مرآة الزمان للشيخ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، ١-٤، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٩٥٤.
- ذيل مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، نور الدين علي بن عبد الرحمن ابن المغيزل، تحقيق عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٤.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري محمود بن عمر، ١-٤، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٢.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ١-٥، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، للأمير بيبرس المنصوري الدوادار، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٩٩.
- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، ١-٢، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩.
- سكردان السلطان لابن أبي حجلة التلمساني (بهامش كتاب المخلاة لبهاء الدين العاملي محمد بن الحسين)، المطبعة الميمنية للبابي الحلبي، القاهرة ١٣١٧هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ١-١٢، لأحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٨.
- شرح الأشعار الستة الجاهلية، للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، ١-٢، تحقيق ناصيف عواد ولطفي التومي، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ٢٠٠٨.
- شرح ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي، حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٣.

- شرح مقامات الحريري، ١-٥، لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٢.
- شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، ١-٢، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٨.
- شروح سقط الزند، ١-٥، لأبي العلاء المعري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٧، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٤.
- شعر عبد الله بن المعتز، صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، ١-٤، تحقيق يونس السامرائي، وزارة الثقافة والفنون، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٧٨.
- شعر علي بن جبلة العكّوك، جمع وتحقيق أحمد نصيف الجنابي، مطبعة الآداب، الطبعة الأولى، النجف الأشرف ١٩٧١.
- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ١-٢، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت (د.ت.).
- شعراء مقلّون، د. حاتم صالح الضامن، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧.
- الشفا في تعريف حقوق المصطفى، ١-٢، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق محمد قره علي وآخرين، دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت.)٠
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ١-٦، لإسماعيل بن أحمد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٧هـ.
- صحيح أبي عبد الله البخاري، ١-٩، تحقيق النواوي وآخرين، مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الثانية، مكة المكرّمة ١٩٨٤.
- صلة تاريخ أوتيخا «تاريخ الأنطاكي»، تأليف يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان ١٩٩٠.
- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداوودي، ١-٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٢.
- طبقات الصوفية، للإمام أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الثانية، دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦.
- طبقات الأمم، للقاضي صاعد بن أحمد التغلبي الأندلسي، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٥.
- طبقات الأولياء، لابن الملقن سراج الدين حفص بن عمر المصري، تحقيق نور الدين شريبة، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٦.
- طبقات الشعراء المحدثين، لعبد الله بن المعتز العباسي، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٦.

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، ١-٩، تحقيق إدوارد سخاو وآخرين، ليدن ١٩١٧- ١٩٤٠.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، ١-٨، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٥٧.
- العِبر في خبر من عبر، لمؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ١-٥، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، مطبوعة الكويت، الطبعة الأولى ١٩٦٠- ١٩٦٦.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، للطوسي محمد بن محمود بن أحمد، طهران ١٣٤٥هـ.
- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ١-٨، لمحمود رزق سليم، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٥.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للعيني محمود بن أحمد، تحقيق محمد محمد أمين:
  ١- عصر سلاطين المماليك، ١-٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
  ٢- العصر الأيوبي، ١-٤، تحقيق محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠١٤.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ١-٨، لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، تحقيق فؤاد سيد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ١-٢، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، ١-٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٥.
- عيون التواريخ لمحمد بن شاكر الكتبي، ١٢، ٢٠، ٢١، ٢٣، تحقيق نبيلة داود وفيصل السامر وآخرين، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٤.
- عيون التواريخ لصلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (عصر سلاطين المماليك) ١-٣، السنوات ٦٤٨- ٧١٠، تحقيق أحمد عبد الستار وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٧.
- فتوح مصر وأخبارها، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦.
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، لابن ظهيرة أبي إسحق برهان الدين إبراهيم بن علي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٩.
- فضائل مصر المحروسة، لابن الكندي عمر بن محمد بن يوسف، مكتبة وهبة، تحقيق إبراهيم العدوي وعلي محمد عمر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧١.

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها، لابن زولاق الحسن بن إبراهيم الليثي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠٠.
- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، ١-٢، تحقيق رضي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٣.
- فوات الوفيات والذيل عليها، ١-٥، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣.
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، ١-٣، محمد رمزي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٤.
- قصص القرآن المسمّى عرائس المجالس، للإمام أحمد بن محمد الثعلبي، القاهرة ١٣٠١هـ.
- قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس، للإمام إسحق بن محمد الثعلبي، المطبعة البهية، القاهرة ١٣٠١هـ.
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، للفتح بن خاقان القيسي الإشبيلي، مصورة عن طبعة باريس ١٨٦٠، تقديم وفهرسة محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٦٦.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري علي بن محمد، ١-١٤، تحقيق تورنبرج، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٥- ١٩٦٧، (مصورة عن طبعة ليدن ١٨٧٦).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ١-٤، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق مصطفى حسين وآخرين، مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٦.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، ١-٢، الطبعة الأولى، استانبول ١٩٤١.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي علاء الدين علي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩.
- لسان العرب، لابن منظور المصري محمد بن مكرم، ١-١٥، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٥.
- مجمع الأمثال للميداني النيسابوري، أبي الفضل أحمد بن محمد، ١-٢، طبعة عبد الرحمن محمد، ميدان الأزهر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٢هـ، منشورات مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٢.
- المختار من تاريخ ابن الجزري، المسمَّى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، لشمس الدين الجزري، اختيار شمس الدين الذهبي، تحقيق خضير المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٨.

- مختصر تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر علي بن الحسين بن هبة الله، اختصار ابن منظور المصري محمد بن مكرم، ١-٢٩، لمجموعة من المحققين، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤-١٩٩٨.
- المذيل على الروضتين (تاريخ الدولة الأيوبية ما بعد صلاح الدين حتى الظاهر بيبرس)، ١-٢، لشهاب الدين أبي شامة المقدسي، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٠.
- المخلاة، لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، للعلامة سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلو، ١-١٥، تحقيق كامل الجبوري وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٣.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١-٧، للمسعودي علي بن الحسين، تحقيق شارل بللا، منشورات الجامعة اللبنانية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى، ١-٢٧، إصدار فؤاد سزكين، طبع بالتصوير الفوتوستاتي في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرنكفورت، ألمانيا ١٩٨٨.
- المعارف، لأبي محمد مسلم بن قتيبة، تحقيق ثروة عكاشة، دار المعارف الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩.
- معجم الشعراء، لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٠.
- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١-٥، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٥.
- معجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١-٢٠، تحقيق د.س. مرجليوث، دار المأمون للتراث، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٣٧.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، للكتب الستة وصحيحي البخاري ومسلم والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وشرح غريب الحديث لابن الأثير، ١-٢١، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٣.
- معجم ألقاب الشعراء، الدكتور سامي مكي العاني، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.
- المعجم في أصحاب القاضي أبي الحسين الصدفي، لابن الأبار القضاعي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٩.
- المغازي للواقدي محمد بن عمر بن واقد، ١-٣، تحقيق مارسدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد، الطبعة الأولى ١٩٦٦.

- المغرب في حُلَى المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق زكي محمد حسن وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣.
- مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب، ١-٦، لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي، تحقيق جمال الدين الشيال وآخرين، مطبوعات لجنة إحياء التراث ودار الكتب، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٧٧.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، الطبعة الثانية، بيروت ٢٠٠٥.
- المنتقى من تاريخ مصر، لقطب الدين محمد بن عبد الكريم الحلبي، انتقاء ابن خطيب الناصرية علي بن محمد، تحقيق أحمد عبد الستار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٢.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١-٧، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ١-٦، ابن تغري بردي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤.
- مهذّب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء لياسين بن خير الله العمري، تحقيق رجاء محمود السامرائي، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٦٥.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن ابن تغري بردي الأتابكي، ١-١٦، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٧.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ١-٣٣، وزارة الثقافة (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، القاهرة ١٩٨٧- ٢٠١٤.
- الوافي بالوفيات، لخليل بن أيبك الصفدي، ١-٣٢، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ٢٠١٣.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ١-٨، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٨.
- يتيمة الدهر، للثعالبي النيسابوري، أبي منصور عبد الملك بن محمد، ١-٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٦.

Bibliografische Information der Deutschen Nationalbibliothek
Die Deutsche Nationalbibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über http://dnb.dnb.de abrufbar

Für den arabischen Raum: In Kommission bei Dar al-Farabi Beirut - Liban
ISBN: 978-614-485-164-7

© 2022 Orient-Institut Beirut (Max Weber Stiftung)

Das Werk einschließlich aller seiner Teile ist urheberrechtlich geschützt. Jede Verwertung des Werkes außerhalb des Urheberrechtsgesetzes bedarf der Zustimmung des Orient-Institut Beirut. Dies gilt insbesondere für Vervielfältigungen jeder Art, Übersetzungen, Mikroverfilmungen sowie für die Einspeicherung in elektronische Systeme. Gedruckt mit Unterstützung des Orient-Institut Beirut in der Max Weber Stiftung – Deutsche Geisteswissenschaftliche Institute im Ausland – aus Mitteln des Bundesministeriums für Bildung und Forschung.

Druck: Arab Scientific Publishers

Gedruckt im Libanon

KITĀB
SUKKARDĀN AS-SULṬĀN

ŠIHĀB AD-DĪN AḤMAD B. YAḤYĀ B.
ABĪ BAKR AŠ-ŠAHĪR BI-IBN ABĪ ḤAĞALA
AL-MAĞRIBI AT-TILMSĀNĪ

EDITION
MUḤAMMAD AL-ḤUĞAIRĪ

BEIRUT 2022

IN KOMMISSION BEI

BIBLIOTHECA ISLAMICA

GEGRÜNDET VON HELLMUT RITTER

HERAUSGEGEBEN VOM

ORIENT-INSTITUT BEIRUT

BAND 48

KITĀB
SUKKARDĀN AS-SULṬĀN